البحث عن الشرق

روجيه ليسكو

اليزيدية

في سورية وجبل سنجار

ترجمة: أحمد حسن



روجيه ليسكو

اليزيدية

في سورية وجبل سنجار

ترجمة:
أحمد حسن





Author : Roger Lescot
Title : Les Yezidís
De Syrie et du Gjebel Sindjar
Translator: Ahmad Hasan
Al- Mada P.C.
First Edition : 2007

اسم المؤلف : روجيه ليسكو
عنوان الكتاب : اليزيدية
في سورية وجبل سنجار
المترجم : أحمد حسن
الناشر : المدى
الطبعة الأولى : ٢٠٠٧

دار المدى للثقافة والنشر

سورية - دمشق ص. ب.: ٨٢٧٢ او٧٣٦٦ -تلفون: ٢٣٢٢٢٧٥ -٢٣٢٢٢٧٦-فاكس: ٢٣٢٢٢٨٩

Al Mada Publishing Company F.K.A. - Damascus - Syria
P.O.Box . : 8272 or 7366 .-Tel: 2322275 - 2322276 , Fax: 2322289
www.almadahouse.com E-mail:al-madahouse@net.sy

لبنان -بيروت-الحمراء-شارع ليون -بناية منصور-الطابق الأول - تلفاكس: ٧٥٢٦١٦-٧٥٢٦١٧
E-mail:al-madahouse@idm.net.lb

العراق - بغداد- أبو نواس- محلة ١٠٢- زقاق ١٣-بناء ١٤١
مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
تلفون: ٧١٧٠٣٩٥-٧١٧٠٥١٣ فاكس: ٧١٧٥٩٤٣
www.almadapaper.com
almada112@yahoo.com almada119@hotmail.com

مقدمة

اليزيدية أكراد في أصلهم ولغتهم وهم منتشرون في آسيا الصغرى كلّها. إلا أنّ تجمعاتهم الكبرى موجودة في العراق ، كتجمع الشيخان ، المركز الديني للطائفة ، شمال شرق الموصل ، وتجمع سنجار غرب مدينة الموصل. وفضلاً عن ذلك توجد جاليات يزيدية في تركيا (حول ديار بكر وسيرت ووان ، وفي بوطان وقضاء بيره جيك) وفي إيران (قرية جبّارلو بالقرب من تبريز) وفي أرمينية السوفيتية ، وأخيراً في سوريا (في الجزيرة العليا وجبل سمعان). ويمكن أن نقدر تعداد اليزيديين الإجمالي بـ (40000 – 50000) نسمة [1]

إن التوزع الجغرافي لهذه الجماعة يتسبب ببعض الصعوبات التي تعيق دراستها. فحتى الآن لم يحتك بـ " عبدة الشيطان " إلاّ قلة قليلة من الأوربيين ، والرحالة القلائل الذين ذهبوا إلى تلك المناطق كان اتصالهم بهم دون تحضير كافٍ ، أو أنهم مرّوا بهم مرور الكرام لتوثيق بعض المعلومات[2].

تتضمن القائمة الطويلة بالمقالات والأعمال المخصصة لليزيدية أعمالاً من النخب الثاني على وجه الخصوص؛ فاللامصداقية

والتناقضات التي تعج بها هذه المنشورات تدعو للحيرة. وقد استخدم الكتاب عموماً بلا مبالاة كل المعلومات التي جمعوها صحيحة كانت أم كاذبة لعدم قدرتهم على التحكم بها. وكما يحصل دائماً في حال مماثل فإن الأخطاء هي التي تؤخذ بالحسبان ، إذ أن خطأً يرتكبه أحد البحّاثة ينقله تقريباً كل الذين يكتبون من بعده ، في حين أنّ التفاصيل الصحيحة التي تتضمنها دراسته تهمل.

إن النصوص الشرقية لا تسمح بملء الفراغ الموجود في المصادر الغربية. واليزيديون بغالبيتهم يجهلون الكتابة [3] وكل مأثورهم الديني انتقل إليهم مشافهة [4]. ومع ذلك فإنّ بحوزتنا بضع كتيبات تعتبر الأدب المقدس للطائفة؛ أهمها كتاب الجلوة (كتاب الوحي) والمصحف الأسود Misḥefa Reş، ويبدو كلاهما معروفين لدى اليزيدية منذ عهد قديم نسبيا [5] ، إلاّ أنه لا أحد منهم يعرف حاليا عن وجود هذين الكتابين إلا ما وصله بالمشافهة لا غير. وهذه الكتب المزعومة غالباً ما أعيدت كتابتها. ولكن في كل مرّة مع تغييرات يمكن لنا بحق أن نشك في مصداقية مضمونها [6]. وإنّا نعتقد مع مينغانا Mingana [7] أنها من وضع المسيحيين في ميزبوتاميا العليا [8]. وهي على الرغم من ذلك لا تخلو من الفائدة ، ولم يبتكر كتابها شيئاً بل اقتصروا على كتابة الحكايات الأسطورية التي تلقوها دون الكثير من التعديل.

إن بعض الباحثين يولون أهمية كبيرة لعريضة محررة عام 1872[9] يعرض فيها أعيان الشيخان على الحكومة العثمانية الأسباب التي من أجلها يحظر عليهم دينهم الخدمة في الجيش التركي. وينسى

هؤلاء أن طلب الاسترحام هذا قد كتب لإثارة شفقة السلطان ويحتوي على مبالغات[10] تفقده كلّ قيمة وثائقية.

ويبقى كتاب اسماعيل بك چول ، الصغير الحجم الكتاب الوحيد في موضوع اليزيدية الذي لا غبار على مصداقيته [11]. قد يبدو أنه من الممكن أن نعتمد على هذا العمل ، إلاّ أنه ولسوء الحظ يتطلب أن نستعمله بكثير من الحذر لكونه نسيجاً من التناقضات رغم المادة القيمة التي يزودنا بها. أضف إلى ذلك أن الكاتب اطلع على مقالات حول هذه الطائفة منشورة في مجلات عربية ، وقبل عفوياً كل الأخطاء التي تحويها وأعاد نقلها بأمانة [12]لم نكن نستطيع الاعتماد كليّا على أعمال الذين سبقونا. لذا وضعنا قاعدة من أجل دراسة اليزيدية الحديثة تنص على ألاّ نأخذ بعين الاعتبار إلاّ الملاحظات التي تلقيناها شخصياً والنقولات التي تحققنا من صحتها بدلاً من الاعتماد على معلومات خادعة.

ونحن لا ندعي أننا ، بفضل هذا المنهج ، أنضبنا حقل البحوث الممكنة. والحق أن البحث الميداني صعب وغالباً ما يكون مخيباً. فاليزيديون لا يكتمون معتقداتهم كما هو مثبت عادةً؛ بل على العكس تماماً ، فما أن يثق اليزيديون بمحدّثهم حتى يتكلموا طوعاً مفتخرين بتثقيف شخص يعتبرونه عموما أكثر خبرة منهم. ولكن بسبب بلادة أذهانهم العجيبة يسيؤون فهم الأسئلة التي تطرح عليهم ، ويجيبون عليها بلا دقة ولا وضوح؛ وهم لا يمتلكون ، علاوة على ذلك سوى معرفة

ناقصة بدينهم الخاص. وقد أتاح لنا العديد من المحادثات مع أفراد ينتمون إلى كل الطبقات التأكد من أنّ أفراد الطائفة قلّما يهتمون بمشكلات الآخرة. "إن هذا العالم يسير وفق مشيئة الرب؛ فلم البحث عن الخوض في خفايا الخليقة ، في حين أنه يكفي التقيد ببعض التعليمات لنلتزم بالأصول مع القوى السماوية" ذلك هو تقريباً ما يجيب به اليزيديون عندما نبدي دهشتنا إزاء جهلهم.

إن هذا الكتاب الذي نقدمه هنا هو حصيلة بحثين أجريناهما خلال عام 1936. ففي شهر نيسان أتاحت لنا رحلة قمنا بها إلى الجزيرة العليا الاتصال مع يزيدية جبل سنجار : البعض منهم تركوا العراق والتجأوا إلى الأراضي السورية في الحسكة. وكذلك جندنا بعض المخبرين من أفراد قبيلتي السموقة والغيران اللتين عبرتا الحدود وخيمتا على شواطئ بحيرة الخاتونية. ولسوء الطالع تزامنت ظروف غير مواتية منعتنا من مغادرة الأراضي السورية وزيارة جبل سنجار.

وفي شهر تشرين الثاني هيّأت لنا إقامة لمدة ثلاثة أسابيع في اعزاز ورحلة طويلة على الحصان ، فرصة دراسة يزيدية جبل سمعان والتجوال في بلدهم.

وقد تضمن هذا المجلد أربعة أجزاء؛ ففي الجزء الأول نعرض أصول اليزيدية وعقيدتها الحالية والتنظيم الديني الذي تفرضه على أتباعها ، وفي الجزء الثاني نسرد تاريخ الطائفة طبقاً للوثائق العربية التي جمعها أحمد تيمور وعباس العزّاوي ، وبالاستعانة بمعلومات

الشرفنامة التي لم تستغل حتى الآن [13] ، وأما الجزءان الأخيران من كتابنا فهما وقف على الحياة الاجتماعية والسياسية للجماعات اليزيدية في جبل سنجار وفي سورية.

وقد أبقينا خارج إطار بحثنا ، كما ترون ، التجمع اليزيدي الأهم ، ألا وهو تجمع الشيخان. ورغم هذه الثغرة الكبيرة فقد رغبنا في جمع نتائج أبحاثنا منذ الآن ولا نعلم إن كان القدر سيتيح لنا يوماً زيارة مقام الشيخ آدي (عدي) .

نود ونحن على وشك طبع هذا العمل أن نخصّ بالشكر السادة لوي ماسينيون Louis Massignon أستاذ الكوليج دو فرانس Collége de Frace وروبير مونتاين Robert Montagne مدير المعهد الفرنسي في دمشق وجان سوفاجيه Jean Sauvaget أستاذ مدرسة الدراسات العليا الذي كانت نصائحه قيّمة بالنسبة لنا خلال أبحاثنا ، كما نشكر السيد فيروللو Virolleaud الذي وافق عن طيب خاطر على تقديم تقرير عن هذا الكتاب إلى اللجنة الإدارية في مدرسة الدراسات العليا ، ونشكر كذلك الأمير جلادت عالي بدرخان والسيد النقيب روندو Rondot والسيد دو بوشمان De Boucheman والسيد فيرديه Verdier والسادة الملازمين آيمي Aymé وشابوتول Chapotol وفيّري Ferry ولوهياك Lohéac الذين سهّلوا بلطفهم مهمتنا خلال جولاتنا ، وأخيراً نشكر السيد خ. معاذ الذي ندين له بالمخططات التي تزّين هذا الكتاب.

هوامش المقدمة :

(1) ها هي بعض الأرقام : في العراق (إحصاء عام 1923) : 26257 نسمة ، يبدو لنا هذا الرقم أقل مما هو عليه في الواقع ، إذ أنه بحسب تقديرنا يبلغ تعداد يزيدية سنجار وحدهم حوالي 23000 نسمة؛ وفي أرمينية السوفيتية (إحصاء عام 1926) 14522 نسمة (وقد تضخم عدد اليزيديين منذ ذلك الحين بشكل ملموس في أرمينية)؛ وفي إيران بضع مئات (دائرة المعارف الإسلامية)؛ وفي سوريا(3000-4000) نسمة.

(2) الرحالة الذين تتضمن رواياتهم التفاصيل الأصح هم : Michel Febver و Layard و Siouffi.

(3) نظرياً وحدهم أفراد عائلة الشيخ حسن Şê Hesen تحق لهم القراءة والكتابة؛ وهذا المنع ليست له أي قيمة لدى بعض الأعيان الذين حصّلوا شيئاً من العلم ، كما نرى اليزيديين في أيامنا هذه يطالبون بمدارس خاصة لهم.

(4) يحوي حكايات أسطورية كتلك التي ننشرها في نهاية الكتاب. ويعرف قوّالو الشيخان تراتيل كردية [Qewl] ينشدونها في أعياد الشيخ أدي.

(5) راجع أدناه الملحق 1. يذكرنا عنوان كتاب الجلوة بكتاب للشيخ حسن بن عدي ، أحد أولياء الطائفة (كتاب الجلوة لأرباب الخلوة) ، والمصحف الأسود يحملنا على التفكير بكتاب الحبشي المذكور في الوثيقة التي ننشرها.

(6) راجع فورلاني Furlani , Testi religiosi sui yezidi وأناستاس ماري : Anastase Marie , La decouverte recente des deux livres sacres des yezidis ، وأناستاس ماري : اليزيدية؛ وعباس العزاوي : تأريخ اليزيدية؛ وإسماعيل بك جول : اليزيدية قديماً وحديثاً الخ.... أضف إلى ذلك أن هذه الكتب تحتوي على جمل لا يوافق أي يزيدي على كتابتها ، فنقرأ مثلاً في متن المصحف الأسود (راجع العزاوي ، ص 191) : " يمنع علينا أن ننطق بكلمة (شيطان) لأنها اسم إلهنا ".

(7) Cf. Mingana , Sacred books of the Yazidi.

وكذلك Devil worshippers , their beliefs and their sacred books.

(8) النص الذي يقدمه الأمير اسماعيل بك عن هذه الكتب هو نفس النص الذي يحتويه مخطوط حديث جداً في مكتبة دير في ماردين. قام اسماعيل بك بنسخه خلال إقامته عند الرهبان (Cf. Mingana , Sacred books of Yazidi) .

(9) راجع ساشو : Sachau , Mandschriften verzeichnisse der Königlichen Bibliotek in Berlin , p 434 وليدزبارسكي : Lidzbarsky , Ein Expose der Jeziden .

(10) ليس من الضروري بالنسبة لليزيدية أن يسجدوا للسنجق (العريضة ، البند الأول) ولا أن يطوفوا بالشيخ أدي كل سنة (البند الثاني) ولا أن يقبلوا يدي الشيخ كلّ يوم (البند الثالث) ولا أن يأكلوا يومياً حفنة تراب

من مرقد الشيخ آدي (البند الرابع) وليس محظوراً عليهم استعمال الأشياء (آنية المائدة التي قدموها للغرباء) (البند 13)

(11) اسماعيل بك چول ، اليزيدية قديما وحديثا.

(12) راجع ملخصنا

Quelques publications récentes sur les yezidis.

(13) وحده مينورسكي أعطى ملخصاً عن مقاطع متعلقة بالقبائل اليزيدية في هذا الكتاب [الشرفنامة] (راجع دائرة المعارف الإسلامية ، مقالة الأكراد).

الكتابة*

كتابة الكلمات الكردية :

اعتمدنا الألفباء اللاتيني المستخدم لدى أكراد دمشق بعد أن أجرينا عليه تعديلات طفيفة جداً**

الصوامت :

[ج] كما في التركية	C	C
[تش] كما في التركية	Ç	Ç
	ح	ḥ
	ق	q
[ش] كما في التركية	Ş	Ş
	خ	X
	غ	Ẍ

* لم نر داعياً لترجمة ما ورد بشأن كتابة الكلمات العربية وأسماء الأعلام (التاريخية والجغرافية) المعروفة ، لأننا نكتب الكلمات العربية بلغتها الأصلية ونكتب الأعلام المذكورة كما وردت في كتب المؤرخين العرب. المترجم.

** يقصد الألفباء الذي وضعه الأمير جلادت بدرخان ونشره في مجلة هاوار Hawar في مطلع ثلاثينيات القرن العشرين. المترجم.

أما بقية الصوامت فهي مثل الصوامت الفرنسية.

الصوائت :

الألف الممدودة	آ	a
الفتحة في العربية	ـَ	e
السكون في العربية	ـْ	i
كما في الفرنسية	î	î
كما في الفرنسية	ô	o
الضمة في العربية	ـُ	u
في الفرنسية	ou	û

قائمة بالمؤلفات المذكورة

نجد بيبلوغرافيا كاملة للمنشورات المتعلقة بالمسألة اليزيدية في مقالات منزل Menzel :

Ein Beitrag zur kentniss der yaziden ; Yazīdī ; Šeykh Ȧdī et Kitab el Djilwa.

لكننا نكتفي هنا بالإشارة إلى الأعمال التي نرجع إليها خلال هذه الدراسة.

عباس العزّاوي ، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم ، بغداد 1935.

عبد القادر الجيلاني ، فتوح الغيب ، القاهرة ، دون ذكر لتاريخ الطبع.

BADGER , The Nestorians and their ritual ; Londres.

M.VAN BERCHEM, Corpus inscriptionum arabicorum; Mémoires de la Mission archéologique du Caire , XIX

C.BROCKELMANN , Das Neujahsfest der Yezidis ; ZDMG,LV.

A.DE BOUCHEMAN , Les Sabá (en preparation.)

M.CANARD , Les expeditions des Arabes contre Constantinople ; Journal Asiatique , année 1926.

R.P.CHARLES , Le christianisme des Arabes Nomades sur le Limes et dans le desert syro-mésopotamien aux aletours de L'Hégire ; Paris, Leroux , 1936.

A.CHRISTENSEN , Le premier home et le premier roi dans L'histoire légendaire des Iraniens ; Archives d'Études orientales , XIV.

Dictionnaire Géographique universel ; Paris 1833.

A.DIRR , Einiges über die Jeziden ' Anthropos , XII – XIII.

عبد الرزاق الحسني ، الصابئة ، صيدا ، دون ذكر لتاريخ الطبع.

R.EMPOSON , The cult of the Peacock Angel ; Londres , 1928.

R.FRANK , Scheikh Ádī , der grosze Heilige der yezidis; Bibl ; XIV ; Berlin 1911.

MICHEL FEBVER , The THéâtre de la Turquie ; Paris , 1682.

FORBES, A visit to the Sindjar Hills ; Royal Geographical Journal , IX.

G.FURLANI , Testi religiosi sui yezidi ; Bologne , 1930.

G.FURLANI , Gli interdetti dei yezidi ; der Islam , XXIV

GIAMIL , Monte Singar , Storia di un popolo Ignoto ; Rome , 1900.

M.A.GUIDI , Origine dei yezīdī e storia religiosa dell' Islam edel dualismo ; RSO , Rome , 1932.

___ Nuove ricerche sui Yazidi ; ibid , 1932.

هاوار ، مجلة كردية منشورة في دمشق عامي 1932 و 1933 HAWAR

ابن شاكر ، فوات الوفيات ، القاهرة 1299.

ابن تيمية ، مجموعة الرسائل الكبرى ، المجلد الأول من 262 – 317 ، القاهرة 1323.

ابن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، القاهرة ، من دون ذكر لتاريخ الطبع.

اسماعيل بك چول ، اليزيدية قديما وحديثا ، بيروت ، المطبعة الأمريكية ، 1934.

أ. جابا ، قاموس كردي فرنسي ، سان بطرسبورغ ، 1879.

A.JABA , Recueil de notices et de récits courdes ; St Pétérbourg , 1860.

R.P.LAMMENS, Le massif du Djeble simān et les Yezidis de Syrie ; Mélanges de L'Université St Joseph ; Beyrouth , 1906.

A.H.LAYARD , Niniveh and its remains; Londres, 1850.

R.Lescot , Quelques publications récentes surles Yezidis ; Bulletin d'Etudes Orientales , VI.

LIDZBARSKY,Ein Exposé der Jeziden , ZDMG , LI.

H.MAKAS , drei Jeziden gebete , in Materialen zu einer Geschichte der sprachen und Littera turen des Vordern Orient , herausgegeben Von Martin Hartman , Heidelberg , 1900.

أنستانس ماري ، اليزيدية ، المشرق ،2، بيروت، 1899

ANSTASE MARIE

____ La dé couvert récente des deux livers sacrés des yezidis : Anthropos , VI.

L.MASSTGNON , LaPassion d'A lHosayn ibn Mansour al Hallal , martyr mystique de L' Islam ;P.Geuthner , paris.

____ Al Kallaj , le phanatasme crucifié des docétes , et Satan selon les Yezidis ; RHR,1911.

A.MENANT ,Les Yezidis , Paris ; 1892.

TH. MENZEL.Ein Beitrag zur Kentniss der Yeziden, in GROTHE, Meine Vorderasien – Expedition , t.I ; Leipzig 1911.

____ Yazīdī ; EI.

____ Šeykh Ådī ; EI , supp.

TH. MENZEL , Kitāb el Djilwa ; EI , supp.

A. MINGANA , Devil worshippers : their beliefs and their sacred books ; JRAS , II.

____ Sacred books of the Yadidis JRAS , VII.

R. MONTAGNE, Quelques aspects du peuplement de la Haute-Djeziré ; Bulletin d'Etudes Orientales ,II.

____ Contes poétiques bédouins ; ibid , V.

F. NAU , Note sur la vie et la date de Cheikh adi ; Revue de L'Orient Chrétien , 2e série ,IX.

____ Recueil de texts et de documents sur les Yezidis ; ibid , XX.

B.NIKITINE , Superstitions des Chaldéens du plateau d'Ourmia ; Revue d'Ethnographie , 1923.

____ Une apologie Kurde du sunnisme ; ROCZNIK Orjentalisty czny , VIII.

M.V.OPPENHEIM. Vom Miltemeer zum persischen Golf ; Berlin , 1899-1900.

P.PERDRIZET, Documents du XVIIe siécle relatifs aux Yezidis; Bulletin de la Société géographique de l'Est , 1903.

H.POGNON , Sur les Yezidis du Sindjar ; Revue de ; l'Orient Chrétien , XX.

E.PRYM und A.SOCIN , Kürdische Sammlungen St Pétersbourg , 1887.

QUATREMÉRE , Histoire des Mongols de la Perse ; Paris , 1836.

P.RONDOT , les Tribus montagnardes de L'Asie antérieure ; Bulletin d'Etudes Orientales , VI.

E.SACHAU , Handschriften Verzeichnisse der Kgl. Bibliotek Von Berlin.

شرف خان ، الشرفنامة ، القاهرة ، دون ذكر لتاريخ الطبع.

الشعراني ، الطبقات الكبرى.

الشطنوفي ، بهجة الأسرار ، القاهرة ، دون ذكر لتاريخ الطبع

SIOUFFI , Notice sur la secte des Yezidis ; JA , série VII, t. , 20.

SIOUFFI , Notice sur le Cheikh Ádi et sur la secte des Yezidis ; JA , série VIII,t.5.

ESMITH and H.G.D DWIGHT , Missionary researches in Armenia , including a journey through Asia Minor and into Georgia and Persia , With a visit to the Chaldean Christians of Ourmiah and salmas London , 183

أحمد تيمور ، اليزيدية ومنشأ نحلتهم ، القاهرة ، 1347.

1

الدين

الفصل الأول

الأصول

بقي الغموض يكتنف أصول اليزيدية لمدة طويلة. فقد كان الباحثون الأوائل يرون في هذا الدين بقايا طقوس شرقية قديمة (مزدكية ومانوية)، وكان البعض منهم يتجرأ على المقارنة بين الملائكة اليزيدية والآلهة الوثنية ، استناداً إلى هذه النظرية. وكان البعض الآخر ، مثل نو Nau ، يستعين بوثائق نسطورية لينسب إلى الطائفة مصادر مسيحية[1]. ومنذ سنوات عدة فقط جاءت أعمال أحمد باشا تيمور وعبّاس العزّاوي[2] ، التي رددها غيدي Guidi[3] بحماس ، لتضع للمشكلة حلها النهائي المفارق للوهلة الأولى ، إذ أنه يجعل من اليزيدية بدعة إسلامية ، في حين أن هذا النظام الديني على هيئته الحالية يكاد لا يبدي أي تماثل مع الإسلام. وبناءً على رأي غيدي ، فإنا نجد في أصل الطائفة غلوّاً في الأمويين ، كانت الإمبراطورية العربية ترهب جانبه في كثير من الأنحاء خلال القرون الأولى من حكم السلالة العباسية، ولكن سرعان ما تمركز هذا الغلو في جنوب كردستان. وخلال الفترة

الممتدة بين عامي 1130- 1160 م كانت إرشادات الشيخ عدي (شيخ آدي لدى اليزيديين) [4] توجّه هذا التيار الديني نحو التصوّف. في حقيقة الأمر كانت هذه الشخصية التي انقطعت إلى لالش Laleş في جبل هكاري قد أسست طريقة ضمت العديد من الموالين ، وقد شهدت هذه الطريقة انتشاراً ملحوظاً ، بيد أنها ما لبثت أن انشقت إلى فريقين : استقر أحدهما في سوريا ومصر وبقي صحيح العقيدة ، لكن سرعان ما أصابه الضعف والوهن ،أما الفريق الآخر فقد بقي في كردستان ونسي مبادئ التسنن ليشكّل النواة الأولى للجماعة اليزيدية.إن الغلوّ الموالي للأمويين الذي شهده القرنان الخامس والسادس للهجرة والذي كان(غيدي) أول من أشار إلى أهميته [5] ، قد جند العديد من المتعاطفين من بين القبائل الكردية في شمال العراق. ويبدو أنه كانت هناك علاقات متعددة بين هؤلاء السكان وسلالة الخلفاء الأولى [6]؛ وعندما أطيح بحكم هذه الأخيرة لجأ عدد من ممثليها إلى جبال كردستان وخلفوا ذريّة فيها. تقول الشرفنامة إن سلف أمراء جزيرة ابن عمر وأمراء أردلان وأمراء غورغيل Gurgîl وفنك Fînek هو سليل خالد بن الوليد؛ وأما أمراء السليمانية وأمراء ميافارقين فينسبون أنفسهم إلى مروان الثاني [7]. وكذلك يدّعي زعماء جولامركي Cûlamerkî [8] وزعماء المحمودية بأنهم من أصول أمويّة. لا شك أنّ هؤلاء" اللاجئين السياسيين" الذين تمّ استقبالهم من قبل القبائل الكردية ساهموا في الحفاظ

على نوع من التحريض لديها؛ إذ ثارت لمرات متتالية ضد الحكم العباسي في بداياته [9]. إلاّ أن بعض الأمويين الذين استقروا في كردستان تخلوا عن طموحاتهم في ما بعد لينخرطوا في سلك التصوف، فقد انسحب إلى سنجار رجل يدعى أبو الحسن علي (409 – 484 هـ)، أصله من جبل هكّاري ونسيب لأمراء الجزيرة (هو سليل خالد بن الوليد) فجمع حوله عدداً كبيرا من المريدين [10] وقد جعله ابن تيمية صراحة سابقاً للشيخ عدي [11].

وهكذا ، منذ القرن الخامس الهجري سيطرت القضية الأموية سياسياً ودينياً على جنوب شرق كردستان برمّته. بعد مضي أقل من مئة سنة على وفاة أبي الحسن علي ، اتصل السمعاني ، لدى مروره بالمنطقة ، مع متعصبين يؤمنون بإمامة يزيد ويرتبطون بهذا الأمير من خلال الاسم الذي أطلقوه على جماعتهم : " جماعة كثيرة لقيتهم بالعراق في جبال حلوان ونواحيها من اليزيدية وهم يتزهدون في القرى التي في تلك الجبال ويأكلون الحال [12]وقلما يخالطون الناس ويعتقدون(الإمامة) في يزيد وكونه على الحق " [13].

الشيخ عدي

ولد الشيخ عدي بن مسافر [14]في ولاية بعلبك في بيت فار [15]بين عامي 465 هـ (1072-1073 م) و470 هـ (1077-1078 م)؛ ونعرف أنه في الحقيقة توفي عن عمر يناهز التسعين عاماً وذلك سنة

(555-557 هـ). وحسب الأصل الذي ينسب إليه عادةً فهو من سلالة مروان الأول [16].

أمضى الشيخ الشطر الأول من حياته في بغداد حيث تعرّف على أشهر متصوفي عصره ، فالتقى بأبي نجيب عبد القادر السهروردي [17] وبالأخوين غزالي [18] والتقى كذلك بعبد القادر الجيلاني الذي كان زميل دراسته وأصبح فيما بعد في عام 509 هـ [19] رفيقه في الحج إلى مكة. إن أسماء أساتذة الشيخ عدي محفوظة لنا[20]: فقد درس مع حمّاد الدبّاس[21] ، ثمّ درس مع عقيل المنبحي [22] عندما ذهب إلى شمال العراق وتلقى خِرقته ، ومع أبي الوفاء الحلواني [23]. إضافة إلى أنه كان مريداً لحميد الأندلسي الذي تلحقه به نسبة الفتوة التي ننشرها أدناه[24] [الملحق رقم1] ، ولكننا لم نتمكن من الحصول على أية معلومات عنه.

استطاع الشيخ عدي أن يتحول بسرعة إلى مرشد بدوره. وقد أثارت شدة تقواه إعجاب متصوف مثل عبد القادر الجيلاني الذي تنسب إليه الأخبار القول التالي : " لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر". وكذلك : " أشهد لأخي عدي بن مسافر أن السلطنة تمت له على أولياء زمانه وهو لا يزال في بطن أمه " [25]. ومع ذلك يبدو من المشكوك فيه أن يكون الشيخ عدي قد أحاط نفسه بالمريدين قبل مغادرته بغداد. فقد كانت ميوله تدفعه إلى العزلة؛ فبلغ جبل الهكارية واتّخذ من أنقاض دير مسيحي واقع في لالش [26] زاوية له.

أيكون مجرد حبه للعزلة قد أملى عليه اختيار مسكن قفر وبعيد بهذا القدر ، أم هي ، على عكس ذلك ، قناعته بأنّ أكراد المنطقة مخلصون لدعوى الأمويين ولن يتوانوا عن الاستقبال اللائق لأحد ممثّلي السلالة التي يجعلون أنفسهم أبطالاً لها [27] ؟ هذا هو السؤال الذي نطرحه على أنفسنا عندما نفكر بخليفة أبي الحسن علي في سنجار ، و بالنشاط الذي كان يظهره في إرشاداته : يروي كتاب المناقب عن عمر القبيصي قوله:

" Wie der Scheich den er (Ómar) begleiten durfte, einst predigend. die dörfer in derUmgebung von Mosul durchzog"*[28]

بيد أننا لا نجد فيما وصل إلينا من أعمال هذا الولي أي شيء يكشف عن طموحات سياسية ، فهو على الأرجح لم يكن يسعى إلاّ إلى أن يذكر بتعاليم القرآن أناساً مرتبطين باعتقادهم المحلي الباطل أكثر من ارتباطهم بالإسلام. إن العقيدة التي كان يجاهر بها الشيخ عدي معروفة لنا جيداً ، وذلك بفضل كتابات تركها لنا ويبلغ تعدادها أربع رسائل هي: اعتقاد أهل السنة والجماعة وكتاب في ذكر آداب النفس ووصايا الشيخ عدي بن مسافر إلى الخليفة ووصايا لمريده قايد ولسائر المريدين[29].

* هكذا ورد النص بالألمانية في الأصل. المترجم.

تشكّل الرسالة الأولى تقريباً إعلانا لعقيدة الشيخ وهي عقيدة تتوافق بدقة مع متطلبات التشدّد السني؛ وفي خاتمتها يدافع الكاتب عن نفسه ضد أي بدعة ويصرّح بأنه اكتفى بإعادة تقديم اعتقاد من سبقه (فرانك، ص16). تبدأ الرسالة بعرض لعقيدة وحدانية الله وللوسائل التي يمكن أن نصل بفضلها إلى معرفة هذه الحقيقة. وهما اثنتان : الأولى هي السمع و الثانية هي العقل ، ثم يورد الكاتب صفات الله مشدّداً بصورة خاصة على قدرته الكلّية التي يستخلص منها نتيجة مهمة هي أن الله هو الذي خلق الشيطان والشرّ. ويذكر الشيخ آيات من القرآن [30] وأحاديث تؤكّد نظريته ، كما يؤكدها بالمحاكمة التالية :

" ثمة دليل آخر هو أنه لو كان الشرّ موجوداً بمعزل عن إرادة الله لكان معنى ذلك أنه غير مقتدر ، والحال أن كائناً غير مقتدر لا يسعه أن يكون الله. والحق أنه لا يمكن أن يكون في ملك الله ما لا يرغب فيه أو يجهله " [31] *. الجزء الثاني من الرسالة مخصص لدراسة الإيمان ، تلك الفضيلة التي يعرّفها الشيخ عدي بالكلمات التالية : " الإيمان قول وعمل ونية معاً وهو يقوى بالطاعة ويضعف بالمعصية " ويصرّح الشيخ أنّ على المسلمين أن يتّبعوا القرآن والسنّة فقط ، ويرى أن المؤمن هو من اقتدى بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي [32].

* لم نتمكن من الحصول على أيٍّ من الآثار المكتوبة للشيخ عدي بن مسافر وبذلك تعذر علينا تثبيت بعض النصوص الأصلية للنقولات المأخوذة من أعماله ، مما اضطرنا إلى ترجمتها عن اللغة الفرنسية. المترجم.

وفي الفصل الأخير يعدّد الحقائق الأخرى المختلفة التي يجب على مريديه أن يسلّموا بها. وأخيراً يعلن أن الله يولي القدر ذاته من الأهمية لموقف العباد من أهل البدع ولتمسكهم بالشريعة يوم القيامة. وقد ذيّلت بملحق يتضمن أحاديث عدة متعلقة بالبدعة [33] وانقسام الإسلام إلى ثلاث وسبعين فرقة*. ويشكل (كتاب فيه ذكر آداب النفس) تتمة منطقية للرسالة السابقة ، وهو عبارة عن دراسة للعبادة العملية التي تكمل عرضه للمعتقد؛ فيبدأ بتعداد عشر خصائص ينبغي على الإنسان الصالح أن يمتلكها أو يتجنبها ، وبإحصاء النعم التي وزّعها الله على الإنسانية كل ملك من الملائكة وكل نبي من الأنبياء. ندخل في صميم هذا الكتاب مع نصائح باعثة على التقوى يسديها الشيخ عدي لمريديه، وهي نصائح ليس فيها الكثير من الجدّة والابتكار: " يا هذا البدلاء ما صاروا بدلاء بالأكل والشرب والنوم والطعن والضرب ، وإنما بلغوا ذلك بالمجاهدات والرياضات ، لأن من يموت لا يعيش ، ومن كان لله تلفه كان على الله خلفه ، ومن تقرب لله تعالى بتلف نفسه ، أخلف الله عليه نفسه ". ويصف الشيخ بلغة مجازية الزهد على أنه جهاد مستمر مع النفس، والجذب على أنه سفر متعدد المحطات باتجاه الله. ويقول للصوفيين المقبولين أخيراً في الجلوس إلى المائدة السماوية : " نحن لا نبحث عن الجنة ولا عن الحوريات ، وإنما نبحث عن التأمل للتأمل. لقد تحملنا الكثير من المتاعب ، وإن نفوسنا قد تلفت وتلاشت ". ثمة أمر يستحق أن

* إشارة إلى الحديث المنسوب للرسول.... المترجم.

نقف عنده ، وهو أن الشيخ بعد أن استنكر ممارسة الذكر ("اعلم أن الأدعية وإن كانت صادقة تخمد شعلة المعرفة ") أعلن استهانة بالصلاة شاعت لدى بعض المتصوفين ، ولكنّها لا تدع مجالاً للدهشة من قبل سنيٍّ في مثل تشدده. أما نصائحه للخليفة فلا تحتوي أي عنصر قابل لأن يكشف شخصيته يوماً ما ، و أما نصائحه لمريده قائد فهي تحوي إرشادات أخلاقية فقط ، يلحّ فيها على مريديه أن يتزهّدوا في الدنيا ويسيطروا على أهوائهم وأن يتركوا " كل متاع الدنيا "؛ وبعد أن يذكرهم بالاحترام الواجب تجاه الزاهدين ، ينهي كتابه بمدح للصمت.

وعدا هذه الكتب النثرية ، تنسب إلى الشيخ عدي أربع قصائد نشرها فرانك وهي لا تخلو من الجمال ، لكنّها لا تبتعد عن الأفكار المطروقة من قبل الصوفية ، لذا ارتأينا أنه لا جدوى من تحليلها هنا.

يبدو لنا من خلال كتابات الشيخ عدي أنه ليس في معتقده ابتكار يذكر ، فهو لا يبتعد في شيء عن مبادئ الإسلام ولا يقدّم أية خاصيّة تجعلنا نفترض أنه مارس تأثيراً ما على مكوّنات العقيدة اليزيدية. و لا شكّ أن الشهرة التي اكتسبها عدي بن مسافر و سطوته على مريديه تعودان إلى زهده و مواهبه الخارقة أكثر من عقيدته التي تفتقر إلى الابتكار. فسرعان ما هيّأ له زهده وصومه و كراماته [34] سيادة معنوية حقيقية على ولاية هكّاري كلها [35]. ويثبت مديح كتّاب السير له أن شهرته لم تكن محلية محضة ، بل امتدت إلى العراق وسوريا. فكان

متخاصمين : أحدهما ، أقلية بلا شك ، يحوي عناصر من أهل الشريعة الإسلامية ، والثاني يجمع منشقين أضلّهم غلوّهم في الشيخ عدي وخلفائه. وقد كان لـ م. أ. غيدي الفضل في بيان الأسلوب الغامض لنصوص الصراع بين هاتين النزعتين. لقد استمر ذلك الصراع قرابة قرن ، وانتهى بانتصار المتطرفين وظهور اليزيدية في جبل هكاري على عكس ما حصل لدى عدوية الشام ومصر حيث كانت الغلبة للمتشددين ولكنّها لم تكن دون مشقة. وفي حين أن أفراد العدوية الأكراد حوّلوا تسنن الشيخ عدي إلى نوع من الدين القومي ، توصل التأثير المتفوق للوسط العربي الذي تطوّر فيه جزء من هذه الطريقة ، إلى إعادة امتثالية تهددها الخطر لبعض الوقت.

وقد آثرنا الآن دراسة الموقف الذي اتخذه خلفاء الشيخ عدي الأوائل إزاء الغلوّ ، على أننا سندرس فيما بعد المظهر المذهبي لهذه المنافسات.

خلفاء الشيخ عدي

على عكس ما يمكن أن يُعتقد ، فقد رفض خلفاء الشيخ الامكانات التي يقدّمها لهم تعصّب أتباعهم. ويبدو أنهم استخدموا نفوذهم بصورة خاصة لمحاربة تقدم البدعة؛ حيث أن أغلب الأقوال المأثورة التي ينسبها كتاب التراجم إليهم ، تندد بالمبتدعين وبتجرؤهم [على مبادئ الشريعة الإسلامية]. كان الشيخ عدي قد عيّن ، قبل وفاته ، ابن أخيه صخر أبو البركات ليكمل ما بدأه هو. وكان صخر هذا قد ولد ببيت فار

والتحق مبكراً بالشيخ ، واستطاع في الحال أن يفرض نفسه بورعه وتقواه.

ويروي لنا كتاب بهجة الأسرار مجرى حياة هذه الشخصية كما يلي: "... لما اشتهر أمر شيخنا الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه بجبل هكار هاجر إليه ابن أخيه أبو البركات من بيت فار من أرض بقاع العزيز فلما اجتمع به الشيخ وعرفه بالعلامات التي كان يعرفه بها من صغره ، وكان الشيخ فارقه عند أبيه صخر [46] صغيراً وأخبره بموت أخيه وبموت جماعة من أهل بيت فار أقام عنده وأكرمه جميع أصحابه فلما توفي عمه رحمه الله تعالى رجعوا كلهم إليه وقدموه ونصبوه مكان عمه بوصية منه وكان المشايخ بالجبل رضي الله عنهم يقولون إنّ سر الولاية انتقل إليه بعد عمه رضي الله عنهما " [47].

ومما لا شك فيه أن صخراً وجّه مصير الطريقة أمداً طويلاً (تقول المصادر إنه عُمّر طويلاً ولكنها لا تقدم أية تواريخ). وقد كان متعلقاً بمبادئ الشيخ عدي نفسها ، ومعادياً مثله للبدعة والتطرف العقائدي[48].

و قد عرف كيف يحافظ على ميزة زاوية لالش كمركز ديني اجتمع فيه العديد من المريدين حوله [49] ، بيد أنهم أقل عدداً من الذين لحقوا بعمه في عزلته.

وأمّا عدي بن أبي البركات ، ابن صخر أبو البركات ، وخلفه الذي ترأس الجماعة من بعده ، فمعرفتنا به قليلة. وفقط يجيز لنا المديح الذي خصّه به كل من ابن تيمية وكاتب قلائد الجوهر أن نؤكد أنه كان وفياً

لمعتقد أسلافه. وقد أعدمه المغول سنة 1221 - 1222 [50]. فورثه في منصبه ابنه البكر حسن بن عدي شمس الدين ، وهو الشخصية التي كانت موضع جدل كبير من قبل المؤرخين الذين ذكروه؛ إذ يقول البعض إنه كان على جانب كبير من الورع والتقوى ، فيما يقول البعض الآخر إنه كان يعمل فقط على إشباع رغباته. وتخبرنا تراجم ينسبها أحمد تيمور إلى ابن طولون [51] ، أنه اعتزل العالم لمدة ستة أعوام ، ألف خلالها كتاباً بعنوان كتاب الجلوة لأرباب الخلوة [52]. والحق أنه لم يصلنا من حسن إلاّ كرّاس بدون عنوان ، قام فرانك بتقديم تحليل له[53]. وهو عبارة عن دراسة في التصوف ، تتوافق بدقة مع أفكار الشيخ عدي، والصفحات الأولى منه مخصصة لبيان وحدة الشعور التي يجب أن تكون بين الشيخ والمريد ، وتأتي حكايات مماثلة لتلك التي ذكرناها أعلاه لتدعم ما ذهبنا إليه. وفيما تبقى من صفحات هذا العمل ، يخاصم الكاتب بشدة الصوفيين المزيفين :

" ظهر في زماننا أناس يجهلون أركان الإسلام البيّنة ، ويرتدون ملابس الفقراء ويدّعون أنهم مطّلعون على السر. إنهم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلا. والدليل على جهلهم هو أنهم يتعدون عن أسلافهم قولاً وعملاً ، ويسلكون بالكذب وهم حلفاء الأحداث ".

وبعد أن يصرح بأن الزهد هو السبيل الوحيد إلى تحقيق غاية التصوف ، ينهي حسن رسالته بالحثّ على الصيام والصلاة والعزلة. وعلى الرغم من أن مثل هذه المعتقدات قد منحته لقب قامع البدعة

وناصر السنة [54]، على نقش في القاهرة، فإنه لم يكن يبدو يعارض بنفس القدر من الحزم الذي كان يعارض به أسلافه المدّ المتطرف الذي يزداد تهديده يوماً بعد يوم. فيقول ابن تيمية : إن العدوية ابتدعت معظم أخطائها في عهده. وتظهر رواية لابن شاكر أنه إذا لم يكن حسن نفسه من أهل البدعة، فإنه قلما كان ميّالاً لتخفيف غلو أنصاره فيه : " وله أتباع ومريدون يبالغون فيه قال الشيخ شمس الدين الذهبيّ بينه وبين الشيخ عدي من الفرق كما بين القدم والفَرْق وقد بلغ تعظيم العدوية له أنه قدم عليه واعظ فوعظه حتى رقّ قلبه وبكى وغشي عليه فوثب الأكراد على الواعظ فذبحوه ثم أفاق الشيخ حسن فرآه يتشحّط في دمه فقال ما هذا فقالوا له أيش هذا الكلب حتى يبكي سيدنا الشيخ فسكت حفظاً لدسته وحرمته " [55].

وربما تكون تطلّعات حسن السياسية هي التي أملت عليه المجاملة التي كان يظهرها إزاء الغلاة. ويذهب أبو الفراس عبيد الله [56] أبعد مما ذهب إليه ابن شاكر، فيتهم بصراحة رئيس العدوية بالعمل على نشر البدعة الناشئة، ويقول : " وقد كان أضل هؤلاء الجهّال (اليزيديين) في الدخول في هذه الضلالة والبدعة هو حسن بن عدي من سواد الموصل، استغوى وأضلّ خلقاً كثيراً ووصلت رسله بالضلالة والدعاء إلى مذهبه المبني على الغي والجهالة إلى بلدة هيت [57] والكبيسات [58] من تلك الخطة فغلبوا على رأي جماعة من جهات تلك النواحي... ".

هناك احتمال ضئيل أن يكون حسن قد كرّس نفسه لمثل هذه الدعاية، وخاصة أن يكون قد أرسل رسله إلى منطقة بعيدة باتجاه

الجنوب، لم يُشر أحد، باستثناء عبيد الله، إلى وجود اليزيدية بها. ومهما يكن من أمره فقد أقلق سلوك الشيخ حسن أتابك الموصل لدرجة أنه قرر أن يرسل قواته إليه، فسجن حسن عام 1254 – 1255، وأعدم [59].

لقد كان هذا الاضطهاد الأول أبعد من أن يعيد العدوية إلى الطريق القويم، وساهم بالتأكيد في جعل معتقداتهم أعز عليهم [من ذي قبل] وفي الدفاع عنها بالأسلحة. ومنذ ذلك الحين تحولت هذه البدعة الإسلامية شيئاً فشيئاً إلى دين جديد، بعد أن تلقت الدفع [اللازم].

تشكّل العقيدة اليزيدية

بعد مضي أقل من قرن على وفاة حسن، أعلن العدوية ميولاً مشبوهة لدرجة أن علامة مثل ابن تيمية (1263 – 1328) وأبي الفراس عبيد الله بن شبل، كانا يريان أن عليهما تذكيرهم حتى بأبسط المبادئ الأولية في الإسلام.

وإن الرسالة العدوية التي ألفها ابن تيمية [60]، وكتاب الرد على الرافضة واليزيدية المخالفة للملة الإسلامية لأبي الفراس [61]، هما سندان قيمان يظهران لنا بوضوح كافٍ فيمَ كانت العقيدة اليزيدية تبتعد عن شريعة القرآن. وسنحاول على ضوء هذه النصوص أن نعيد بناء معتقد الطائفة خلال هذه المرحلة الأولى من تطورها.

وعلينا من دون شك ، ألا نأخذ بعين الاعتبار اتهامات ابن تيمية للعدوية بتشبيه الإله بالإنسان و بالحلولية في الصفحات الأولى من رسالته : فهي غامضة جداً ولا يُمكن الاعتماد عليها ، وهي صادرة عن شخص مجادل لا يتردد أبداً في صياغة مثل هذه المآخذ على خصومه[62]. لقد بقي اعتقاد الإمامة في يزيد البند الأساسي لعقيدة أكراد هكاري [63] ، حتى أن البعض جعلوا منه نبياً [64]. وقد لقي هذا الغلوّ الاستهجان من عبيد الله؛ إذ يقول في عبارات متشددة : " وتمسّك هؤلاء الجهّال بحب يزيد والإطراء منه جهلاً منهم وعدم علم بحقيقة حاله حتى إنهم يقولون لفرط هواهم وضلالهم : من لم يحب يزيد يحلّ لنا دمه وماله ولا تجوز الصلاة خلف أئمة الجمهور وتأخروا عن حضور الجمعة " [65]. وكذلك عيّر ابن تيمية العدوية بالعيوب ذاتها[66] ، فبعد أن وقف مطولاً وخلال صفحات عديدة عند مسألة يزيد ، خلص إلى القول : إن " يزيد عند علماء أئمة المسلمين ملك من الملوك لا يحبونه محبة الصالحين وأولياء الله ولا يسبونه " [67].

وعندما حققت العدوية أولى نجاحاتها ، زاد تعظيم الأكراد لعدي وخلفائه على تعظيمهم ليزيد. فقد شهد مؤسس هذه الطريقة ، خلال حياته ، تعصّب المريدين لعمله : يروي كتاب قلائد الجوهر أن الشيخ عدي كان يتناول الطعام في حضرة مريديه حتى يقنعهم بأنه رغم كلّ مكرماته ، يبقى بشراً كغيره ، يخضع للضرورات الطبيعية. وبعد موته لم تكف الروايات عن المبالغة في فضائله وكراماته. وسرعان ما صار

أتباعه يعظمونه ويجعلونه كبير الأولياء. كما أن كتاب مناقب الشيخ عدي بن مسافر ، الذي ألفه أحد أفراد الطريقة خلال القرن السابع أو الثامن الهجري [68] ، ينسب إلى الشيخ أقوالاً لا شك في أنه لم ينطق بها، لكنّها تعبّر بوضوح عن الحالة الروحية لأنصاره : فعلى سبيل المثال ، نجد عدياً يصرّح أن زيارة زاويته الخاصة أفضل من حج مكة وطوافها. ومن المحتمل أن يكون المأثور الشفهي قد مضى إلى أبعد من ذلك بكثير.

يقيم ابن تيمية صلة واضحة جداً بين إجلال يزيد وعائلة الشيخ عدي ، فنجد في الفصل المخصص للخليفة الأموي من الرسالة العدوية، مثل هذا المقطع : " ويروون عن الشيخ حسن بن عدي أنه كان كذا وكذا ولياً وقفوا على النار لقولهم في يزيد وفي زمن الشيخ حسن زادوا أشياء باطلة نظماً ونثراً وغلوّاً في الشيخ عدي وفي يزيد بأشياء مخالفة لما كان عليه الشيخ عدي الكبير قدّس الله روحه فإن طريقته كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع " [69]. وفي موضع آخر يقول الكاتب : " وكذلك الغلوّ في بعض المشايخ إما في الشيخ عدي ويونس القني [70] أو الحلاج [71] وغيرهم [72] ".

على أن الرسالة لا تقدم أي توضيح حول طبيعة هذا الغلوّ العدوي ، لكننا نستطيع أن نفترض أن بعض أتباع الشيخ عدي كانوا يعتبرونه نبياً[73] ، و بعضهم كانوا يؤلهونه [74] ، وآخرون كانوا يعتقدون أن عدياً وخلفاءه ربّما كانوا ملائكة في أجساد بشرية [75] : ومن المفترض

أن هذا الرأي هو الذي سينتصر أخيراً. و إذا أردنا أن نحكم من خلال عدم التجانس الذي يبديه المعتقد اليزيدي الحالي ، فهناك احتمال كبير أن تكون هذه التصورات الثلاثة قد أقرّت معاً. ولم يكن على عدوية القرن الثالث عشر أن يهتموا ، مثل ذريتهم في القرن العشرين ، بتناقضات من هذا النوع لأن الممارسات التي كانوا يعبّرون بها عن عبادتهم ، كانت تبدو لهم أهمّ من مسائل المعتقد. إن زيارة مقامات المشايخ والاحتفالات التي كانت ترافقها [76] قد أنست اليزيديين واجباتهم كمسلمين. و لطالما ذكرهم صاحب الرسالة بالواجبات التي فرضها الإسلام عليهم؛ إنه يحثّهم على الصلاة والصيام [77]. لكنّ نصائحه ، لسوء الحظ ، جاءت متأخرة جداً؛ فمنذ ذلك الوقت كان الغلوّ العدوي قد اتخذ مسلك دين مستقل ، ولم يعد غلاة العدوية يولون وجوههم شطر مكة عند الصلاة ، بل صاروا يتخذون جهة لالش بدلاً منها [78] وقد ذكر ابن تيمية ممارسات أخرى ، جميعها يستوجب العقاب ، فيقول : " فكل من غلا في حيّ أو في رجل صالح مثل علي رضي الله عنه أو عدي أو نحوه أو في من يعتقد فيه الصلاح كالحلاج أو الحاكم الذي كان بمصر أو يونس القني ونحوهم وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان ما أريده [79] أو يقول إذا ذبح شاة باسم سيدي أو يعبده بالسجود له أو لغيره أو يدعوه من دون الله تعالى مثل أن يقول يا سيدي فلان اغفر لي أو ارحمني أو انصرني أو ارزقني أو أجرني أو توكلت عليك أو أنت حسبي أو أنا في

حسبك أو نحوه هذه الأقوال أو الأفعال التي هي من خصائص الربوبية التي لا تصلح إلا لله تعالى فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب و إلا قتل فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لنعبد الله وحده لا شريك له ولا نجعل مع الله إلهاً آخر " [80].

ولا نجد في الرسالة المذكورة ، إلى جانب هذه التلميحات إلى عبادة العدويين لمؤسس طريقتهم ، ما يجعلنا نفترض وجود طقوس مماثلة تؤدّى ليزيد. وهكذا ، فإن هذه الشخصية التي كانت خلال أمد طويل الموضوع الأساسي لعبادة الطائفة ، تراجعت تدريجياً إلى المرتبة الثانية في البانثيون اليزيدي ، بعد أن تجاوزها الشيخ عدي. لقد كان يزيد بالنسبة لأنصاره الأكراد ذاتاً خرافية ، لا يربطه بالبلد أي رابط واقعي؛ وقد تلاشت ذكراه رويداً رويداً. وبالعكس ، فإن كل قبة من القبتين المأتميتين اللتين كانتا تصبغان منحدرات وادي لالش باللون الأبيض تحيي في أذهان الشعب ذكرى الرؤساء الأوائل للجماعة؛ إنهم حاضرون ، فيما وراء الموت ، في الأماكن التي عاشوا بها ، ومنهم فقط يأمل المؤمنون في الحصول على النعم كلها. لقد أدرك خصوم العدوية أن مثل هذه الممارسات تشكل حجر الزاوية في بناء الدين الجديد ، فقام أمراء المسلمين ، الذين حاولوا إعادة اليزيديين إلى الإسلام، بتدمير قبر الشيخ آدي مرتين في عامي 5-1254م و1414م[81].

تظهر المعطيات التي يقدّمها ابن تيمية وعبيد الله أنه في نهاية القرن الثالث عشر ، كان المعتقد اليزيدي قد جمع معظم العناصر المكونة له. مع ذلك ، نلاحظ أنه لا الرسالة العدوية ولا كتاب الرّد على الرافضة و اليزيدية ، لا يلمّح أيٍ منهما إلى عبادة الشيطان المزعومة التي ستصبح لاحقاً أحد الأركان الأساسية لعقيدة اليزيدية. ولا شك أن هذه العبادة لم تظهر إلاّ في عهد أكثر تأخراً [82].

إلى جانب اعتقاد الإمامة في يزيد والولاية في عدي ، وإلى جانب ردّ الاعتبار للشيطان ، فمن المناسب أن لا ننكر الدور الذي لعبه في تشكل النظام اليزيدي هذا الأساس الخرافي ، الذي لم يدرس دراسة وافية إلى الآن ، والذي أعطى للتسنن الكردي مظهراً خاصاً [83]. ومما لا شك فيه أن بقاء هذا الأساس الفلكلوري ساهم إلى حد كبير في إخفاء المظهر الإسلامي السطحي البرّاق الذي كان يسمح لسكان جبل هكاري بادعاء الإسلام.

لقد فاتتنا تفاصيل هذا التطور الذي نقل اليزيدية من هذه المرحلة الأولية إلى حالتها الراهنة. فالواقع أن أغلب الكتاب الشرقيين الذين عالجوا هذا الدين ، لم يستخدموا سوى معلومات مضللة ليست بذات قيمة [84] والوثيقة الوحيدة ذات القيمة التي نمتلكها غير مؤرّخة [85]. مع ذلك ، فمن المؤكد أن اليزيدية ، حتى بداية القرن السادس عشر ، احتفظوا بذكرى أصولهم. ولدى جميل آغا ، زعيم التجمع اليزيدي في سوريا [86]، وثيقة مخطوطة كتبها سنة 921 هـ (1515 - 1516 م)

أحد أفراد قبيلة الدنبلية، وهي تبدأ بذكر العديد من الآيات القرآنية ، وتحتوي سلسلة نسب الشيخ عدي وكذلك قائمة بأسماء مريديه [٨٧] تثبت هذه الوثيقة أن أتباع الطائفة كانوا ، في هذا العصر ، على وعي بانتمائهم إلى المجتمع الإسلامي. ولا شك أن الاضطهادات المتكررة التي عاناها اليزيديون لاحقاً أتمت فصلهم وإبعادهم عن الإسلام.

هوامش الفصل الأول :

(1) Nau , note sur la date et la vie de cheikh 'Adi.

(2) راجع أحمد تيمور ، اليزيدية ومنشأ نحلتهم؛ عباس العزّاوي ، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم.

(3) Guidi , Origine dei yezīdī e storia religiosa dell Islame e de'l dualismo , ainsi que nuove ricerche sui yazidi.

(4) سنكتب الاسم (عدي) عندما يتعلق الأمر بالشخصية الإسلامية و(أدي) عندما يتعلق الأمر بالولي اليزيدي.

(5) Guidi , op. cit.,p. 270-80.

(6) كان الخليفة مروان ابن أمة كردية (راجع دائرة المعارف الإسلامية ، مقالة الأكراد).

(7) راجع الشرفنامة ، ص 339.

(8) Guidi , op. cit.,p. 391.

(9) راجع دائرة المعارف الإسلامية ، مقالة الأكراد.

(10) راجع السمعاني ، نقل عنه عباس العزّاوي ، م. س ، ص 12.

(11) راجع ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص 273.

(12) سلاستروس ادوليس Celastrus edulis؛ بعض الصوفيين كان يستعمل هذه النبتة كي يتحمل بسهولة أكثر تعب الصوم : راجع عباس العزاوي ، م.س ، الهامش 2.

(13) السمعاني ، نقل عنه عباس العزاوي ، م. س ، ص 9 و ص 10. وفي وسط هذه التداعيات أقام الشيخ عدي بن مسافر في بداية القرن السادس الهجري.

(14) بحوزتنا ملخصات عدة عن ترجمة حياة هذا الولي وقد نقل أحمد تيمور أغلبها في كتابه (12-17): أطول ملخصين منها يزوّدنا بهما كتاب مناقب الشيخ عدي بن مسافر (حلله فرانك Frank في كتابه : "Scheikh Adī , der groze Heilige der Yezidis") وكتاب بهجة الأسرار.

(15) يحيط كتاب السيرة ولادة هذا الولي بظروف إعجازية أحياناً. فحسب رواية يذكرها عباس العزّاوي (م. س ، ص 29 – 30) اعتزل مسافر العالم خلال ثلاثين عاما ليذلّ نفسه في الوحدة ، ولمّا أتمّ هذه المدة تلقى في منامه أمراً بالعودة إلى بيته ليخلف من يفترض أن يكون الشيخ عدي.

(16) راجع أدناه ، الملحق رقم 1.

(17) المتوفى في بغداد عام 563 هـ ، ومؤلف كتب تصوفية عدة.

(18) كتب الغزالي إحدى رسائله نزولا عند رغبة الشيخ عدي (Cf.Frank , op. cit., p 42-43.)

(19) Cf. Frank op. cit., p86-7.

(20) راجع ابن خلكان ، أ. تيمور ، م. س ، ص 14 – 15.

(21) راجع بخصوصه : بهجة الأسرار ، ص 144-146. كان يقطن حي المظفرية ببغداد ويتمتع بشهرة واسعة كولي في هذه المدينة. وقد توفي فيها عام 525 هـ ودفن في مقبرة الشونيزية ، وبقي قبره مزاراً خلال أمد طويل. وكان كذلك أستاذاً لعبد القادر الجيلاني. وينسب إليه كتاب بهجة الأسرار العديد من الكرامات ويروي حكاية تبين أنه كان على جانب كبير من الورع والتقوى.

(22) راجع بخصوصه : بهجة الأسرار ، ص 144 – 146 ، والشعراني الطبقات الكبرى ، ج 1 ، ص 151. كان يقيم في منبج ، وقد منحته ملكة الانتقال عبر الفضاء لقب الطيّار. وحسب بهجة الأسرار كان الشيخ عقيل أول من أدخل الخرقة العمرية إلى سورية. وقد احتفظ المأثور اليزيدي بذكرى هذه الشخصية : راجع اسماعيل بك چول ، م. س ، ص 107.

(23) راجع بخصوصه بهجة الأسرار ص 142-143 ، والشعراني م. س ، ص 149 – 150. كان كردي الأصل ويقطن قرية قليمين ، تتلمذ على أبي محمد السُنبُكي وجمع حوله أربعين مريداً منهم سبعة عشر أميراً. ووفقاً لبهجة الأسرار كان أول من تلقى تاج العارفين. توفي بعد عام 500 هـ عن عمر ينوف على 90 عاما. وقد كان للشيخ عدي شرف غسل جثمانه (راجع بهجة الأسرار ، ص 150).

(24) راجع أدناه الملحق رقم 1.

(25) نقلا عن (Frank , op. cit., p. 82)

(26) لا نعرف التاريخ الذي يتموضع فيه هذا الانقطاع عن العالم. ويبدو أنه حوالي سنة 500 هـ : في الحقيقة ، إن رسالة الغزالي التي ذكرناها في الصفحة 22 ، الهامش رقم 5 ، والتي لم تسبق بالضرورة عام 505 هـ تاريخ وفاة الكاتب ، تُلحق باسم عدي نسبة " الهكاري ". صحيح أن هذه النسبة قد تكون محرّفة؛ إلا أننا مضطرون لأن نقبل بوجود هذا الولي في منطقة جبل الهكارية منذ السنوات الأولى من القرن السادس الهجري ، لأننا نعرف أنه حضر جنازة أبي الوفاء التي نفترض أن تكون في تلك الآونة تقريباً. ومن الممكن أن يكون الشيخ عدي قد عاد إثر ذلك إلى بغداد ليرافق صديقه عبد القادر الجيلاني (509 هـ) إلى مكة.

(27) يجب ألا يغيب عن بالنا أن العديد من الصوفيين الأكراد كانوا على الأغلب يلتقون في هذه المنطقة: أبو بكر بن عبد الحميد الشّباني الخبازي (بهجة الأسرار ، ص 230) ، وأبو محمد السُنبُكي (بهجة الأسرار ، ص 134 وما يليها؛ الشعراني ص 147) وسويد السنجاري (بهجة الأسرار ، ص 177 – 180) ، ومطر الباضراني (بهجة الأسرار ، ص 163 – 165) ، ومجيد الكردي (بهجة الأسرار ، ص 165 – 168) الذي كان هو أيضا مريداً لأبي الوفاء. وقد استطاع حضور هذه المجموعة أن يجتنب الشيخ عدي إلى حدٍّ ما.

(28) Frank , op.cit,p.62

(29) أعطى فرانك Frank تحليلاً لهذه النصوص غير منشور إلى الآن وسنسير على هدي ملخصه.
(Cf.op.cit,p10-28)

(30) سورة الإسراء ، الآية 66 وسورة الشمس ، الاية 91 و سورة النساء ، الآية 80 .

(31) بهذا يقف الشيخ موقف المعارض للقدرية. ولئن كان المعتقد اليزيدي يحوي عناصر ثنوية فهو لا يدين بها إذن لهذه المدرسة ، على عكس ما يفترضه عباس العزّاوي (راجع ، المصدر السابق ، ص60)

(32) في الوقت نفسه يقرّ الشيخ ولاية الخلفاء الأربع الراشدين كما يقبل بخلافة معاوية قائلا : " كان معاوية وعلي إمامين حسني النيّة. وقد تقاتلا لأنهما كانا يبحثان بحماس عن الحق وليس لأنهما كانا يرميان إلى إشباع رغباتهما ولم يكن أحدهما يريد قتل أخيه. وخصومهما جميعاً في الجنة "

(33) هذه الاتهامات المتكررة للبدعة ربما تكشف القلق الذي كان يساور الشيخ عدي من جرّاء التقدم الذي أحرزه الغلوّ الأموي على مرأى منه هذا الغلوّ الذي كان الشيخ مضطراً لتشجيعه بوجوده وسط أناس متعصبين.

(34) يقدّم لنا كتاب مناقب الشيخ عدي الذي حلّله فرانك ، قائمة طويلة بكراماته : كان الشيخ يأمر الأفاعي والوحوش الكاسرة ويسيطر عليها (Frank , p26) وكان بمقدوره قراءة أفكار محاوريه (p. 57) وتفجير الينابيع في الأراضي القاحلة وتخصيبها (p.58 et p.80).

وقد وضع يده على صدر خادمه ذات يوم فحفظ القرآن عن ظهر قلب (p.59) ، ثم حمله فوراً إلى "الجزيرة السادسة في المحيط " (ibid). وكان يعرف كيف يثير الرؤى لدى مريديه ويظهر وجوه أشخاص غائبين في المرآة (p.59-60) ، كما كان يردّ البصر إلى العميان (p.61) ويتحول إلى شخص لا مرئي بمشيئته (ibid) ، ويقصّر المسافات (ibid). وقد أحيا ذات مرّة كرديا كان قد سحق لتوه تحت إحدى الصخور (p.62) وكان ينقل الجبال من أماكنها بقوة الكلام فقط (p.62) ، كما كان مطلعا على الأفعال والأفكار الأكثر سرية للغائبين (p.63 et p.68). وكان قد تلقى من الله وثيقة تحميه ومريديه من نار جهنم (p.65) وكانت الكعبة تأتي لزيارته في خلوته (p.65) وكان يكلم الموتى (p.66) وكانت تحمله عربة من النور عبر الجوّ (p.69) وقد كشف بكرامة أنّ أحد مريديه سجين لدى الفرنجة فنقله إلى طرابلس في أقل من ليلة (p.69et ss) وكان يعرف الكلمات السحرية التي تفتح بها الأبواب (p.74) وكان يعكس مجرى الأنهار (p.77) وكانت لديه ملكة مشاهدة ما يجري على بعد (p.77 et 79).

(35) كان الأمراء يجلّونه بقدر ما كان أفراد الشعب يجلّونه ، وكانت له صلة مع حاكم أربيل (راجع أحمد تيمور ، م.س ، ص 15).

(36) يقدّم لنا كتاب المناقب قائمة بأسماء مريدي الشيخ عدي : وهذه القائمة تتوافق ، دون شك ، مع القائمة التي ننشرها أدناه (راجع الملحق 1). وإذا ما سلّمنا بصحة نسبهم ، فإنّ بعض مريديه يعودون بأصولهم إلى بلاد بعيدة بما فيه الكفاية. وقد كان لدى الشيخ عدي أربعون مريداً ، وتنسب الروايات العدد نفسه من

المريدين إلى شيوخ آخرين من مثل أبي الوفاء أو علي بن وهب السنجاري. ومن جهة ثانية ، يلعب الرقم أربعون دوراً هاماً في الدين اليزيدي : راجع أدناه ، صومي الأربعين يوماً لدى الفقراء Feqîran، و الأربعين ألف سنة التي قضاها الله في الدرّة البيضاء التي خلقها ، وفرسان فرخدين Ferxedîn الأربعين ، وحكم عيسى لمدة أربعين عاماً الذي يسبق نهاية العالم.

(37) راجع أدناه ، التنظيم الديني.

(38) نقلها Frank , op.cit , p.48

(39) نقلها Frank , op.cit , p.48

(40) كتاب المناقب ، نقل عنه Frank , op.cit , p.63

(41) كان هذا الارتباط يأخذ مظهر القرابة التصوّفية أحياناً : راجع أدناه ، التنظيم الديني ، فكرة أخ الآخرة (brayê axêretê) المؤثرة التي ما تزال باقية لدى اليزيدية.

(42) راجع أدناه التنظيم الديني. كل يزيدي " مرتبط بخمسة التزامات " :

أن يكون له رب (Usta ، حرفيا المعلم) وشيخ ، وبير (Pîr) ، وأخ في الآخرة (brayê axêretê) أو yar : صديق) ومرب (murebbî).

(43) حيث كان أتباعها كثيري العدد بما يكفي ليكونوا مرهوبي الجانب : راجع أدناه ، التاريخ.

(44) لنكتب مقطعاً من كتاب المناقب الذي ترجمه فرانك : (Frank , op.cit , p.78)

" Abdallāh ist der erste der den Namen des Scheich Adi in persischen Länder allgemein Bekannt gemacht hat,und viele Leute wurden seine Anhänger ".

(45) منهم بعض أفراد عائلة الشيخ عدي (راجع أحمد تيمور ، م.س ، ص 39-40). وربما كانت الجماعة موجودة حتى نهاية القرن الثامن عشر : إذ أن أحد المخطوطات التي استخدمها فرانك كان مكتوبا بخط يد الشافوني (المتوفى عام 1788) الذي يدعو الشيخ عدي بـ " سيّدي ". مما يبدو أنه يشير إلى انتماء الناسخ إلى العدوية (Frank,op.cit.,p.32).

(46) شقيق الشيخ عدي

(47) بهجة الأسرار ، ص 215.

(48) ينسب إليه كتابا بهجة الأسرار وقلائد الجوهر أقوالا مأثورة موجّهة إلى غلاة العدوية وقد جمعها عباس العزّاوي في كتابه (م. س ، ص42 -45).

(49) مثل عمر بن محمد المعدني وأبي محمد عبد الله الدمشقي وأبي الفتح نصر بن رضوان بن مروان الدراني وعلي الحميدي الشيباني وأبي البركات بن معدن العراقي ، الخ...... " راجع عباس العزّاوي ، م. س ، ص 45 ".

(50) راجع أدناه ، التاريخ.

(51) راجع أحمد تيمور ، م. س ، ص 20.

(52) وهو بالتأكيد غير كتاب الجلوة المنسوب إلى اليزيدية الحديثة والذي لا يتعدى نصه بضع صفحات ، ولا تؤيد كتابته عزلة بمثل هذا الطول. ثم إن مضمون الكتاب المقدس المزعوم لا يتفق في شيء مع ما كان بوسع حسن أن يكتبه.

(53) Cf. Frank , op. cit , p. 46-50

(54) راجع أحمد تيمور. م. س ، ص 34.

(55) نقل عنه أحمد تيمور ، م.س ، ص 19.

(56) نقل عنه عباس العزّاوي ، م.س ، ص 81-82.

(57) تقع هيت على ضفة الفرات في ولاية بغداد على مقربة من الأنبار (راجع ياقوت الحموي ، ج4 ، ص 997).

(58) تقع الكبيسات على بعد أربعة أميال من هيت (راجع ياقوت الحموي ، ج4 ، ص 235).

(59) راجع أدناه ، التاريخ.

(60) الباب السابع من مجموعة الرسائل الكبرى (ج1،ص262-317). و هذا النص يتطلب استخدامه منا الحذر والتنبه. وعلينا ألا ننسى أن تصلب الكاتب بشأن الدين يجعله أسيرا لمرات متتالية؛ فمن المعلوم أن ابن تيمية كان خصما حازما لجميع الصوفيين. وهذه الرسالة تتضمن إلى جانب التأكيدات العامة تلميحات واضحة إلى درجة تجعلنا نعتقد أنها مبررة. وفي منهاج السنة (ج2،ص237 وما يليها) يعود ابن تيمية إلى مسألة العدوية ، ولكن دون أن يقدم أي عنصر جديد.

(61) تمّ تأليف هذا الكتاب سنة 725 هـ (1325 م) ، وظلّ غير منشور إلى أن جاء عبّاس العزّاوي وقدّم تحليلا موجزا له في كتابه (راجع العزّاوي ، م.س ، ص 81-83).

(62) يذهب عبيد الله إلى أن اليزيديين الأوائل قاموا ، زيادة على ذلك ، بتعليم مذهب خاص حول طبيعة القرآن : " ما استحوذوا (أي رسل حسن بن عدي ، راجع أعلاه ، ص36) على عقول سخيفة وآراء واهية ضعيفة فاضلوها وشكلوا في أذهانهم الجامدة وعقولهم الناقصة الفاسدة أن الشكلة والنقطة من القرآن المجيد ومن لم يقل بذلك فهو عندهم كافر ضال ، ثم يتكلمون في ذلك وليس فيهم من يصحّ قراءة الفاتحة ولا يعرف قبيله من دبيره ، وإنما يقلدون حسن بن عدي الضال المضلّ ". (ذكر العزّاوي هذا النص في كتابه الذي سبق ذكره ، ص83).

(63) هذا الاعتقاد سابق لاستقرار حسن بن عدي في المنطقة ، وربما أقرّه هو نفسه : راجع أعلاه ، ص26 ، الهامش3 ، رأيه في معاوية.

(64) راجع ابن تيمية ، منهاج السنة ، ج2،ص246.

(65) ذكره عباس العزّاوي ، م.س ، ص82.

(66) راجع ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص299.

(67) راجع ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص302.

(68) Cf. Frank ,op.cit.,p.82-83.

(69) راجع ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص300.

(70) ولد يونس بن يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي القني في قنيّة Qunayya قرب ماردين ، وقد أسس الطريقة اليونسية التي وصل انتشارها حتى دمشق ، وتوفي في مسقط رأسه سنة 619 هـ عن عمر يناهز التسعين عاماً. يقول ابن خلكان إنه قام برحلة إلى سنجار ، (راجع وفيات الأعيان ، ج2 ، ص556).

(71) من الممكن أن تكون بعض العلاقات قد قامت بين أتباع الحلاج وأتباع الشيخ عدي. ففي القرن الخامس الهجري ، انصهر آخر ممثلي الحلاجيّة في القادرية (Cf. L.Massignon , La passion d'al Hosayn ibn Mansowr al Hallaj). ومعلوم لدينا أنه كانت هناك صلات بين الشيخ عدي والشيخ عبد القادر. على كلّ حال ، فالحلاج معروف لدى اليزيدية. راجع الفصل القادم الدور الذي ينسب إليه في حكاية تتعلق بنهاية الكون؛ وهناك أيضاً مقام شهيد بغداد (الحلاج) بالقرب من مرقد الشيخ آدي (راجع إسماعيل بك جول ، م.س ، ص77 و L.Massignon , op.cit.,p398).

(72) راجع ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص287.

(73) راجع ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص310 : " وكذلك من اعتقد أن أحداً من أولياء الله يكون مع محمد صلى الله عليه وسلم كما كان الخضر مع موسى عليه السلام فإنه يستتاب فإن تاب و إلاّ ضربت عنقه ".

(74) " فمن اعتقد في بشر أنه إله أو دعا ميتاً أو طلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه أو سجد له فإنه يستتاب فإن تاب و إلا ضربت عنقه " (ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص309).

(75) " وأما المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله فأعظمه الشرك بالله وهو أن يدعو مع الله إلهاً آخر إما الشمس و إما القمر أو الكواكب أو ملكاً من الملائكة أو نبياً من الأنبياء أو رجلاً من الصالحين أو أحداً من الجن" (ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص312).

(76) كما هي عليه اليوم : طواف وصلوات وأغان ورقصات. وقد استنكر ابن تيمية الموسيقى الدينية (راجع ، الرسالة العدوية ، ص315).

(77) راجع بداية الرسالة والصفحة 315.

(78) " وجاوز حسن اعتقادهم فيه [في الشيخ عدي] الحدّ حتى جعلوه قبلتهم التي يصلون إليها " (ابن خلكان ، نقلا عن أحمد تيمور ، المصدر المذكور ، ص14).

(79) يقارن مع مقطع للمقريزي ، فيقول عن عباس العزّاوي (المصدر المذكور ،ص73) : " غلوا فيه – في الشيخ عدي – وبالغوا في أتباعه لدرجة أنهم صاروا يعتقدون فيه أنه يرزقهم وأنهم لا يقبلون رزقاً من سواه ويحكون أن عدياً جلس مع الباري تعالى وأكل معه خبزاً وبصلاً " . (البصل طعام مفضّل لدى الأكراد).

(80) راجع ابن تيمية ، الرسالة العدوية ، ص288.

(81) راجع أدناه ، التاريخ.

(82) راجع أدناه ، الفصل التالي.

(83) راجع بهذا الشأن التحليل الدقيق لـ : B.P.Nikitine , Une apologie Kurde du Sunnisme.

(84) راجع على سبيل المثال المقطع الذي نقله عباس العزّاوي عن دبستان المذاهب (العزّاوي ، م.س ، ص22 وما يليها) وكذلك مقطع لأولياء جلبي: Evliya Çelebi traduit par Menzel (Ein Bei tragzur Kenntniss der Yeziden).

(85) هي (رسالة) الملا صالح التي نشرها Rescher : Rescher , Orientalische Miszellen,t II , p. 30-37.

حسب هذه الوثيقة كانت الجماعة اليزيدية مقسّمة بين اتجاهات ثلاثة :

الأول يقرّ بألوهية الشيخ عدي ، والثاني يدعي أن القدرة الكلية موزّعة بين الله وهذا الشيخ ، أما الثالث فيصرّح أن الشيخ هو الوزير الكليّ القدرة لله.

(86) راجع أدناه ، يزيدية سورية.

(87) نعيد نسخ نصّ هذه الوثيقة أدناه (راجع الملحق رقم 1).

الفصل الثاني

اليزيدية الحديثة

نستعرض في الصفحات التالية العناصر المكوّنة لمعتقد اليزيدية الحديثة الذي يكاد يخلو من الانسجام ، دون أن ندّعي إعادة بناء هذا النظام بصورة منسجمة. بادئ ذي بدء ندرس طبيعة الكيانات التي تسكن البانثيون اليزيدي، والدور الذي ينسب إليها في المأثور اليزيدي ، ثم ندرس الالتزامات الدينية المفروضة على أتباع الطائفة ، وأخيراً ندرس الطقوس الشعبية التي تضاف إلى الممارسات التي تقضي بها اليزيدية.

الإله والملائكة

إن اليزيديين يعبدون إلهاً (Xudê) واحداً في غاية الطيبة ، يشبه الآلهة الأبيقورية ، ولا يهتم بأمور الدنيا إلا من بعيد ، فقد عهد بسلطاته إذن إلى الملائكة الذين يساعدونه. يتفق الجميع على أن هذه الملائكة سبعة ، غير أن الإجماع يختفي ما إن يتعلق الأمر بوضع قائمة بأسمائها؛ إذ تختلف اللوائح التي نحصل عليها باختلاف الأشخاص الذين اعتمدناهم كمصادر .

ذكر لنا علي اوسو[1] Wûso في البداية : المَلك طاووس Tawûsê Melek [2] ، والسلطان ايزي Sultan Êzî ، وعيسى ابن النور الإلهي وابن مريم [3] ، وعزرائيل ، وجبرائيل ، وشي شمس Şê Şims [4] ، وشي فرخدين Ferxedîn [5]. وخلال حديث ثان معه أحلّ سجادين محل عيسى والشيخ آدي محل فرخدين. بينما لم يتمكن علي قاسمكو من الهبابات Hebbabat (سنجار) من ذكر سوى خمسة ملائكة هم : الملك طاووس و ايزي وشيخ آدي وشي شمس وعيسى الذي يقول عنه إنه يقيم في النور. وأمّا الشيخ أيوب خلف من تل عشق (الجزيرة السورية) ، فقد عدّ لنا : الملك طاووس ، وممي شفان Memê Şivan (الذي يقوم بحماية القطعان) ، وآمادين وسجادين ، وشي عبد القادر (شقيق الشيخ آدي) وأخيراً السلطان ايزي. على أن عجوزاً من الشرقيان Şerqîyan (الجزيرة السورية) أعلن لنا بجهله أن الملك طاووس لم يكن مَلَكاً.

وتماثل بعض الروايات بين الملائكة اليزيدية والملائكة المسلمة. ففي قائمة ينشرها اسماعيل بك [6] : شي شمس مماثل لعزرائيل ، وشي فرخدين لدردائيل ، وآمادين مماثل لميكائيل ، وسجادين لزرزائيل ، وسلطان ايزي لنورائيل. وفي ترجمة الكاتب ذاته للمصحف الأسود Mishefa Reş [7]، أمادين يصبح إسرافيل ، و ميكائيل يصبح شيخو بكر [8].

إن مثل هذه المقاربات تشكّل في الوقت الحالي معتقداً علمياً ، يجهله العامة تماماً ، وهو على وشك التعرض للنسيان بشكل نهائي (كما يثبت ذلك ترددات اسماعيل بك چول). ومع ذلك ، فقد لعبت هذه المطابقات بوجه الاحتمال دوراً مهماً في تشكيل العقيدة اليزيدية ، حيث نرى محاكاة واضحة بين أسماء بعض الملائكة اليزيدية وأسماء بعض خلفاء الشيخ عدي [9]؛ و ربما كان العدوية يجاهرون في وقت ما بأن زعماءهم الدينيين كانوا كذلك تجسّدات ملائكية [10].

يعتقد اليزيدية في وقتنا الحاضر أيضاً أن ملائكتهم يهبطون دورياً إلى الأرض كي يسنّوا قوانين جديدة للأمم " وفي كل مدة ألف سنة يستولي على الأرض أحد ملائكة السبعة ويبين آيات وقوانين للأمة اليزيدية وباقي طوايف العالم ، ثم يصعد مكانه إلى بيت المقدس " [11]. وأغلب الملائكة الذين تحولوا إلى أشخاص تركوا خلفاء في الأرض ، فشكلت ذرّيتهم عائلات الشيوخ [12].

مع أنّ الكائنات العليا التي تبجّلها اليزيدية لا تملك في غالبيتها إلا مزايا غامضة جداً ، فإنّ اثنين من بينها يشدّان الانتباه هما الملك طاووس والسلطان ايزي.

الملك طاووس

من بين كل القوى التي يجلها أفراد الملّة اليزيدية ، طاووس ملك هو الذي يتصدى للمشكلات الأخطر. هناك فكرة شائعة تجعل من الملك

طاووس شيطان الديانة المسيحية أو الإسلامية [13]؛ وهو فعلاً المَلَك المضرّ من بين الملائكة اليزيدية ، لأن العبادة التي يخصّونه بها هي سبب الاحتقار الذي يقيّدهم وسبب الاضطهادات التي تعرضوا لها.

اعتقد بعض العلماء الغربيين أنهم وجدوا في عبادة الشيطان المزعومة هذه بقايا الثنوية الإيرانية ، فافترضوا أن اليزيدية كانوا يسعون إلى كسب روح الشر (الشيطان) لمنعها من الأذى. ولسوء الحظ فإن هؤلاء الأكراد الجبليين سيجدون مشقة كبيرة في إدراك مثل هذا الحساب الدقيق ، وبالنسبة لهم الملك طاووس هو أقدر الملائكة وأفضلها[14] ويؤثرون توجيه صلواتهم إليه. فاليزيدية لا تقوم إذن على عبادة الشيطان ، إنما تقوم على نفي وجوده. إنّ كلمات شيطان و إبليس التي يمنع التلفظ بها [15] هي تسميات مهينة يستعملها المسلمون لقذف المَلَك طاووس الذي كان نبيهم يحتقره. وتشرح الحكاية الخرافية التالية أصول هذه الكراهية كما يلي : كما قال لنا جميل آغا " تعلمون أن هناك كلمة لا نلفظها أبداً. والسبب هو أن محمداً صعد إلى الجنة ذات مرّة ، فوجد الله والملك طاووس والملائكة الأخرى في اجتماع كبير. وأراد أن يتدخل في الحديث ، ولكنّ الملك طاووس رأى أن محمداً مجرّد إنسان وأن وجوده غير لائق في هذا المجلس ، فأمره أن ينسحب. وردّ عليه محمد بفظاظة ، فغضب الملك طاووس وأمسك به وألقاه على الأرض. وعندما نهض محمد ساخطاً ، أطلق على المَلَك هذا الاسم [الشيطان] ،

وهو الاسم الذي يستعمله المسلمون منذ ذلك الحين للإشارة إلى الملك طاووس ".

والحكاية مسلّية لأنها تنقل إلى السماء مشاجرات أرضية خالصة ، ولكنها لا تقدم إلاّ حلاً شعبياً للغز ضاع مفتاحه منذ أمد طويل.

إن منع التلفظ بكلمتي شيطان وابليس يكفي لحملنا على قبول صحة المماثلة بين الملك طاووس والشيطان. وهناك دلائل أخرى تدعم هذه الفرضية.

ولا ينفرد المعتقد اليزيدي بمنح الشيطان شكل الطاووس [16] ، فالمندائية والدروز [17] والتختجية [18] أيضاً يتصوّرون الشيطان على هيئة طائر. وكذلك يقيم المأثور الإسلامي صلات وثيقة بين الطاووس و"المَلَك السيء". يقول ابن عبّاس : أحب الطيور إلى ابليس اللعين الطاووس [19] ". وكثيراً ما نجد في تفاسير القرآن حكاية يسعى فيها الشيطان إلى دخول الفردوس الأرضي فيحاول في البداية الحصول على مساعدة الطاووس واعداً إياه بأن يعلمه الكلمات التي تمنع الموت. يتردد الطائر طويلاً قبل أن يجيب ولكنه لا يجرؤ على اتخاذ قراره ، فيقصد ابليس الثعبان مراراً إلى أن يقبل اقتراحه. ورغم أن الطاووس رفض عرض الشيطان ، فقد طُرد من الفردوس في الوقت الذي طرد فيه كلّ من آدم وحواء والثعبان [20].

كلّ ذلك يحملنا إذن على أن نرى في اسم المَلَك طاووس الغريب تلميحاً يستعمل للإشارة إلى الشيطان. وإذا خطر ببالنا أن الملك طاووس

يسمى عزازيل في أحد نصوص المصحف الأسود ، تماماً كما كان يسمى ابليس قبل سقوطه ، فلن يبقى لدينا أدنى شك حول طبيعته الحقيقية.

بقي علينا أن ندرك الأسباب التي دفعت اليزيدية إلى تبجيل روح الشر ثم تبديل طبيعتها البدائية إلى جعلها مساعد الله. وربّما ساعدتنا النصوص التي جمعها أحمد تيمور وعباس العزاوي على فهم تلك الأسباب [21]. لقد شغلت مشكلة لعنة ابليس بصورة خاصة المتصوفين المسلمين في القرنين الخامس والسادس للهجرة. فكان البعض منهم يتساءل عن كيفية التوفيق بين العقاب الذي حلّ بإبليس وبين مذهب الجبرية. وقد طرح عبد القادر الجيلاني هذا السؤال على نفسه دون أن يجد حلاً له. فروى في نص مثير محادثة جرت بينه وبين اللعين في المنام : " رأيت ابليس اللعين في المنام وأنا في جمع كثير فهممت بقتله فقال لي لعنه الله لم تقتلني وما ذنبي إن جرى القدر بالشر فلا أقدر أغيره إلى خير وأنقله إليه وإن جرى بالخير فلا أقدر أغيره إلى شرّ وأنقله إليه فأي شيء بيدي وكانت صورته على صورة الخناثى ليّن الكلام مشوّه الوجه طاقات شعر في ذقنه حقير الصورة ذميم الخلقة ثم تبسم في وجهي تبسم خجل ووجل... " [22].

بعض المتصوفين من أمثال الحلاج وابن عربي والغزالي لم يترددوا في إيجاد حلّ لهذه الصعوبة. فاعتبروا أن ابليس إنما أخطأ لفرط حبه لله عندما أبى أن يسجد لآدم ، لأن شرف السجود واجب الأداء لله وحده.

وبدلاً من أن ينذروا الشيطان للعنة الأبدية ، كان هؤلاء المتصوفين يعرضونه على إعجاب المؤمنين و حتى أن البعض منهم كانوا يرون فيه المظهر الأعلى لجلال الله. كان أبو الفتح أحمد الغزالي يقول أن الشيطان كان " سيد الموحدين ". ومن جانبه يقول الحلاج :

" وما كان في أهل السماء موحّد مثل ابليس ، حيث ألبس عليه العين ، وهجر اللحوظ والألحاظ في السر ، وعبد المعبود على التجريد، ولعن حين وصل إلى التفريد ، وطُرد حين طلب المزيد؛ فقال له "اسجد! " قال " لا غير " قال له " إن حلّت عليك لعنتي " قال : " لا ضير "....

" التقى موسى عم وابليس على عقبة الطور ، فقال : يا ابليس ! ما منعك من السجود؟ فقال : منعني الدعوى بمعبود واحد. ولو سجدت لآدم لكنت مثلك. فإنك نوديت مرة واحدة " انظر إلى الجبل " فنظرتَ. ونوديتُ ألف مرة : اسجد! اسجد ! فما سجدتُ ، لدعواي بمنعاي ".

فقال له : " تركتَ الأمر ! " قال : " كان ذلك ابتلاءً لا أمراً " فقال له " لا جرم ، قد غيّر صورتك ! " قال " يا موسى ! ذا تلبيس وهذا تلبّس ، والحال لا معول عليه ، لأنه يحول. لكنّ المعرفة الصحيحة ، كما كانت ما تغيرت، وإن كان الشخص قد تغير. فقال موسى " الآن تذكره؟ " قال : " يا موسى ، الذكر لا يذكر ! أنا مذكور وهو مذكور..

ذكره ذكري وذكري ذكره   هل يكون الذكران إلا معا؟

خدمتي الآن أصفى ، ووقتي أخلى ، وذكري أحلى : إني كنت أخدمه في القدم لحظي ، والآن أخدمه لحظه ". [23]

تلك هي العقيدة التي كان المتصوفون يجاهرون بها بخصوص ابليس. ومن المؤكد أن يكون الشيخ عدي ومريدوه الذين درسوا في بغداد قد اطلعوا على هذه العقيدة [24] ونقلوها فيما بعد إلى الفلاحين الأكراد البسطاء الذين لم يتوانوا عن تحريفها لعدم فهمهم فهما صحيحاً لها. وبعد أن قبل هؤلاء الفلاحون أنّ عقاب الشيطان لن يكون أبدياً ، اعتقدوا أن الملَك حصل بفضل توبته على العفو ، واستعاد مركزه الأولي في تسلسل الرتب السماوي. وبناءً عليه لم يكن هناك سوى عتبة سهلة يتجاوزونها حتى ينسوا خطيئة الملك طاووس. لا بل إن المأثور اليزيدي جعل منه المساعد الرئيس لله.لا شك أن تطور الأسطورة حدث ببطء شديد ، وأن سرّ العقيدة بقي طويلاً طي الكتمان ، فالأدلة المكتوبة التي نملكها عن اليزيديين تعود بتاريخها إلى القرن الثاني عشر ، وللمرة الأولى ، وجدنا في كتاب مؤلف في القرن السابع عشر [25] ذكراً للطقس الذي كان أنصار الشيخ عدي يؤدونه للشيطان. والحكايات الكوسموغونية [المتعلقة بنشأة الكون] اليزيدية التي جمعناها ، تكشف بتغيراتها ترددات لم تختف إلا في عهد حديث جداً. ومن السهل أن نتعرف ، عبر عدم تجانس هذه النصوص ، على المراحل المختلفة التي عبرتها اليزيدية.

لم يبق من المرحلة الأقدم سوى أسطورة غامضة بما يكفيً ، لا يزال فيها مفهوم افتدائي [متعلق بخلاص البشرية] غامض. وفي الروايات التي نلحقها بمرحلة ثانية ، يقوم "الملك الطاووس" بتحريض

آدم على اقتراف الخطيئة بأمر من الله : فقد انتهى الوقت الذي كان على الإنسان الأول أن يقضيه في الجنة ، وعليه بعدئذٍ أن يعيش على الأرض ليعمل وينسل. والرواية المغايرة الأحدث لم تعد تحتفظ بأية ذكرى من خطيئة الملك طاووس وعن أسطورة الفردوس الأرضي.

نقدم هنا نماذج من هذه الروايات :

1 ـ قصة بريق الأصفر [26] : " وبذلك الزمان ولد أبينا ابريق ودعي اسمُه ابريق الأصفر من أجل كراماته. لأنه كان مدة سبع سنين [عيناه] موجعتان ومناخيره ويديه و رجليه كانت توجعهُ وكان له ابريق أصفر فابتدأ ينوح ويبكي ودموعهُ كانت تنزل في ذلك البقبوق فامتلأ بمدة سبع سنين و طرحه بنار جهنم و طفيت نارها لئلا يتعذب بها الجنس البشري. وبكاه هذا كان بسبب أخيه الآخرة فالرب الإله سمع دعاه وقبل بكاه من أجل أخيه الآخرة [27] و طفى نار جهنم من ذاك الوقت. لهذا يلزم على كل يزيدي أن يكون له أخ الآخرة.."

إن هذا النص القليل الوضوح يخلط بجلاء بين روايتين مختلفتين ، فبعد أن يبين لنا الكاتب أن بريق الأصفر يبكي بؤسه ، يعزو دموعه إلى سبب آخر ويجعله يشفق على تعاسة أخيه في الآخرة الذي حكم عليه بعذاب جهنم. كما أنّ اختفاء نار جهنم أمامه يترافق منطقياً مع ردّ اعتبار الشيطان ، ونعتقد أن أخ الآخرة الذي تتحدث عنه الحكاية هو الملك طاووس الذي تجعله بعض الروايات اليزيدية البير آدم.

2 – قصة الخلق حسب المصحف الأسود Mishefa Reş :

نميّز في مادة المصحف الأسود الغامضة روايات عدة، يحاول الكاتب – أو المزوّر – مزجها في رواية جديدة. و دون أن نسعى إلى إعادة إنشاء كل واحدة منها على حدة سنحاول إبراز الخطوط العريضة لمجملها [28].

خلق الله سبعة ملائكة (تتغير أسماؤها باختلاف نصوص الكتاب) في سبعة أيام ، ثم خلق درة بيضاء هائلة [29]. وسكن فيها وحده أربعين ألف عام. وفي نهاية هذه المدّة فجر الدرّة التي كونت شظاياها الأرض والسماوات والبحر.... الخ ، ومن ثم خلق الحيوانات والجنة وجبل من التراب جسم آدم وأدخل الروح فيه وأدخل آدم الجنة وأذن له أن يأكل من كل منتجات الأرض عدا الحنطة. وعندما " تم وعده " ذهب الملك طاووس للقاء الله وقال له : " كيف يكبر آدم ويزداد وأين نسله؟ " فأجابه الله " الأمر والتدبير سلمته لديك ". و يتابع المصحف الأسود كما يلي : " فجاء طاووس ملك وقال لآدم : هل أكلت حنطة فأجابه لا لأن الله نهاني. فأجابه كل حتى يصير لك أحسن. وعندما أكل حالاً نفخ بطنه. فأخرجه ملك طاووس من الجنة وتركه وصعد إلى السماء. فتضايق آدم من بطنه لأن ما كان له مخرج فأرسل إليه طيراً اسمه طير القلاج ونقر آدم وفتح له مخرجاً. فاستراح آدم من بطنه.... " [30]. إن هذه الرواية تجعل الشيطان من قبل معاوناً لله. وإذا كان الملك طاووس قد أغرى آدم فإنه تلقى الأمر بذلك. وتنسب حكايات أسطورية إلى الملك

طاووس دوراً أهم؛ فحسب هذه الروايات المختلفة ، الملك طاووس هو الذي جبل جسد الإنسان الأول [31] من التراب والماء والنار. نحن هنا أمام اختبار لرؤية أثر مبهم لمعتقدات إيرانية رددها بعض المفكرين المسلمين ، مفادها أن المادة والشرّ هما من عمل الشيطان ، في حين أن كل ما هو روحي في الكون هو من خلق الله ومع ذلك تقول الروايات اليزيدية إن الملك طاووس هو الذي أدخل الروح في آدم (حين نفخ في أذنه) [32].

3 – المأثور الشعبي :

تشكّل النصوص السابقة أقوالاً قليلة الانتشار ، فيما تُظهر النصوص التي ننقلها هنا الهيئة الأكثر حيوية للمعتقد اليزيدي والشكل الذي تبلور به الاعتقاد بالملك طاووس في ذهن الشعب أو على الأقل في سنجار [33].

" في البداية كان البحر يغمر العالم [بأسره]. لم يكن هناك أحد ولم يكن الإنسان موجوداً. نهضت شجرة بأمر من الله ، تغلغلت جذورها في الأرض ، وانتصبت أغصانها في الفضاء. في زمن البحر كان الله يمكث على هذه الشجرة [على شكل طائر] وكان الملك طاووس [أيضاً] طائراً ضالاً في العالم وكان متعباً [لأنه] لم يكن هناك شيء يستطيع أن يحط عليه. وقصد إلى هذه الشجرة فنقره الرب بمنقاره ولم يدعه يجثم على الشجرة. [كان الملك طاووس يجهل أن هذا الطائر هو خالقه ، فابتعد والتقى بالله الذي طلع عليه [بهيئته الاعتيادية] قال الله

للملك طاووس : " تجولت في العالم ، قل لي هل رأيت شيئاً؟". " لا شيء إطلاقاً ، العالم كله [يغمره] البحر. هناك شجرة وعلى هذه الشجرة طائر توجهت إليها لأستقر عليها ، [لكن الطائر منعني من ذلك] ". فقال الله : " اذهب إلى الطائر وقل له أنت الخالق وأنا المخلوق ، حينها سيدعك تحط عليها " [34]. وقصد الملك طاووس الشجرة وقال للطائر : " أنت الخالق وأنا المخلوق " فتركه الله يستقر على الشجرة.

خلق الله الأرض والسماوات ، قريبة وبعيدة. ووضع تحت الأرض الثور والحوت؛ [35] واستقرت الأرض (التي كانت إلى ذلك الحين غير ثابتة) في توازن بأمر الله. قال الملك طاووس لله : " لا يوجد في هذا العالم أحد " فأجابه الله : " اذهب وتجوّل في الكون ، فذهب الملك طاووس وضلّ في الكون. ورأى امرأة فعاد [حينها] إلى الله وقال له : " رأيت امرأة ، ولن تنفع هذه المرأة في شيء بلا رجل " فخلق الله حينها الرجل وسماه آدم. صنع الله آدم من الصلصال وأدخل فيه روحاً.

كان آدم نائماً. توجهت حوّاء (المرأة الأولى) نحوه ، لم توقظه وعادت. استيقظ آدم وكان الثلج يتساقط ، فلاحظ آثار أقدام بشرية ، وتتبّعها فرأى حواء هذه ، فاتخذها زوجة له. وضع الله أربعين صبياً وأربعين بنتاً في بطن حواء. فقال الملك طاووس " كيف نزوجهم؟ " فأجابه الله : " لينتقل الذين على اليسار إلى اليمين ، والذين على اليمين إلى اليسار ! " قال الملك طاووس : " يا أيها الدرُز ! " [36] وجعل هؤلاء الأبناء الأرض مزدهرة وفلحوها ".

إن هذه الحكاية الأكثر سذاجة من سابقاتها ، تتيح لنا قياس جلّ المسافة التي تفصل بين الملك طاووس اليزيدي وشيطان المسلمين. فالملك طاووس لم يعد سوى المستشار شبه المعصوم لله ، وقلة الاحترام التي يتهم بها نفسه تجاه ربه ، لم تسبب له سوى عقوبة هينة عابرة. وبعيداً عن أن يؤذي الإنسان ، فهو ، على العكس يجتهد في مساعدته ، لأن له مساهمة في خلقه. إن اليزيدية الحديثة التي انتزعت من الشيطان دوره كمضلل على هذا النحو ، لم تعد تستطيع القبول بأسطورة الجنة والخطيئة الأولى ، وعلى أتباعها أن يقبلوا الاختبارات التي يجب عليهم أن يخضعوا لها في الدنيا ، لا لأنها نتيجة لخطيئة ارتكبها والداهم الأوليان ، بل لأنها تدخل في المجرى الطبيعي للأمور. إنّ مبدءاً بمثل هذا التشاؤم يتوافق تماماً مع التاريخ المأساوي لليزيدية.

السلطان ايزي Êzî ونهاية العالم

الملك الذي يشغل المكان الأهم في الحكاية الأسطورية اليزيدية ، بعد الملك طاووس ، هو السلطان ايزي الذي يمكن أن نتعرف بسهولة من خلال علاماته إلى الخليفة يزيد بن معاوية. هذه الشخصية التي كانت بطلاً لسلسلة من الروايات.

يروي لنا اسماعيل بك بالتفصيل ظهوره على الأرض [37] على النحو التالي :

"..... وبعد ذلك بمدة طويلة أمر الباري تعالى أن يرسل الإله يزيد.
وفي ذلك الزمان كان قبيلة بني أمية وبني هاشم وكانت أمية أقوى من بني هاشم ، فلما قام محمد نبي الإسماعيليين (هكذا) ، فقويت قبيلة بني هاشم على بني أمية و صار معاوية أبو يزيد مثل صاحب مصرف عند محمد مراعاة للزمان. وبما أن محمداً ما كان يسلك بالاستقامة أوجع رأسه فقال لمعاوية إذ كان بربراً أعني حلاقاً أن يحلق رأسه فقام يحلق رأس محمد بصعوبة حتى جرحه وجرى منه دم وأن معاوية خاف أن يسقط دم محمد على الأرض لعطه بلسانه. فرفع محمد رأسه وقال له ماذا فعلت يا معاوية فأجابه فزعت أن يسقط دمك على الأرض لعطته بلساني لأنه بركة. أجابه محمد أخطأت لأنك بهذا العمل ستجلب وراءك أمة تحارب أمتي وتغلبها. فأجابه معاوية إذا كان الأمر كذلك فأنا لا أدخل العالم أي لا أتزوج قطعاً. وبعد زمان سلط الله على معاوية عقرباً ورش السم بوجهه وبوجوده. حينئذ محمد وأقاربه جمعوا له الأطباء حتى يعالجوه فحكم الأطباء إن لم يتزوج يموت. فأحضروا له ابنة عجوز عمرها ثمانون سنة اسمها مهوسة أخت عمر الخطاب وعرفها وأصبحت ثاني يوم ابنة خمس وعشرون سنة و حبلت وولدت ملكنا يزيد. وهذه أن الباري تعالى كان قد وعد طاووس ملك أن يرسل الملك يزيد.. "

وطبقاً لنبوءة محمد قاتل السلطان ايزي المسلمين وغلبهم. هناك رواية واسعة الانتشار تروي كيف استولى السلطان ايزي على اسطنبول التي كان يحكمها قسطنطين حينذاك [38] :

" يوم نظّم السلطان ايزي صفوف جنده استعداداً للقتال ضد اسطنبول ، نصب 80000 خيمة على البحر أخرجت الأسماك رؤوسها، فثبّت حبال الخيم بأعناق الأسماك. اجتمع أهل اسطنبول وبعثوا القاضي شرو إلى السلطان ايزي ، وقالوا له : " اجعله مسلماً ". ذهب القاضي ووقف أمام البحر ونادى : " أريد أن آتي إليك ". فرد السلطان ايزي : " قل بإذن السلطان ايزي ". وما لبث الماء أن تجمد ، فذهب القاضي شرو إلى عند السلطان ايزي وقال له : " هيا لتسلم ". قال السلطان ايزي للقاضي : " هيا لتصبح يزيدياً " ورد القاضي شرو : " لن أصبح يزيدياً ولن أترك دين محمد ". قال السلطان ايزي للقاضي : " خذ الكأس ، ضع قطرةً منها على اصبعك ". وقال : " العق ". وعندما لعق القاضي هذه القطرة ، انفتحت أبواب السموات ، فرأى الشيخ آدي جالساً على العرش ، وتراءى له هذا العالم والآخرة معاً. قال القاضي: "شاباش ياسلطان ايزي" فنهض القاضي وشرع بالرقص، قال أهل اسطنبول: "أرسلنا القاضي إلى السلطان ايزي كي يجعله مسلماً، ها هو ينهض ويرقص له. و شرع أهل اسطنبول برشق السلطان ايزي بالحجارة ، وعندما وصلت الحجارة ، قال السلطان ايزي : " كوني بصلاً " [41] ، فتحولت الحجارة التي كانوا يرمونها إلى بصل.

وذهبت ابنة قسطنطين [42] إلى والدها وقالت له : " لقد جاءك حاكم وعليك أن تسلمه العرش ". فرد قسطنطين : " لن أسلمه العرش ". قالت الفتاة : " أعرف اختباراً فإذا فشل ، أصبحت مضطراً لأن تسلمه العرش ". أخذت الفتاة ثلاث أسماك وقلتها في السمن. ووضعتها في سطل وملأت السطل بالسمن وغطته وسلمته لأحد خدمها ليأخذها للسلطان ايزي. فذهب الرجل ووقف أمام البحر ونادى : " أريد أن آتي إليك ولكنني لا أستطيع ، بيني وبينك بحر ومياه ". قال له السلطان ايزي : " قل بإذن السلطان ايزي " وسرعان ما تجمد الماء أمامه فذهب إلى السلطان ايزي ووضع السطل أمامه. قال السلطان ايزي : " ما هذا؟ " أجابه الرجل : " هذا ما أرسلته ابنة قسطنطين إليك ". فقال السلطان ايزي : " لا تفتح السطل ، خذه إلى من أخذته منه " فحمل الرجل السطل وعاد إلى ابنة قسطنطين. وفتح قسطنطين الإناء فرآه مليئاً بالماء وفيه ثلاث سمكات خضراء تسبح [43].

عندئذ[44] قالت هجيا صوفيا [45] : " يجب أن تسلم العرش بأمر ربّ العالمين [46] ، لقد انتهى حكمك ". قال قسطنطين لابنته : " لن أنزل من على العرش ولن أسلمه ". قالت هجيا صوفيا : " يا صاحب القرار ، إنّ هذا أمر ربّ العالمين " وفتحت الكتاب [47] وقالت : "انظر، لقد انتهت مدة حكمك ، فإذا لم تسلم العرش ، فسأعاقبك ". ولم يسلم قسطنطين العرش ، فدعا عليه السلطان ايزي فأعماه ، ودعا له فشفاه وأعاد له نور العينين ، وقال له : " إن شئت أن تسلم العرش سلمه

وإن شئت ألا تسلمه فأحولك إلى حجر باسم ربّ العالمين ". عندها سلم قسطنطين العرش للسلطان ايزي ، وجلس السلطان ايزي على العرش وحكم مدة 72 سنة. وبعد أن أتم 72 سنة سلم السلطان ايزي العرش لـ(أوسمان جق) [48] بأمر من الله. وقال السلطان ايزي لـ (أوسمان جق): " يا أوسمان جق إذا أصدرت" فرماناً " بحق شعبي فسأقضي عليك قبل أن يصبح الألف ألفين " [49].

وقد حصلنا من المصدر نفسه ومن (شيخ جنيت) على رواية سكاتولوجية (أخروية) تتصل بالرواية السابقة وتتمتها :

" كان أوسمان رجلاً مؤمناً من عائلة النبي ابراهيم الخليل. و كان قد ذهب إلى الجنة سبع مرات. ذهب أوسمان للقاء السلطان ايزي وقال له : " إلى أين أنت ذاهب يا سلطان ايزي؟ " قال السلطان ايزي : " أنا ذاهب إلى اسطنبول لأستولي على عرش قسطنطين " ، " وأنت يا أوسمان لمَ جئت؟ " فقال أوسمان : " جئت [لأني] أريد أن تعطيني العرش عندما تستولي عليه ". قال السلطان ايزي لأوسمان : " وعداً عندما استولي على العرش سأسلمه لك ، لأن الله يأمر بذلك ". وعندما أتم السلطان ايزي 72 عاماً على العرش ، جاءه أوسمان وقال له : "أيها السلطان ايزي ، عندما جئتك وعدتني بأن تسلمني العرش عندما تستولي عليه ، فأين وعدك؟ " قال السلطان ايزي : " وعد الحرّ دين وأنا إنسان حرّ [50] " ونزل السلطان ايزي عن العرش ، و قال : " تعال يا أوسمان واجلس على العرش ". وعندما جلس أوسمان على العرش ، قال له السلطان ايزي : " هذا العرش لي ولن أعطيك إيّاه إلا بشرط أن

تدفع لي إتاوة سنوية وإذا أصدرت فرماناً بحق شعبي فسأبعث لك آخر الزمان ". قال أوسمان : " ماذا ستبعث لأوسمان؟ " فأجاب السلطان ايزي : سأسلط عليك اللولو Lolo [51] وكل أجانب الأرض. وسأستمر في تدميرك إلى أن يحين أجلك. وعندما تنتهي مدة حكمك وتنزل عن العرش ، سأسلمه لعيسى وسينتقل العرش إلى مصر ويجلس عليه عيسى خلال أربعين عاماً. ويصبح عيسى سلطاناً ويصبح شرف الدين Şerefedîn المهدي. وعندما تنقضي الأعوام الأربعون ينزل عيسى أيضاً عن العرش ويذهب هو والمهدي إلى جبل القاف ويموتان هناك. [وحينها] يأمر ربّ العالمين جبريل بأن يفتح باب جبل القاف ويخرج منه يأجوج فيحكم يأجوج سبعة أعوام ثم يأتي مأجوج ويقتل يأجوج. ويحكم مأجوج أربعين عاماً. ثم يأتي مسوري حلاج(منصور الحلاج) ويطهّر الأرض ويسوّيها وبعدها تهب ريح على أرض الشام وتسوّي الأرض حتى تصبح ملساء كالبيضة. ويمكن للمرء أن يرى أمامه مسيرة ثلاثة أيام..... " [52].

الملائكة الأخرى

حسب علمنا لا تشكل الملائكة اليزيدية الأخرى موضوع روايات خاصة وأدوارهم مطموسة. وأقصى ما يعرفه اليزيديون [عنهم] هو أن شرف الدين سيصبح المهدي وأن وظيفة شي شمس Şê Şims هي نقل صلوات المؤمنين إلى عرش الله [53].

من المثير للاهتمام أن نرى أنه لا يزيدية سنجار ولا يزيدية جبل سمعان يعرفون حكايات ذات صلة بالشيخ آدي. وباستثناء اسمه ، فهم يجهلون أي شيء آخر عنه. وقد بقيت عبادة هذا الولي على ما كانت عليه في الأصل عبادة محلية خالصة. وحدهم خلفاء العدوية في الشيخان، بجوار المزار المخصّص للشيخ آدي يحتفلون بذكرى مؤسس الطائفة. أما الآخرون البعيدون جداً فلا يهتمون به قط [54]. والمزارات[55] المخصصة للجنيّين والأولياء الشفيعين المحليين هي موضوع تديّنهم على الأغلب.

نهاية الخليقة

وجب على اليزيدية باستغنائهم عن الشيطان ، أن يستغنوا عن جهنّم أيضاً. فهم لا يقبلون أن تكون الأعمال التي يقومون بها في الدنيا قابلة للعقاب أو المكافأة : لأن كل فرد يتلقى ثمن سلوكه خلال تناسخات متعاقبة يمرّ بها بانتظار يوم القيامة :

" والأشرار تدخل أرواحهم بالكلب أو الخنزير و الحمار والفرس أو غير ذلك تتعذب مدة من الزمان وبعد ذلك تدخل أيضاً في جسم البشر... فالذي يموت عندهم إذا يكون أمير أو والٍ أو سلطان أو غير ذلك وكان يمشي بالاستقامة والعدالة ويقضي بالحق. فهذا يتعلى أعلى من درجته بتناسخ الأرواح. وإذا كان فقيراً وكان يسلك سلوكاً حسناً كذلك يرتقي إلى خدمة أعلى. لكن إذا كانت سيرته غير مرضية وكان

شريراً وفاسقاً أو سافك دماء أو سارقاً أو غير ذلك من القبايح والفضايح فهذا يدخل بحيوان دني حقير مثل كلب أو خنزير أو غير ذلك من الحيوانات الدنية وينتقل بتناسخ الأرواح إلى سبعة أجناس وبعده يظهر بصورة إنسان حقير محتاج إلى القوت اليومي وما أحد يتصدق عليه بشيء. وإذا كان رجلاً أو امرأة متوسطاً اعني خيره وشره متساويان فهذا بعد موته يدخل بحيوان غنم من الخراف أو المعز او الغزال على ان يكمل حياته ذلك الحيوان وبعده يرجع إلى صورة انسان لما يكمل مدته المعينة بعد ان ينتقل من حالة الى اخرى.

فالبعض يتنقل سبع مرات من جنس الى جنس اخر او من جلد الى اخر بالترقي الى ان يصير الى الغزال او الخروف وبعده يرتقي الى فرس اصيل عند احد الملوك او الامراء وبعد ذلك يلبس الجسد الانساني ثانية " [56].

تلك هي العقوبات التي يجب أن تحث المؤمنين على فعل الخير وتجنبهم الشرّ. ومما تجدر الإشارة إليه هو أن المعتقد الشعبي الذي لا يهتم قطّ بمقتضيات المنطق يقبل في الوقت ذاته التقمّص ووجود الجنة والنار. هذا التناقض هو بلا شك نتيجة للتأثيرات الإسلامية والمسيحية.

كنا ننتظر أن نجد في مقطع كالذي ذكرناه تواً ، تعداداً أكمل للأخطاء القابلة لأن تسبب تناسخاً محطاً..إن غموض هذا النص ليس له إلا أن يعكس منظومة الأخلاق اليزيدية. باستثناء بعض المبادئ العامة جداً لا تحتوي هذه الأخلاق البدائية سوى على قواعد دينية.

الممارسات الدينية

يخضع أتباع اليزيدية لالتزامات قليلة الصرامة ومحصورة العدد. وكان أهم هذه الالتزامات ، في بداية الطائفة ، بلا ريب الالتزامات التي تربط كلّ مؤمن برؤسائه الدينين ، ورغم أنها ما تزال أساسية فقد فقدت اليوم تقريباً كلّ مبرر لوجودها [57].

وأما القواعد الأخرى للشريعة اليزيدية فتتعلق فقط بالشعائر والمحرمات.

الشعائر

الصلوات [58]

يصلي اليزيديون عند الفجر والغسق وعند ظهور القمر في الأفق وعند غروبه. وجميع هذه الصلوات تشتمل على نفس الشعائر. بعد أن يغسل اليزيدي يديه ووجهه يقف باستقامة أمام الكوكب و يصالب ذراعيه [59] على صدره ويقرأ أدعية من هذا القبيل :

" يا شي شمس ، احفظنا من المرض والمصائب !

يا رب ، أنعِم على أمتك !

يا رب ، احفظ أولادنا !

يا رب ، احفظ قطعاننا !

يا رب ، شهادتنا هي اسم الملك طاووس ! " [60].

بانتهاء هذه الصلاة يرفع المؤمن ياقة قميصه [61] إلى شفتيه ثم يسجد ويقبّل التراب.

ورغم أن يوم الأربعاء هو يوم عطلة [62] لدى اليزيدية ، إلا أنهم لا يقيمون فيه احتفالاً شبيهاً بصلاة الجمعة لدى المسلمين أو بالقداسات المسيحية يوم الأحد.

الصوم

اليزيديون ملزمون بصيامين [63] سنويين مدة كل منها ثلاثة أيام ، أحدهما عند عيد الشمس (Îda Roja) والآخر قبل عيد خضر الياس Xidir Elyas (الواقع في 18شباط). ويحرص أعضاء طبقة الفقراء Feqîran[64] على الالتزام بإماتة ملذّات إضافية تمجيداً للشيخ آدي؛عليهم أن يعيشوا في التقشف خلال المربعانيتين [65] ، إضافة إلى الأيام التسعة التي تسبق الاحتفال بالعام الجديد (Sersal). ويمكن لليزيدية من الطبقات الأخرى ، إذا رغبوا في ذلك ، أن يخضعوا للالتزام ذاته، ولكن قليلون جداً هم الذين يدفعون بالعبادة إلى مثل هذا الحد. ثمّ إن الفقراء أنفسهم نادراً ما يحترمون قواعد طبقتهم.

الأعياد

الأعياد اليزيدية على نوعين ، أعياد ثابتة وأعياد متنقلة. ويبدو أنها جميعاً تخلق مناسبة لطقوس متشابهة ، فالاحتفال بكل عيد يتميز بشكل رئيسي بزيارة المريدين لشيخهم وبأفراح عائلية و بتطواف حول

المزارات Ziaret المحلية [66]. ولأننا لم نتمكن من أن نحصل من مخبرينا على تفاصيل أخرى حول هذه الاحتفالات ، وجب علينا أن نقتصر على تعدادها فقط :

- الأعياد الثابتة :

- عيد الشمس (Îda Roja) ويكون في الأول من شهر كانون الأول ويتضمن فقط ثلاثة أيام صوم.
- عيد السلطان ايزي (Îda Êzî) [67] ويأتي مباشرة بعد نهاية صوم (عيد الشمس) وهو مناسبة لوليمة كبيرة.
- عيد خضر الياس (Îda Xidir Êlyas) يحتفل به في 18 شباط وتسبقه ثلاثة أيام صوم.
- عيد رأس السنة (Îda Sersalê) يقع في أول يوم أربعاء من شهر نيسان. ويرافقه ذبح قرابين من الحيوانات (خرفان ، ماعز ، دواجن) ويزيّن كل تابع بيته بأزهار تقطف من الحقول وفي الليل تضرم نيران الفرح [68].

- الأعياد المتنقلة :

- عيد الموتى (Îda Dahîye) ويكون ثلاثة أعوام في شهر نيسان وثلاثة أعوام خلال الشهر الأول من الصيف ، وثلاثة أعوام في شهر كانون الأول ويدوم هذا العيد من خمسة إلى عشرة أيام ، يتم خلالها

تقديم القرابين للأضرحة. ويقدم المؤمنون الذين فقدوا قريباً لهم في السنة المنصرمة للتو طعاماً للفقراء [69].

- عيد رمضان (Îda Remezan) ويسبق نهاية شهر رمضان لدى المسلمين بيومين
- عيد عيسى (Îda ' Îsa) ويأتي قريباً من عيد القيامة (الفصح).

وبالإضافة إلى كل الأعياد المعروفة لدى أبناء ملتهم ، يحتفل يزيدية الشيخان بمناسبات خاصة على شرف الشيخ آدي [70].

السناجق

إن الجولة السنوية التي يقوم بها القوّالون[71] حاملين السناجق من قرية إلى أخرى تشكل بلا شك الطقس اليزيدي الأشهر.

والسناجق أو الطواويس هي من صنع الملك طاووس الذي صممها على شاكلته مما يضفي عليها قدسية كبيرة [72]. وقد سبق أن وصف عدة كتّاب هذه الأشياء [73]. وتمكننا شخصيّاً من مشاهدة طاووسين يملكهما جميل آغا[74]؛ يبدو أحدهما حديث الصنع ، و الآخر ناقصاً، ويبدو من ناحية ثانية أقدم قليلاً. وكلاهما قابل للتفكيك ويحتويان قاعدة من البرونز الأصفر تشبه شمعداناً طويلاً ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث قطع. وعلى قمة هذا الحامل يتموضع تمثال صغير من المعدن نفسه، يصوّر طائراً غير متقن الصنع. إن الحيوان المصنوع يعتبر طاووساً رغم أنه أولى به أن يشبه حمامة أو بطة. و بالتأكيد يجب ألا نلوم إلا

رعونة الفنان ، إذ أن طاووس [75] المتحف البريطاني British useum الذي قام امبسون Empson بنشر صورة له [76] لا يترك أدنى شك حول طبيعة الطائر الممثّل؛ إنه طاووس فعلاً.

ويبلغ عدد السناجق سبعة ، يحمل كلّ منها اسماً خاصاً [77]. وحسب اسماعيل بك كانت السناجق في السابق تخص الملك سليمان ثم مختلف الملوك اليزيدية ومن بينهم الملك يزيد. ولم نتمكن من الحصول على إثبات لهذه الرواية ، بل إن مخبرينا لم يكونوا قد سمعوا بالملك سليمان.

إن أغلب هذه التماثيل حاليا بحوزة أمير الشيخان وهي محفوظة في مرقد الشيخ آدي [78]. وهناك تماثيل أخرى (على الأقل ثلاثة : الاثنان اللذان بحوزة جميل آغا والثالث الذي يحرسه رئيس الأئمة [79] pêşîmam في سنجار) كانت موجودة في ككي عزيز Kekê Ézîz[80] قبل الحرب.

إن ريع الصدقات التي يجمعها القوالون يعود إلى المزارات وإلى الأعيان الذين يملكون مختلف السناجق. والعائدات التي تؤمنها هذه الآثار (السناجق) جسيمة على العموم [81] ، ونعلم أن أمراء الشيخان يتخاصمون بضراوة على ملكيتها [82].

تتم جولة القوالين مرة أو مرتين في السنة ، حسب البلدان ، وطبعاً باستثناء الفترات المضطربة [83]. في الربيع يأتون إلى سنجار بطاووس من مزار الشيخ آدي وفي الخريف بالطاووس الذي يحرسه رئيس الأئمة. وبصورة أقلّ انتظاماً يجوب القوالون المستوطنات البعيدة للطائفة. ومنذ الحرب أصبح من الصعب عليهم الذهاب إلى تركيا

وروسيا [84]. في منطقة جبل سمعان لا نراهم إلا مرة كل سنتين أو ثلاث سنوات [85]. وأما القرى الأبعد مثل قرية بُرج وقرية قاس وكوندى مزن Gundê Mezin فيتركونها خارج جولتهم.

لن نتوسع في الحفلات التي تميّز زيارات القوّالين هذه ، إذ أن تفاصيلها معروفة جيداً [86]. ولنلاحظ ببساطة أن العطايا التي يقدمها المؤمنون للطاووس مرتفعة على الأغلب (تصل إلى 25 مجيدياً أي ما يعادل مئة فرنك). الجميع يدفع عن طيب خاطر وبقدر استطاعته.

المحرّمات

تتقيّد اليزيدية بعدد من القواعد يتعلق بعضها باللباس و البعض الآخر بالغذاء [87] . إذ يُحرم عليهم التزين بأقمشة زرقاء[88]. وعلى الرجال علاوة على ذلك ، أن يرتدوا قميصاً أبيض يتزرر من الخلف[89] وله قبة على شكل مربع منحرف ، مقوّرة بسعة على الصدر[90]. محرّمات الأكل ليست صارمة جداً: فتعاطي الكحول أمر مسموح به [91] والمأكولات الممنوعة هي الخس (Kahû)[92] ، والملفوف[93]. ويمتنع الناس شديدو التدين عن أكل لحم الفراريج [94] والغزلان [95] أيضاً.

وهناك تحريمان آخران يتعلق أحدهما بالأشجار التي يمنع قطعها والآخر بالكلاب التي تعتبر نجسة [96]. من المهم أن نوضح ، بعد أن أعددنا هذه القائمة ، أنّ " التابوهات " الأخرى التي ذكرها الرحالة[97] ليست جارية لا في سنجار و لا في جبل سمعان. واليزيديون الذين عاشرناهم لا يترددون في البصق بصخب أو في الشرب من ابريق

يبقبق أو في أكل بقايا الطعام التي تركها غريب أو في لفظ حرف العين عندما يتحدثون العربية وحتى عندما يتحدثون الكردية.

الطقوس الشعبية

إلى جانب المعتقدات والممارسات المشتركة بين مجموع اليزيديين نجد مجموعة من الخرافات والطقوس التي تتغيّر من منطقة إلى أخرى. ينبغي ألا تهمل دراسة هذه الممارسات لأنها تشكل ما هو أساسي في الحياة الدينية الشعبية.

ليست ثمة تقريباً قرية يزيدية لا تملك مكاناً أو عدة أمكنة (menzel أو ziyaret) [98] مقدسة هي موضع تبجيل السكان. هذه المزارات المتواضعة هي إحدى المميزات الأكثر إدهاشاً في المنظر الطبيعي لبلد يزيدي. وفي سنجار تلتحم المزارات بالجبل الذي يحملها إلى درجة أن العامة يعتقدون أن الله خلقها مع الجبل قطعة واحدة :

" عندما وضع الله هذا الجبل هنا لم يتمسك في توازن ، فأخذ الله آمادين ووضعه في ميهيركان Mîhîrkan فأصبح الجبل قلقاً أكثر ، فأخذ شي شمس ووضعه في جغريا وأخذ آمادين [99] ووضعه في هليجيان Hellîcîyan ، وأخذ شي بلقاسم و وضعه في جرسه Çerse، لكنّ الجبل بقي قلقاً ولم يستقر. حينها وضع الله چيل ميرا Çêl Mêra على القمة وبليلي عبش Bilêlê Ébeş ، مدفعي الشيخ آدي ، فوق ذروة الجبل في الغرب فتوازن الجبل واستقر. والمدفع موجود بين أيدي

بليلي عبش وأيدي چيل ميرا. وعندما يأتي الجنود صوب جبلنا يقوم بليلي عبش وچيل ميرا و آمادين وشي بلقاسم وشي شمس و شرفدين وشيخ بركات بإطلاق طلقات من المدفع فينهزم الجنود بفضل الله وبفضل هؤلاء الرجال (چيل ميرا) [100] وهؤلاء الملائكة [101] ". رغم أن هذه المزارات [102] Ziyaret مخصصة على الأغلب لأولياء الأسطورة اليزيدية ، إلا أنها يمكن أن تقدم أوجهاً مختلفة؛ إذ أن كثيراً منها يقع على الأمكنة العالية وبصورة خاصة في سنجار [103]. وهناك مزارات أخرى تقع بجوار نبع [104] أو بجوار شجرة مقدّسة يلفّ المؤمنون عُصابات من القماش على أغصانها بمثابة تقديم نذر [105]. كما أن بعض هذه المزارات مثل مزار ككي عزيز Kekê Ézîz بالقرب من بيرجيك ومزار چل خانيÇel xanê في سورية ومزار چيل ميرا Çêl Mêra في سنجار ، مبنية على كهوف. ومع ذلك فإنها (أي المزارات) غالباً ما تكون قبوراً أو مقامات تقوم بالقرب من مواقع مبجّلة من قبلهم (مغارات ، ينابيع). وهذه الأبنية المشيدة ببعض التكلّف تحتوي عموماً على بناء تكعيبي يعلوه مخروطات في سورية ومخروط رفيع مبيّض بالكلس في سنجار وفي الشيخان.

إن موضع هذه الأمكنة المقدسة واختيارها يتيحان لنا أن نرى التبجيل الذي يحيط بها آثار عبادة للطبيعة ما تزال راسخة لدى كل الأكراد. على أية حال فإن أصول كل مرقد من هذه المراقد تضيع في ليل الزمن؛ فهي إرث ديانات اختفت [106] أو اندمجت كليّاً أو جزئياً

بحسب المناطق. على أنّ الفروقات المدهشة بين الأسماء التي تحملها المزارات في سنجار وأسماء المزارات في جبل سمعان ، واختلاف الأعياد التي يقيمونها في إطار منطقتهم يشهد على الطابع المحليّ الخالص للطقوس الشعبية اليزيدية وقد أتيح لمزارات سنجار أن تندمج في النظام اليزيدي وجميعها باستثناء المزارات المحيطة بالبلد (سنجار) مخصصة لأولياء من الطائفة. على العكس من ذلك فإن مزارات وادي عفرين هي ذات تسميات مضلّلة ، وفقط تم استيعاب البعض منها (چيل خاني Çêl xanê مع ملحقها شيخ آدي ، وشيخ بركات وربما شي عبد القادر Şê Évdilqadir) [في النظام اليزيدي]. وما تبقى منها حافظ على التسميات الإسلامية القديمة : شيخ سفيل Sefîl و شيخ هيمت Hêmet وشيخ علي الخ....

إن الشعائر التي تقام عند المزارات التابعة لكل واحدة من هاتين المجموعتين [سنجار وجبل سمعان] تظهر نفس التناقض. وإلى جانب العادات التي نجدها في الشرق كله كإضاءة المزارات في ليلة الأربعاء أو الجمعة ، أو كعادة النساء في الاجتماع فيها صباح الأربعاء أو الجمعة ، ينبغي أن نلاحظ أن أعياد الأولياء المحليين في جبل سمعان تأتي دائماً في الربيع ، في حين أنها (الأعياد) تتوزع على مدار السنة وتظهر هيئة موسمية واضحة جداً في سنجار.

وتشغل العبادة التي تقدم للخواص الذين خصصت لهم المزارات مكاناً أهم من الالتزامات الدينية المفروضة رسمياً في اهتمامات اليزيديين الجبليين. والاحتفالات التي تقام عند أمكنة الطواف تحدث

عموماً صخباً يتجاوز صخب الأعياد التي تفرض الشريعة اليزيدية مراعاتها [107] [على الأتباع]. وكلما أصبحت الاتصالات بين التجمعات المختلفة للطائفة والمركز الروحي في الشيخان أكثر صعوبة وأكثر تباعداً كلما نزعت العادات والخرافات المحلية إلى الحلول محل ممارسات اليزيدية [108].

يُدهش المرء عند دراسته للمعتقد اليزيدي ، لغياب الوحدة التي تميزه. فهذا المعتقد قوامه مجموعة من الحكايات الأسطورية légendes المعروفة بنسب متفاوتة لدى الأتباع ، وهي على الأغلب متناقضة.

وقد ساهم في تكوينه مجموعتان من الروايات ذات منشأين مختلفين اختلافاً بيناً : هما المذاهب الإسلامية التي أقرّ بها تلاميذ الشيخ عدي[109] من الأكراد من ناحية ، ومن ناحية أخرى الاعتقادات والخرافات ذوات الأصول الإيرانية [110] التي شجّعت ، بلا شك ، ولادة الغلوّ والتي انتقلت شيئاً فشيئاً إلى المقام الأول كلما كان اليزيديون ينسون أنهم كانوا مسلمين.

إن الديانة اليزيدية ، بسبب كونها توفيقية بين أساطير وممارسات متباينة جداً في طبيعتها ، لم تتوصل إلى دمج العناصر التي استخدمتها في نسق منطقي. كان ينقصها ، إذن ، نبي قادر على توحيد معتقدها وإضفاء طابع العالمية الخاص بالديانات الحقيقية عليها. و اليزيدية كما بدت لنا ، لا يمكن أن تعتبر إلا نتيجة لردة فعل كردية لا واعية ضد إسلام الغزاة العرب.

هوامش الفصل الثاني :

(1) يزيدي من سنجار ، ينتمي إلى قبيلة السموقة (فرقة الخليفا Xelifa) ، وكان مصدرنا الرئيسي. يبلغ من العمر خمسة وستين عاما ويجسّد تماما نموذجا " لليزيدي المتوسط " وهو ساذج و بليد الذهن لكنه صريح ، شجاع ، مضياف. ولمّا وجب عليه كمحارب متنقل أن يبحث عن ملاذ في كل قرى الجبل ، فقد عرف بلده بشكل ممتاز ؛ كان قادرا على أن يعدّ لنا التقسيمات الدقيقة لأغلب قبائل جبل سنجار وبالمقابل فإن وعيه الديني محدود جدا ، لا يتجاوز وعي مواطنيه.

(2) وليس المَلِك طاووس كما يكتب في أغلب الأحيان.

(3) ربما يكون علي قد أظهر اسم عيسى في قائمته ليكسب تعاطفي كمسيحي.

(4) شي : تحريف سنجاري لكلمة الشيخ التي تسبق اسم بعض الملائكة.

(5) Ferxedîn : تشويه لاسم فخر الدين العربي.

(6) راجع المصدر السابق ، ص 73.

(7) راجع اسماعيل بك. م.س ، ص 101.

(8) بخصوص شيخو بكر ، راجع الحكاية التي ننشرها أدناه(الملحق رقم2)

(9) يمكن أن نجد في شي حسن ، حسن بن عدي ، وفي شي شرفدين ، شرف الدين شقيق حسن بن عدي، وفي شي شمس وشي فرخدين ، ابنيّ حسن بن عدي ، شمس الدين وفخر الدين.

(10) راجع النصيرية والدروز وأهل الحق.... الخ ، الذين يجعلون من رؤسائهم الدينيين تجليّات إلهية.

(11) راجع اسماعيل بك چول ، م.س ، ص77.

(12) على الرغم من أن أيّا من هذه الملائكة لم يكن على صلة مع امرأة. فقد تمّ خلق خلفائهم إما من قبلهم أو من قبل الشيخ ادي أو من قبل الله :

راجع: Siouffi,Notice sur le Cheikh ʹÁdi et sur la secte yezidis

وكذلك النص الذي ننشره حول شيخو بكر (الملحق 2).

(13) راجع التعبير الكردي" Bi Tawûsê here "(اذهب إلى الشيطان) الذي ذكره جابا في قاموسه.

(14) بدون عناية المَلِك طاووس Tawûsê Melek لن يقدر العالم على البقاء ، وقد روى لنا علي اوسو Élî Wûso " أن المَلِك طاووس قال لمحمد : " لن يسير أي شيء ما لم أضع يدي فيه. ورد عليه محمد : لا أقبل ما تقوله ، دعني أقيّد يديك إن كان ذلك صحيحا. وربط محمد يدي الملك طاووس خلف ظهره ، فتوقف سير العالم وأصبح كإنسان ضرير لا يقدر على عمل أي شيء. وفكّ محمد يدي الملك فاستأنف العالم سيره ، فالكون موجود إذن بفضل يد الملك طاووس (علي اوسو).

(15) نسي بعض الكتاب أن اليزيدية يتكلمون اللغة الكردية فرددوا أنه يُمنع على اليزيدية كذلك لفظ بعض الكلمات العربية التي فيها بعض التشابه مع كلمة شيطان (مثل شط ، ختان... الخ) أو التي تحوي حرف العين الذي يظهر في جذر كلمة اللعنة (انظر المراجع وكذلك فورلاني) : Furlani , Gil interdetti religiosi dei yezidi , p.155-6) إن كل هذه التأكيدات مغلوطة.

(16) راجع أدناه السناجق ، وهي تماثيل صغيرة مقدسة تمثل الملك طاووس على هيئة طاووس.

(17) Cf.. Furlani , testi religiosi sui yezidi , p.29. وفقاً للخرافة الدرزية الطاووس هو الذي أغرى آدم بمساعدة الثعبان. وفي كتاب القدّيس جان لدى المندائية. يسمى الشيطان بالطاووس (Cf. ibid., p.32) ومع هذا فإنه من المهم أن نلاحظ أن بعض المتصوفين ينسبون إلى محمد مظهر الطاووس.

(18) يظهر التختجية قاسماً مشتركاً آخر مع اليزيدية ، فلا يلفظون كلمة " شيطان " أبداً ويتجنبون استعمال كل تعبير من شأنه أن يغيظ الشيطان.

(19) نقل عنه عباس العزّاوي ، م.س ، ص 65.

(20) راجع عباس العزّاوي ، م.س ، ص 63.

(21) راجع أحمد تيمور ، م.س ، ص 45-48 وعباس العزّاوي ، م.س ، ص 55-60.

(22) راجع عبد القادر الجيلاني ، فتوح الغيب ، ص 49-50.

(23) يروي أحمد الغزالي نفس القصة بكلمات مشابهة (راجع أحمد تيمور ، م. س ، ص 46).

(24) بخصوص العلاقة المحتملة بين العدوية والحلاجية ، راجع أعلاه ، ص 40 ، الحاشية رقم 2 ، وانظر مقالة لويس ماسينيون : L.Massignon , ALHALAJ , le phantasme crucifié desdecé Tes et Satan selon les yezidis. وأخيرا يجب الا ننسى أنه يفترض وجود تبادل أفكار متكرر بين بغداد وبين البلاد الكردية في العراق بوساطة جماعة الصوفيين التي أشرنا إلى وجودهم فيها فيما سبق. (راجع أعلاه ص 24 ، الحاشية رقم 3)

(25) Cf. Michel Fébvre , théater de la Turquie , p.363-73

(26) راجع اسماعيل بك جول ، م.س ، ص78. وقد قرأ السيد ق. زريق في مخطوطة اسماعيل بك " بريق الأصعر " ولكن يبدو لنا منطقيا أكثر أن نقرأ " بريق الأصفر ".

(27) راجع الفصل التالي.

(28) نجد تحليلا وافيا لهذه الروايات المختلفة في مقالة منزل Menzel ، كتاب الجلوة.

(29) مُركب حسب روايات أخرى. راجع بخصوص الدرة البيضاء. L. Massignon , Al Hallaj , 901 et note.

(30) راجع اسماعيل بك جول ، م.س ، ص102. تقيم الحكاية الأسطورية الإيرانية أيضا علاقة بين خلق الإنسان الأول ووجود الحنطة : Cf.. Christensen , Le premier homme et le premier roi)

(dans l'histoire légendaire des iraniens , p. 14).

(31) مثلا ، حسب رواية القوّالين لجميل آغا ، وحسب أقوال الصابئة ، جبريل هو الذي خلق جسم آدم ، راجع عبد الرزاق الحسني ، الصابئة. ص 32.

(32) إذا اعتقدنا بصحة رواية جميل آغا ، فإن العملية لم تجر بسهولة : " قالت الروح لله : " لن أدخل في جسد آدم إلا إذا أعطيتني الإشارة التي أريدها؛ أريد أن يسبقني " وحسب الشرح الذي قدّمه الراوي فإن الإشارة التي تتعلق بها المسألة هي الالتزامات الخمسة التي تقيّد كل يزيدي (راجع أعلاه ص 31 ، الحاشية رقم 2).

(33) النص الذي نترجمه هنا أملاه علينا علي أوسو Êlî wûso. ولا نستطيع أن ننقل الأصل الكردي لأنه مكتوب على عجل ويحتوي على العديد من أخطاء الكتابة. في كتابه : Notice sur la secte yezidis ينشر سيوفي نصا لا يختلف عن نصنا هذا إلا ببعض التفاصيل.

(34) في نص Siouffi : سأل الله الملك طاووس وهو يحاول أن يحط للمرة الأولى على الشجرة : " من أنا ومن أنت؟ " فأجابه الملك طاووس : " أنت أنت وأنا أنا ". فغضب الله من هذا التكبر وطرده. واستمر الملك في تجواله إلى أن التقى في النهاية ب شي شمس Şims Şê مستقراً على شجرة ورد ، فأخبره عن مصيبته ، فنصحه شي شمس أن يمضي للقاء الطائر الإلهي ويعترف بخطئه بأن يقول : " أنت الخالق وأنا المخلوق ". يعتقد Siouffi أن هذا المشهد من الأسطورة يحتوي ذكرى أخيرة عن تمرد الشيطان وتوبته.

(35) راجع الكوسموغونية (نظرية نشوء الكون) الإيرانية.

(36) في رواية جميل آغا وفي النص الذي نشره Siouffi ، أحد أبناء آدم هو الذي اقترح هذا الحل ولكن لا جميل آغا ولا علي اوسو Êlî wûso عرف شرح جملة التعجب " يا أيها الدرز ! ". يعتقد Siouffi أنها مدحية ويقول إن اليزيدية يعتبرون الدروز على جانب كبير من المكر. وحسب حكاية أسطورية معروفة جيداً ، فإن لليزيدية أصلا يختلف عن أصل بقية البشر رغم أنهم ينحدرون من آدم؛ فعندما أكد آدم على أن الفضل يعود له وحده في إنجاب الأطفال وعبّرت حوّاء عن الادعاء نفسه قرر كلاهما اللجوء إلى اختبار لمعرفة من منهما على حق " وضع آدم منيه في جرّة وفعلت حوّاء مثله. وطمرا الإناءين [في التراب]. وبعد مرور تسعة أشهر كشفا عنهما وفتحاهما ، فلم يخرج من جرّة حواء سوى الحشرات والهوام ، وفتح آدم جرته ، فوجد فيها طفلا ، ويا له من طفل ! ويقال إن اليزيدية ينحدرون من طفل الجرّة هذا . " وكان في الجرّة أيضا شيء معلق. يقول البعض إن أصل اليزيدية من هذا الشيء ". ولم يعرف علي اوسو الذي روى لنا هذه الحكاية ما هو هذا " الشيء المعلق ". يمكن أن نقرب هذه الحكاية من الرواية الزرادشتية التي تقول إن الزوج البشري الأول ولد من نبتة نبتت من بذار كيو مرث Gayomard المطمورة في التراب.

(Cf. Christensen , le premier homme et Le premier roi dans l'histoire légendaire des iraniens , p21)

ويمكن أن نقربها من أسطورة الإله أجستيس Agistis الذي ولد من نقطة مني سقطت من زيوس على الأرض وهو نائم (Cf : ibid ,p.40). وهناك أيضاً حكاية أسطورية معروفة في سنجار تجعل من اليزيدية سليلي الخليفة يزيد (راجع أدناه في الفقرة التي خصصناها للسلطان ايزي ، الرواية التي يقدمها اسماعيل بك عنها).

(37) راجع اسماعيل بك چول ، م.س ، ص 77. رواية مماثلة رواها لنا علي قاسمكو من الهتابات (سنجار).

(38) راجع الملحق 2 ، النص الكردي للحكاية. في عام 668-669 م قاد يزيد حملة إسلامية على اسطنبول. (Cf. Canard , les expéditions des Arabes contre Constantinople).

ويروي ابن تيمية في الرسالة العدوية حديثاً يتصل بهذا الحدث : " روى البخاري في جامع الصحاح عن ابن عمر أن رسول الله (ص) قال : "..

(39) عبارة شكر (راجع سباس الفارسية).

(40) ينقل سيوفي Siouffi حكاية مماثلة : يريد معاوية والد يزيد أن يمنع ابنه الذي ترك الإسلام ليصبح يزيدياً ، من شرب الخمر. فيعرض عليه يزيد أن يشرب من الخمر قطرات بقدر ما يمكن وضعها على ظفره " وبعد لحظات من تناوله هذا المشروب الجديد كليا ، يشعر معاوية بسعادة وحبور في قلبه ، لم يكن قد عرفهما قبل ذلك ، ويشرع بالرقص. وفي غمرة الفرح هذه أقنع القاضي أن يحذو حذوه ، فشرب القاضي الخمر ورقص هو أيضاً مع الخليفة. وبعد أن قام بهذه التجربة الممتعة وافق على سلوك ابنه ووعده بألا يزعجه بعد ذلك "..(Siouffi , op. cit., p. 261).

(41) أي تحولت إلى شيء لذيذ.

(42) وكذلك تدخل امرأتان في الحكاية الإسلامية المتعلقة بحملة يزيد. وحسب كتاب الأغاني تم نصب خيمتين خلف جدران القسطنطينية. وسمع صوت يرتفع بالغناء من إحداهما (التي تسكنها ابنة ملك البيزنطيين) عندما كان الإغريق يتهيؤون ، ومن الأخرى عندما تحوّل المسلمون إلى الهجوم. (Cf. Canard , op.cit.)

(43) كتب إلينا السيد نيكيتين الذي أطلعناه على هذا النص : " أعتقد أني أجد في هذا الحادث بقية حكاية تقول إنه إبّان حصار الأتراك للقسطنطينية كان أحد النسّاك يشوي سمكاً عندما أخبروه أن المدينة سقطت بأيدي الأتراك. فأجاب: " لا أصدق ذلك إلا إذا عادت الحياة إلى هذه الأسماك التي أشويها" فما كان إلا أن قفزت الأسماك إلى البحر وراحت تسبح فيه. ويسمى هذا الدير بالخ Balikh ، ويعرض فيه حتى الآن أسماك موجودة في حوض وأحد جانبيها أغمق (مشوي أكثر) من الجانب الآخر ".

(44) لا يروي اليزيديون حكاية السلطان ايزي عن طيب خاطر خشية أن تغيظ هذه الحكاية المسلمين. وقد توقف المصدر الذي أملى علينا البداية – شيخ ناصر من غزوية (جبل سمعان) – فجأة عند مشهد الأسماك. ولم نتمكن من الحصول على تتمة الرواية إلا بعد أيام ، وذلك بفضل الشيخ جنيت من قره باش.

(45) القديسة صوفي Sophie التي يجعلها اليزيديون ابنة قسطنطين.

(46) الله والتعبير موجود بالعربية في النص.

(47) بخصوص " الكتاب " الذي يتضمن رواية كل الأحداث التي جرت والتي لم تجر بعد ، انظر حكاية Gawir في جبل سنجار (راجع أدناه الفصل الثالث ، الاعمار).

(48) تشخيص للإمبراطورية العثمانية.

(49) يعني قبل حلول العام 2000... وقد تحققت النبوءة.

(50) أي أن : " الإنسان الحرّ وحده يستطيع أن يعطي كلمته (وعده) ". وهو تغيير كردي للمثل الشعبي العربي : الوعد بيد الحرّ.

(51) شرح لنا مصدرنا اللولو بـ " اليهود ، المتوحشين " وكتب إلينا السيد Nikitine : " نحن نعرف قوما باسم مماثل في العهد الأشوري ، في زاغروس بالقرب من قصر شيرين Qasré shirin. وبهذا يكون لدينا دليل آخر حافظت عليه الأوساط الكردية في رواياتها عن البقايا التاريخية وهو ذو قيمة عالية جداً. ومن جهتي ، فانا أتمسك بأصل الكلمة الاثني القديم هذا ، على الرغم من أن اسم الغجر اللوليين Tziganes Lûlî يمكن أن يدخل أيضاً في البحث ".

(52) بعد أن أملى علينا الشيخ جنيت Şêx cinnêt هذا الجزء الأول من النص رفض بإصرار تتمة النص. واصبح من المستحيل علينا أن نجد من يوافق على إكمال الحكاية.

(53) يذهب شي شمس لرؤية الله ثلاث مرات يومياً ويتوجه إليه بالصلوات : " اجعل العالم مزدهراً اجعل العالم بخير ، وامنحنا النعم التي ترتبط باسمك ". وهو يذهب لرؤيته مرة في الصباح ومرة عند الظهر ومرة عند المساء " (علي اوسو). وقد أراد البعض جعل شي شمس إلهاً للشمس. والفرضية قائمة. إذ أنه في الحقيقة هذا هو الملك الذي توجّه إليه اليزيدية صلواتهم عند شروق الشمس وغروبها. راجع أيضاً الثيران البيضاء التي تذبح كقرابين لشي شمس خلال أعياد الشيخ أدي (Layard ,op.cit., p.290) بالمقابل ، فإن المقارنات التي حاول البعض أن يقيمها بين ملائكة يزيدية آخرين وبين بعض الآلهة البابلية (فرخدين وكرموش Karmuch ، وناسردين ونسروخ) ، تبدو خطيرة وجريئة. لكن ما يثير الاهتمام هو أن نرى اسماعيل بك – الذي قرأ مقالات عربية عن الطائفة اليزيدية – يقبل بها (راجع المصدر المذكور ، ص 77 و ص 79).

(54) راجع الروايتين اللتين يقدمهما اسماعيل بك عن الشيخ أدي في كتابه المذكور ، ص 95.

(55) راجع أدناه ، الطقوس الشعبية.

(56) راجع اسماعيل بك چول ، م.س ، ص 87-88.

(57) سوف ندرسها في بداية الفصل التالي.

(58) يقال للصلاة دُعا و دُعا كرن du'a kirin تعني تأدية الصلاة. عندما يُسأل اليزيدي بالعربية يجيب بشكل ثابت أنه لا يصلي لأن كلمة صلاة تذكره بفكرة صلاة المسلمين.

(59) موقف يشير إلى الذلّ. و البكتاشية يصلون واقفين ، الذراعان متصالبان على الصدر واليدان مستندتان إلى الكتفين وطرف إبهام القدم اليمنى موضوعة على طرف إبهام القدم اليسرى (Cf. Jacob , op. cit ,. P. 92) . و المولوية يقومون بنفس الشيء عندما يحيّون بعضهم بعضاً قبل الشروع بالرقص.

(60) هذا النص أملاه علينا علي اوسو Elî Wûso' وهو لا يصلح إلا للصلوات الموّجهة إلى الشمس. وهذه الأدعية تخضع للارتجال. جميع الصلوات اليزيدية التي حصلنا عليها أو التي تم نشرها (راجع Anastase Marie ، اليزيدية ، ص 312 و H. (Makas , Drei jezidengebete. تختلف عن بعضها بعضاً.

(61) بصدد الياقة اليزيدية راجع أدناه ، المحرّمات.

(62) في بعض المناطق ، في سورية على سبيل المثال ، يفضّل جيران المسلمين الجمعة كيوم عطلة.

(63) كما هو لدى المسلمين ، الصيام يعني بالنسبة لليزيدية ألا يبتلعوا شيئاً من الفجر إلى الغسق.

(64) راجع أدناه ، التنظيم الديني.

(65) على غرار ما كان يفعله الشيخ عدي. راجع اسماعيل بك چول ، م.س ص 92 – 93.

(66) وفي منطقة الشيخان ، بجولة يقوم بها القوّالون. (المصدر المذكور ، ص 80).

(67) يسميه اسماعيل بك (م.س ، ص92) عيد بيرندة (Îda pîrende)

(68) يثبّت الله مصائر جميع المخلوقات في ليلة رأس السنة (Ser Sal) بحسب Giamil (Cf. Monte Sindjar) ، وفي ليلة القدر بحسب اسماعيل بك چول (المصدر المذكور). في مقاله : Das Neujahrfest des yezidis ، يقرّب Brockelmann بين هذا العيد اليزيدي وبعض الاحتفالات الأرمنية والآشورية (zakmuk) واليهودية.

(69) من ناحية ثانية ، يشكل الموتى موضع إجلال دائم؛ إذ تخصص لهم بواكير كلّ محصول. وعندما تبدأ الماشية بالإنتاج في الربيع ، تخصص منتجاتها للشيخ أدي خلال يومين وللأموات في اليوم الثالث.

(70) راجع اسماعيل بك چول ، م.س ، ص 92 – 93. بالنسبة لعيد مقام الشيخ أدي الكبير لا يسعنا إلا أن نعود إلى الرواية المعروفة عند Layard (Niniveh and remains , p 279 et ss).

(71) راجع أدناه ، التنظيم الديني.

(72) مع ذلك فهي ليست أصناماً وليس لها إلا قيمة أثرية أو رمزية.

(73) راجع مادة يزيدي في دائرة المعارف الإسلامية و كذلك Bdgers , The Nestorians and their ritual.

(74) لسوء الحظ لم يسمح لي بتصويرهما.

(75) يبدو أن كلمتي طاووس وسنجق (علم) ، وإن كانتا تختلطان على الأغلب ، تشيران بالمعنى الدقيق إلى جزأين مختلفين من شيء واحد. يروي اسماعيل بك (في المصدر المذكور سابقاً ، ص 44) كيف أنه سلب

القوّال سليمان : " فأخذن منه الطاووس والسنجق " و يتابع سرد حكايته من دون أن يخلط بين الكلمتين وهكذا فقد يرتبط الطاووس بالتمثال والسنجق بقاعدته.

(76) Cf. R. Empson , the cult of the Peacock Angle , frontispiece.

(77) راجع مادة يزيدي في دائرة المعارف الإسلامية. لا أحد من اليزيدية الذين سألناهم يعرف هذه الرواية.

(78) طواويس الشيخ أدي أخذها الأتراك عندما سلبوا مزاره عام 1892 (راجع أدناه ، التاريخ) وبعثوا بها إلى الموصل. لكنها سرعان ما اختفت ، فقد سرقها اليزيديون ولا شك.

(79) رئيس الأئمة Pêşîmam هو الرئيس الديني لمنطقة بأكملها. راجع أدناه التنظيم الديني.

(80) مزار يزيدي يقع بالقرب من بيرجيك. راجع أدناه الملحق رقم 3.

(81) يقدّر ثيودور منزل Th. Menzel (راجع ، Yazīdī) العائدات التي كان الأمير اليزيدي يحصل عليها من الطواويس التي كانت بحوزته قبل الحرب بما لا يقل عن ثمانية آلاف ليرة ذهبية تركية.

(82) راجع اسماعيل بك ، م.س ، ص 43 و SS.

(83) يبدو أن القوالين لا يحملون معهم سوى صور للسناجق الأصلية.

إمّا لأنها ثقيلة يصعب حملها أو لأنها مصنوعة بعناية كبيرة يُخشى عليها التعرض للخطر في الطرقات (راجع دائرة المعارف الإسلامية وأيضاً Menant , les yezidis). في هذه الحال ، يمكن أن تكون السناجق التي رأيناها لدى جميل آغا طواويس السفر.

(84) آخر مرة جاؤوا فيها إلى جبل سمعان كانت في تشرين الأول من عام 1936.

(85) زيارتهم الأخيرة لأرمينية السوفيتية تعود إلى عام 1927.

(86) راجع من بين آخرين؛ Anstase Marie,Al yazîdiyya ,p.397

(87) للتأشير على سبيل الذكرى إلى تحريم لفظ اسم الشيطان (راجع أعلاه ، ص 49).

(88) لم يتم إعطاء أي تفسير معقول لمنع اللون الأزرق. هذا اللون يلعب دوراً كبيراً في الخرافات الشرقية(راجع العين الشريرة [الإصابة بالعين]). كما أن اليزيدية والصابئة لا يلبسون ثياباً زرقاء (راجع عبد الحليم الحسني ، م.س ، ص45). يعتقد كلدانيو أورمية أن للأزرق مزية جذب الأرواح الشريرة (Cf. B.Nikitine , Superstitions des Chaldéens du plateau d'Ourmiah , p.151) ، " خلال الأيام السبعة التي تلي الولادة ، يجب عدم وضع أي شيء أزرق على المولود ، لكي لا يستحوذ عليه شيشا Checha(الجني الشرير) ". (ibid p.164). لكنّ منع اللون الأزرق لا يمنع النساء اليزيديات من تزيين أطفالهن بتعاويذ من هذا اللون حفظاً لهم من العين الشريرة.

(89) على كل يزيدي يرتدي قميصاً لأول مرة أن يزرر ياقته من قبل أخيه في الآخرة Brayê axêretê (اسماعيل بك چول ، م.س ، ص97- 98). لم نحصل على تأكيد لهذه العادة.

(90) بصدد هذا القميص راجع أدناه ، 3 الحياة المادية ، و4. أصل هذا النوع من الياقات غير معروف ، لكن يزيدية سنجار ينسبون إلى الكوچك إبراهيم – الشخصية المقدسة المتوفاة حوالي نهاية القرن الثامن عشر – المبادرة في [وضع] قواعد متعلقة بالملابس ، إن هذه الرواية غير دقيقة لأن Michel Febvre كان قد أشار قبل ذلك بقرن إلى الملابس الخاصة باليزيدية. ووفقاً لـ Febvre ، فقد أعطى اليزيدية هذا الشكل الخاص لياقات قمصانهم " في ذكرى حلقة النور الذهبية التي هبطت من السماء على ياقة وليّهم العظيم الشيخ أدي ، بعد أن صام أربعين يوماً " (Cf. Febvre , op. cit., p. 365).

(91) في ذكرى المثل الذي ضربه السلطان ايزي : راجع أعلاه ، ص62.

(92) يعبّر اليزيدية بصورة غير واضحة عن رأيهم في أسباب هذا المنع. وحسب حكاية أولى ، فإن الشيخ آدي وجّه الكلام إلى الخس ذات يوم ، فلم يجب ، فلعنه الشيخ (راجع اسماعيل بك ، م.س ، ص 96) بينما يقول جميل آغا إنه حين طرد الملك طاووس محمداً من الجنة ، وقع على الأرض وأضاع عمامته التي غطت نبتة خس ، ومن هنا جاءت قذارة هذا النبات.

(93) استهلاك هذا النوع من الخضرة محظور على الصابئة أيضاً.

(94) بلا ريب بسبب حكاية " ديك العرش " الأسطورية. يطلق اليزيديون أحياناً اسم " ديك العرش " على الملك طاووس.

(95) حسب البعض ، لأن عيون الغزال تشبه عيون الشيخ آدي ، وحسب البعض الآخر لأن الملك فرخدين كان راعياً للغزلان خلال حياته الدنيوية.

(96) على الأخص الكلاب السوداء التي هي نُذر شؤم. وهذا ما يتناقض مع تأكيدات الرحّالة التركي أوليا چلبي الذي يتهم اليزيديين بتقديم نوع من العبادة لهذا الحيوان. (Cf.Th. Menzel,Ein Beitrag zur Kenntniss der Yeziden).

وعلى نحو غير منطقي مثير تعتبر السلوقيات مخلوقات نبيلة في سنجار وليست نجسة.

(97) وهم عديدون : Cf. Furlani , Gli interdetti dei yezidi.

(98) Ziyaret مذكرة بالكردية.

(99) يوجد في سنجار مزاران Ziyaret مخصصان لآمادين.

(100) راجع أدناه ، الملحق 3 ، أ.

(101) رواية علي اوسو.

(102) عدا بعض المزارات الموجودة في الشيخان (راجع Kanîyê zer ، النبع الأصفر ، و Kanîyê spî النبع الأبيض). نقدم أبعد من ذلك (الملحق 3) قائمة وصفية بمزارات جبل سنجار ومزارات جبل سمعان.

(103) حيث يوجد أحد المزارات الأكثر تبجيلاً (Çêl Mêra) على قمة الجبل.

(104) كما في باسوطة و برج عفدالو Borc 'Evdalo في سورية.

(105) كسنديان شي بلقاسم Şê Bilqasim (سنجار) وأشجار چيل خاني Çêl xanê وشي عبد القادر في جبل سمعان. وتبجيل الأشجار منتشر جداً في كردستان كلها.

(106) كما في كل مكان في الشرق. والقبة المخصصة للشيخ بركات في منطقة عفرين تنهض على معبد وثني (راجع أدناه ، الملحق 3 ، ب).

(107) راجع عيد چيل خاني Çêl xanê في جبل سمعان (انظر أدناه ، الملحق 3 ، ب).

(108) بشأن الطقوس الشعبية ، نذكر ثانية بأن اليزيديين مثلهم مثل الشرقيين الآخرين يعتقدون بوجود الجن. وتقدم منحدرات سنجار المقفرة مأوى ملائماً لهذه الأرواح أكثر من أي بلد آخر ، كما أن سكان الجبل يخشونها [أي الأرواح] كثيراً. والجن هذه العفاريت الصغيرة يعيشون تحت الأرض وفي الأشجار (لهذا يفضل ألا تقطع إلا الأشجار الميتة) وفي المغارات. ولهم طبع خبيث إذ يروق لهم تضليل المسافرين الذين يسيرون في الليل كما يروق لهم تخويفهم بإطلاق الصيحات أو برشقهم بالحجارة. والجن كما الإنس منظمون في مجتمعات ويمارسون ديانات مختلفة : فالبعض منهم يزيديون (ولهم أيضاً شيوخهم وپيرتهم Pîr) والآخرون مسلمون أو مسيحيون. واليزيديون منهم والمسيحيون محبوبون لأنهم يجعلون البيوت التي يضعونها تحت حمايتهم مزدهرة ميمونة ، أما المسلمون منهم فلهم طباع سيئة مثل طباع أبناء ملتهم من البشر. ومن جهة ثانية ، مهما تكن الشريعة التي يتبعها الجن فإن اليزيديين لا يتحدثون عن هذه الأرواح إلا بتحفظ وحذر : إذ لم نرَ علي اوسو بمثل هذا الارتباك إلا عندما سألناه عن موضوع الجن. ويروى أن بعض الأشخاص على علاقة بالجن [دخلوا في علاقات مع الجن] : تزوج فقير Feqîr من سنجار بغول ففقد عقله بعد هذا الزواج فيما عرف الشيخ عبدو من قرتخ Qertex (سنجار) كيف يجعل جنياً يتعلق به ويتبعه في كل مكان ويدخل معه في أحاديث طويلة : فالروح (الجني) تجيب بصيحات حادة قصيرة على أسئلة سيدها ويدعي كل واحد بأنه سمع صوته. لا شك في أن شيخنا هذا مقامق (يتحدث بصوت خارج من بطنه).

(109) التي تشكل ما يمكن أن نسميه اليوم بالمعتقد اليزيدي العالم : قصة الخلق حسب الكتاب الأسود Mishefa Reş وعبادة يزيد والشيطان والأعياد التي تتزامن مع الأعياد الإسلامية.

(110) الرواية الوحيدة الشعبية حقاً هي : رواية شعبية عن الخلق (راجع أعلاه ص 57 وما يليها) وعبادة الكواكب ، عبادة الشمس والقمر والأعياد الشمسية) ، وعبادة الطبيعة. لا شك أن المفاهيم التي نملكها عن اليزيدية ستتغير كلياً عندما نجمع وثائق كافية عن الفلكلور الكردي.

الفصل الثالث

التنظيم الديني

حافظت اليزيدية على أثر أصولها الإسلامية عبر تنظيمها الديني أكثر مما حافظت عليه في معتقدها. فنجد في تسلسل الرتب لديها كلّ الرتب التي كانت ، دون شك ، موجودة في الطريقة الصوفية التي أسسها الشيخ عدي بن مسافر. إن مرتبة الشيخ أو البير أو الفقير أو القوّال تمثل شاغل منصب صوفي ، تمّ نسيان معناه الحقيقي منذ أمد طويل. إلا أن واجبات المريدين [1] نحو رؤسائهم الدينيين ما تزال تظهر من بين أهم الالتزامات التي تفرضها الديانة اليزيدية على أتباعها.

كل يزيدي ، مهما كانت طبقته ، " مرتبط " بخمسة واجبات : أن يكون له معلم (Usta : وهذا المعلم هو الله ذاته)، وشيخ ، وبير [2]، وأخ في الآخرة (brayê axêretê) [3] ومربٍ (murebbî) [4]. لم يعد لدى الشيوخ والبيرة وعي كبير لدورهم كمرشدين روحيين : ومع هذا

يبقى مريدوهم تابعين لهم تبعية تامة. و لا تتجلى هذه التبعية في إبداء الاحترام [5] وحسب ، بل في دفع إتاوة سنوية أيضاً.

إن هذا النظام الذي رسمنا معالمه الأساسية للتوّ لم يعد قادراً على الاستجابة لغايته الأولى ، وهو يدين فقط للأهمية الاجتماعية التي كان قد حققها في الاستمرار بعد زوال العدوية. وما زال هذا النظام يشكّل الدعامة الأكثر متانة للمجتمع اليزيدي. فكل يزيدي يكبر ويتزوج ويموت في الطبقة التي ينتمي إليها منذ الولادة [6]. وهكذا تكون واجباته و امتيازاته محدودة منذ قدومه إلى الدنيا.

الأمير

الرتبة الأعلى في نظام التسلسل اليزيدي تخصّ أمير الشيخان وأفراد عائلته. وتقول بعض الروايات إن بيت الأمير من سلالة الخليفة يزيد ، فيما تقول روايات أخرى إنه من سلالة شيخ شمس ، والواقع ، على ما يبدو ، أنه يتحدّر من الخلفاء الأوائل للشيخ عدي [7].

يحتفظ الأمير من بين جموع اليزيدية بالسلطة المطلقة على الصعيدين الروحي والدنيوي على حد سواء. يمكن له أن يحرم وفقاً لمشيئته كلّ مؤمن يعترض على قراراته [8]. وإذا كان الأمير لا يملك أية سلطة حقيقية خارج منطقة الشيخان التي يقيم فيها [9] ، فإنه يتمتع بشهرة واسعة لدى كل اليزيديين الذين ينتمون إلى الجاليات الأبعد من الطائفة.

إن العائدات التي توفرها له السناجق وأوقاف الشيخ عدي المفوّض إليه إدارتها ، تؤمّن له وضعاً يُحسد عليه ، وغالباً ما يحاول خصوم له أن يغتصبوا وظائفه. والقتل وسيلة يلجأ إليها الورثة المحتملون ، على الأغلب ليعجلوا نجاحاً بطيء القدوم. قلة هم الأمراء اليزيديون الذين يموتون ميتة طبيعية.

والأمير الحالي ، سعيد بك ، حلّ محلّ والده الذي اغتيل عام 1913 في ظروف غامضة [10]. وله من العمر حوالي الأربعين عاماً. وهو على ميول عصرية [11] ووقار كبير ، لكنه لسوء الحظ مدمن على المشروب ومجرد من الطاقة. تقوده والدته بطريقتها الخاصة وباستلهام من السلطات العراقية.

الشيوخ

الطبقة الثانية ، أي طبقة الشيوخ لا تشمل سوى عدد صغير من العائلات [12] ، التي تعود بأصولها إلى الشيخان (بلد الشيوخ) ،دفعتها وظائف أفرادها إلى التفرق في التجمعات اليزيدية المختلفة [13] ، تدّعي الحكاية الأسطورية أن أسلاف الشيوخ هم الملائكة الذين تجسّدوا لكي يسنّوا القوانين للناس [14]. وحسب كلّ احتمال ، فإن أصحاب هذا المنصب (الشيخ) يمثّلون الفروع الثانوية المختلفة لسلالة صخر أبي البركات ، حفيد الشيخ عدي [15] ، فيما يمثّل بيت الأمير الفرع الأصلي لهذه السلالة.

وبدافع من حسدهم لبعضهم على النفوذ الذي منحتهم أصولهم إياه ، لم يتزوج أفراد عائلة الشيخ (عدي) على الأرجح إلا زواج الأقارب ، وما لبثوا أن شكلوا طبقة خاصة. نحن نعلم بأيّة سهولة تصبح العطايا السرّية والمناصب قابلة للتحول وراثياً في الشرق.

تترافق وظائف الشيخ بسلطات مهمّة ، فكلّ شيخ مكلف بعدد من المريدين الذين " يخصّونه " [16] منذ ولادتهم. وعند موته يتقاسمهم ورثته الموصى لهم مع ما تبقى من أمواله. وينتج عن هذا النمط من الإرث حيرة عجيبة : فمن النادر أن يرتبط جميع أفراد القبيلة أو حتى الفصيلة بالشيخ نفسه ، بالمقابل ، فإن مريدي كل شيخ متفرقون في قرى ومناطق تكون أحياناً بعيدة جداً عن بعضها بعضاً [17].

إن مهمة الشيخ هي مهمة دينية بالدرجة الأولى؛ عليه أن يكون الدليل الروحي للمريدين الذين أنيطت به مسؤولياتهم وأن يقوم بتأدية الطقوس التي تقتضيها منهم المراحل المختلفة من الحياة الإنسانية (كالولادة والزواج والموت). فهو الذي يعلن تاريخ الأعياد وهو الذي يسهر على تطهيرهم [الروحي]. ويكون إفطار الصائمين بوجبة رمزية لديه ، وأخيراً فإن أغلبية الاحتفالات ، على الأقل في سنجار ، تترافق بتطواف طقسي حول مسكنه الذي يعد بمثابة حرم [18] يحل إلى حدّ ما محل المعابد غير الموجودة.

وفي سنجار أيضاً يضيف بعض الشيوخ إلى وظائفهم الطبيعية وظيفة حارس مزار Ziaret [19] ورغم أن جميع الشيوخ متساوون فيما

بينهم فإن الذين يعودون بأصولهم إلى عائلة الشيخ حسن Şê Hesen لهم أفضلية على مجموع زملائهم [20]. وفي تشدّد صارم يملكون وحدهم السلطات الضرورية لإجراء النكاح وتأدية الطقوس الجنائزية[21] ويحق لهم وحدهم القراءة والكتابة. مع أنهم نادراً ما يستفيدون من هذا الامتياز الأخير ، يبقى شيوخ عائلة الشيخ حسن المؤتمنين الرئيسيين للعلم الديني ، وهم الذين يدرس لديهم أبناء ملتهم الذين يرغبون في التعلّم [22]. ولنلاحظ أخيراً أن رؤساء الأئمة (pêşîmam)[23] يتطوّعون فقط من بين أفراد هذه الأسرة.

لا شك أن منصب الشيخ ليس مجانياً. وعلى المريدين ، تحت طائلة الحرمان ، أن يدفعوا إتاوة لشيخهم الذي يجمعها مرة في السنة في سورية ومرتين في سنجار ربيعاً وخريفاً [24]. يدفع كلّ منهم بحسب موارده (خمسة إلى عشرين مجيدياً) ، وهذا التزام يواجه بطيب خاطر : فيدفع الأهل والأصدقاء عن الغائبين الذين لا يتوانون عن سداد الدين لدى عودتهم [25]. يُضاف إلى هذه الضرائب النظامية تعويضات الأتعاب التي تجنى خلال حفلات الزواج والطقوس الجنائزية ، كما يضاف إليها عطايا الزوّار بالنسبة للشيوخ الذين يأخذون على عاتقهم حراسة المزارات. وهناك شيوخ آخرون ، سحرة أو شافون [26] ، يستغلون مواهبهم الخارقة لجني دخل معتبر. أخيراً فإن الاحترام الذي يحيط به المؤمنون رؤساءهم الدينيين [27] يحقق للأخيرين العديد من الامتيازات[28] يلاحظ في هذه الظروف أن الكثير من الشخصيات

الدينية توصلوا إلى جمع ثروات ضخمة ، كما أن البعض استخدموا نفوذهم وغناهم بمهارة للاستفادة من الخصومات التي تفرّق العشائر ومن ثم استولوا على السلطة السياسية [29].

البيرة Pîr

أصلهم كالشيوخ من منطقة الشيخان ، ويتوزعون على عدد صغير من العائلات[30]. ومن الجدير بالملاحظة أن كلمة " Pîr " في الكردية لها نفس معنى كلمة " شيخ " بالعربية. ودور البيرة مماثل تقريباً لدور الشيوخ ، ويمكن أن نفترض أن فروقات الرتبة واللقب التي تفصل بين هاتين الفئتين من أصحاب الرتب وجدت بسبب من المنشأ الاثني المختلف ، فالشيوخ يتحدّرون من أقارب الشيخ عدي [31] العرب مثله ، و البيرة هم سليلو بعض مريدي الشيخ عدي من الأكراد. وما يؤكد فرضيتنا هو أن جميع عائلات البيرة، باستثناء واحدة ، تحمل أسماء كردية ، في حين أن عائلات الشيوخ ما عدا عائلة الشيخ مَند Mend- تعرف بأسماء عائلات عربية.

إن دور البيرة غير محدد بشكل جيد : فهم ينوبون عن الشيوخ، ويقتصر دورهم في مساعدة الشيوخ في أداء الشعائر الدينية أو في الحلول محلهم في حالة الغياب ، وهم يحصّلون دخلهم من مصادر مماثلة (إتاوة سنوية ، استغلال مواهبهم في العرافة والشفاء) ، لكنهم لا يحققون سوى واردات قليلة : والإتاوة التي يحصل عليها البيرة أقلّ

بحوالي النصف مما يدفع للشيخ. هذا وتذهب أفضال الشعب والفوائد التي ترافقها إلى الشيوخ على الأغلب ، فيتضرر من جرّاء ذلك، الوضع المعنوي والمادي للبيرة ، ولا يتوصلون أبداً [أي البيرة] إلى كسب نفوذ بنفس أهمية نفوذ زملائهم في الرتبة الأعلى [أي الشيوخ].

القوّالون

يقيم القوّالون حصراً في قرى بعشيقة وباحزاني Behzanê في منطقة الشيخان [32] وعلى الرغم من أنهم مكلفون بشكل أساسي بترتيل الأناشيد خلال أعياد الشيخ آدي [33] ، فإن وظيفتهم الرئيسية هي القيام بزيارة التجمعات اليزيدية المختلفة في مجموعات تتألف من شخصين إلى ثلاثة بغية عرض السناجق على اليزيدية. وعليهم أن يقوموا خلال زياراتهم بتقوية إيمان إخوتهم في الدين من خلال الوعظ والإرشاد. إن مثل هذه الرحلات طويلة جداً وخطيرة أحياناً ، لذا يحصل القوالون على أجر كبير يقتطع من العطايا التي يجمعونها.

يحتاج دور القوّالين (المبشرين الحقيقيين للطائفة) الصعب إلى نوع من التحضير ، فهم يتلقون خلال طفولتهم تعليماً دينياً متقدماً يصدّق عليه كما يقول اسماعيل بك بامتحان يجريه بابا شيخ قبل أن ينطلقوا إلى جولتهم الأولى.

إن الفقراء على العكس من أفراد مختلف الطبقات التي درسناها إلى الآن ، لا يشغلون أية وظيفة دينية. مع ذلك ، فهم يتميزون عن عامة اليزيديين بالنظام الصارم الذي ينبغي عليهم أن يخضعوا له : إنهم ملزمون بصوم 92 يوماً في السنة [34] وبالامتناع الدائم عن التدخين والكحول وبالنوم على فراش صوفي خشن ويُحظر عليهم قصّ شعورهم وحتى تشذيب لحاهم [35]؛ كما لا يسمح لهم لا بحمل السلاح ولا بسفك الدماء[36] ، والحق أنهم في الوقت الحالي لا يحترمون كثيراً هذه القواعد ، وهم يلفتون الأنظار بلباسهم الذي هو علامة مركزهم الرفيع أكثر مما يلفتونها بتقشّفهم.

يضع الفقراء على رؤوسهم قلنسوة من اللباد الأسود (Kullik) ، تحيط بها عمامة ثقيلة من اللون ذاته. ويغطي نصفهم الأعلى قميص من الصوف الخشن ، أسود أيضاً ومكفف بالأحمر (خرقة : ثوب الراهب) ويحيط به نطاق من الحبل المجدول باللون الأحمر أو الأبيض (qemberbest) [37].

وفتحة ياقة هذا الثوب أضيق منها في القميص اليزيدي العادي [38] و الخرقة طويلة بما فيه الكفاية من الأمام فتصل إلى الركب ، لكنها تقف عند أسفل الظهر من الخلف. ويكتمل هندام الفقير بسروال أبيض فضفاض مضموم عند الكعب وبسترة بيضاء يُشدّ عليها حزام أحمر وأسود (Mehek : عنان ، أو meftûl [39] فالقطعتان الأساسيتان من

هذا التجهيز هما Qemberbest و meftûl : وعلى الفقير ألا ينزع إحداهما حتى عند النوم [40].

إن اللباس الذي وصفناه للتو يبعث على الهيبة و الوقار [41]. ولا أحد يجرؤ ، حتى في حالة الدفاع المشروع على ضرب فقير يرتدي هذا اللباس. بإمكان الفقير أن يضرب أو حتى يقتل أخاً له في الدين دون أن يحاول هذا الأخير الدفاع عن نفسه. وما على الضحية إلا أن يدير ظهره و يصالب ذراعيه في خضوع تام بانتظار الموت. وأدنى عنف يرتكب بحق أحد أعضاء طبقة الفقراء يمكن أن يضرّ بسلامة المذنب [42]. ثمة امتياز آخر للفقراء وهو أنهم يستطيعون مصادرة جميع الأشياء التي تعجبهم في بيت ما [43] دون أن تجدي احتجاجات المالك نفعاً.

إن جو الرهبة الذي يحيط بالفقراء ليس مستغربا مقارنة مع التفوق الذي حققوه في سنجار حيث صار المؤمنون يخشون جانبهم أكثر مما يحترمونهم [44].

واللقب الذي يحمله الفقراء [45] وحقهم في الاستجداء واللباس الخاص الذي يميزهم والذي يكفي وحده أن يضفي عليهم نوعاً من القدسية ، إضافة إلى قوة حيلتهم التي تتناقض مع حقيقة أنهم لا يشغلون أي منصب ديني ، كلّ ذلك يوحي بفكرة أخويّة [جمعية إخوان] من النسّاك أكثر مما يوحي بفكرة طبقة مشابهة لطبقة الشيوخ أو لطبقة البيرة . كما أن خصائص الفقراء وتفاصيل ملابسهم التي تقرّبهم من أتباع الطرق الإسلامية تحملنا على اعتبارهم الورثة المباشرين

للعدوية[46]. وقد كان العدوية الأكراد مجرّد أفراد من طبقة مفتوحة للجميع في البداية ، ما لبثوا أن اتجهوا إلى ضمّ متطوعين جدد من نفس العائلات دون سواها [47] وإلى عدم الزواج إلاّ ببنات نظائرهم ، أي أنهم اتجهوا باختصار إلى إنشاء طبقة خاصة في المجتمع اليزيدي.

ويبدو أن هذا التطور لم ينتهِ إلاّ حديثاً ، ففي القرن السابع عشر كان بإمكان أي يزيدي أن يتدرّب ويصبح فقيراً؛ وحسب Michel Febvre ، فإنه كان مألوفاً جداً في ذلك الحين رؤية أناس لا يشغلون وظائف دينية " يأخذون لباس الشيخ آدي " [48]. في الوقت الحاضر لم يعد أي مريد يهتم بأن يصبح فردا من طبقة الفقراء ، والفقراء يتعاقبون من الأب إلى الابن.

مع ذلك ورغم الطابع الوراثي لهذه الرتبة ، لا يولد الفرد فقيراً كما يولد شيخاً أو پيراً. وحتى بلوغ سن الرشد لا يتميّز شباب الفقراء في شيء عن سائر اليزيديين ولا يتمتعون بأية امتيازات. ولا يحق لهم ارتداء اللباس الشعائري إلاّ بعد البلوغ ، ويتم ذلك خلال احتفال خاص[49]. ومنذ ذلك الحين يشاركون في جميع امتيازات طبقتهم.

إن قلة قليلة من المريدين يدركون أنهم قد يستطيعون هم أيضاً ، أن يطمحوا إلى هذا الدخول [في طبقة الفقراء]. وفقط أكد لنا اثنان من مصادرنا أن أمير الشيخان له الحق في أن يمنح رتبة الفقير إلى الذين يطلبونها ، إلاّ أن مثل هذه الطلبات يفترض أن تكون نادرة جداً. ثمّ إنّ الفقراء على دراية تامة بتشكيل طبقة مستقلة عند قبولهم لقادمين جدد؛

فهم في الحقيقة يذهبون بعيداً في منفعيتهم الذاتية [50]. وفي جبل سمعان[51] وعلى الرغم من أنهم بتركهم اللباس [الخاص بهم] تركوا السبب الوحيد في جعلهم ذوي امتيازات ، فإنهم مازالوا يتشددون كثيرا في الضعالة [زواج الأقارب] أما في سنجار فقد انتظموا في قبائل وهم يعيشون متجمعين في بعض القرى.

السدنة **Micêwir**

إن السدنة [52] قليلو العدد لدرجة أن أحداً لم يشر بعد إلى وجودهم. وبحسب معرفتنا فإنهم لا يشغلون سوى قرية واحدة هي قرية بستكير Pistkêr (سنجار) ، لكنّ طبقتهم ممثّلة ، دون شك ، في الشيخان هي الأخرى. ويتوقف دورهم على العناية بالمزارات ziyaret وعلى إشعال الأضواء التي يجب أن تظل مشتعلة على الدوام من مساء يوم الثلاثاء إلى صباح يوم الأربعاء في كل مزار.

الطبقات الأخرى

يذكر الرّحالة الذين زاروا منطقة الشيخان عدداً من الطبقات التي لا نجدها في غيرها من المناطق اليزيدية. وهذه الطبقات تشتمل فقط على سدنة مرقد الشيخ آدي [53].

وهكذا يكون هناك ثلاث طبقات من الذكور هي الكواچك Koçek والـچاوشان Çawuş والفرّاشون Ferraş إضافة إلى طبقة من الإناث هي الفقرايا Feqreya

(تابعة لرئيسة تسمى الكبانا Kebana). إن وجود هذه الطبقة الأنثوية ، التي تضمّ متطوعات جديدات من الفتيات والأرامل ، يبدو لنا أمراً افتراضياً تماماً. وأما الـچاوشان Çawuş والفرّاشون فلا يبدو ، وفقاً لمصادر موثوقة ، أنهم يشكّلون طبقتين خاصتين؛ فهم "موظفون دينيون " يتم اختيارهم من أية فئة اجتماعية كانت. وحسب سيوفيSiouffi [54] يكون عدد الـچاوشان أربعاً أو خمساً فقط وعدد الفراشين فرّاشاً واحداً " من قبيل خادم الكنيسة " مكلفاً بإشعال الأضواء في المزارات المجاورة للشيخ آدي خلال الأعياد.

والكواچك (الراقصون) لا يملكون شحنة وراثية أكثر من الفراشين والـچاوشان ، وهم على الأغلب أناس عاديون أتوا للحج في الشيخان فقرروا أن يعتزلوا الناس ويكرّسوا بقيّة حياتهم لخدمة الشيخ آدي [55]. وهم يرتدون ملابس مماثلة لملابس الفقراء ويعملون بشكل خاص في قطع الحطب من أجل مطابخ المرقد التي يبدو أنها تستهلك الكثير من الوقود. ولنلاحظ أن كلمة " Koçek " تستعمل أيضاً للإشارة إلى مدّعي الرؤيا ، النصف تنبؤية والنصف سحرية ، الذين يظهرون بين القبائل أحياناً ويكسبون فيها نفوذاً سياسياً بقدر ما هو ديني. وقد لعب البعض منهم دوراً مهماً في التاريخ اليزيدي فمازال اليزيديون يتغنون

اليوم بكرامات الكوجك إبراهيم Brahîm المتوفى منذ قرن ونصف وبمغامرات الكوجك ميراز الذي أعدمه الأتراك في القرن التاسع عشر.

* * *

كان ذلك نظام الطبقات الذي صنع أصالة المجتمع اليزيدي. وما يزال أتباع الشيخ آدي ، وهم خرافيون أكثر منهم متدينين ، يحتفظون باحترام كبير لهذا التسلسل الهرمي ، رغم أنهم تركوه يضلّ عن اتجاهه الأولي. وسنرى لاحقاً أن التنظيم الديني لديهم كما لدى جميع التجمعات الكردية لا يقلّ أهميةً عن التنظيم السياسي، وأن الزعماء الدينيين يتمتعون بسلطة تفوق على الأغلب سلطة الزعماء الدنيويين.

هوامش الفصل الثالث :

(1) يستعمل مصطلح مريد للإشارة إلى كلّ يزيدي ليس له أية رتبة دينية. مع ذلك ، يمكن أن نقول عن فقير أو عن بير إنه مريد لهذا الشيخ أو ذاك.

(2) يرتبط كلّ مؤمن منذ ولادته بشيخ وبير معينين ولا يمكنه تغييرهما حتى الممات.

(3) أو يار (صديق). يختار اليزيدي عندما يبلغ سنّ الرشد أخا في الأخرة من عائلة شيخ آخر غير العائلة التي يتبع لها وراثياً. وما على أخ الأخرة إلا أن يقبل الهدايا التي يجود بها الشخص الذي يرتبط معه بهذه القرابة المعنوية. في المقابل ، يمكن للمريد أن يعوّل في الأخرة على مساعدة الولي الذي يتحدّر منه " صديقه ".

(4) يختار المؤمنون مربيهم مثلما يختارون إخوتهم في الأخرة ولكن من عائلات البيرة . ولم نستطع الحصول على بيان لصلاحيات المربّي. لا شك في أن دورهم لم يعد على قدر كبير من الأهمية.

(5) عندما يلتقي مريد بشيخ يقبل يده فيعانقه الشيخ. و لا يمكن للمريد ، كما هي العادة في الاجتماعات غالبا ، أن يرمي شيئاً (سيجارة أو قدّاحة على سبيل المثال) إلى من هم أعلى منه رتبة ، وإنما عليه أن يسلمه له يدا بيد.

(6) لا يمكنه أن يغيّر طبقته. ومن جهة ثانية ، إذا تزوج يزيدي بامرأة تنتمي إلى فئة أخرى غير التي يرتبط بها هو نفسه ، فإن ذلك يعتبر في نظر اليزيدية مخالفة ما بعدها مخالفة. انظر المصدر السابق الذكر ، ص 8-19 كيف ضرب اسماعيل بك چول بالعصي رجلا يزيديا تزوج بابنة شيخ وألقى به في السجن.

(7) يبدو أن أفراد عائلة الأمير لا يتزوجون إلا بنات من العائلة نفسها أو من بيت الشيخ عبد القادر Şê 'Evdel qadir.

(8) صيغة الحرمان مجهولة بالنسبة لنا ، مع ذلك هناك تعبير يرتبط بهذا الحرمان وهو بلا شك يقلّد حرفياً التعبير الكردي الذي يرد غالباً في كتاب اسماعيل بك : حرمه من فم (أو من لسان) طاووس ملك والشيخ عادي (هكذا). يدّعي Sioffi في كتابه : (Notice sue la secte des yezidis,p259) أن سلطات الأمير شبه التيوقراطية لا تسير من دون أن تسبب العديد من التجاوزات.

(9) قصره موجود في قرية باعذري Baédarê.

(10) راجع اسماعيل بك ، م.س ، ص42.

(11) يملك عدة سيارات.

(12) في سنجار نعرف عائلات الشيخ حسن Şê Hesen والشيخ مند Mend ، والشيخ فرخدين Şê Frrxedîn والشيخ شمس Şê Şims والشيخ أمادين Şê Amadîn والشيخ سجادين Şê sicadîn والشيخ أبو بكر Şê Ebū Bekir ، وفي جبل سمعان نجد عائلة الشيخ ناصردّين Şêx Nasreddîn. أي أن مجموعها ثماني عائلات. وربما توجد عائلات أخرى في الشيخان.

(13) في عهد حديث على الأغلب أو على الأقل في سنجار.

(14) راجع أعلاه ، ص 47.

(15) راجع في الصفحة ذاتها المقارنات التي يمكن أن نعقدها بين أسماء بعض الملائكة وأسماء خلفاء الشيخ عدي.

(16) يقال لمجوع المريدين التابعين لشيخ ما أنهم " ملك " له.

(17) هناك العديد من اليزيدية في سنجار الذين يقيم شيخهم في الشيخان.

(18) لدى يزيدية أرمينية تعتبر الغرفة (oçek) التي يقيم فيها الشيخ على الأخص مكانا مقدسا.
(Cf.Dirr,Einieges uber die Yeziden,p56)

(19) راجع أدناه ، الملحق 3 ، أ.

(20) إن الشيوخ و البيرة (الذين ينبغي عليهم أن يكون لهم شيخ وبير وأخ في الأخرة ومربٍ، تماما كما هي الحال بالنسبة للمريدين) يتبعون جميعاً لشيخ من عائلة حسن.

(21) عمليًا يلجأ كلّ مريد إلى شيخه الخاص ، إلا أن بعضهم يذهبون بعد زواجهم إلى شيخ من عائلة الشيخ حسن ليبارك زواجهم ثانية.

(22) لاحظنا هذا الأمر في جبل سمعان حيث كان هناك شيخان مبجّلان على نحو خاص من عائلة الشيخ حسن ، الشيخ جنيت من قره باش والشيخ حسن من غزوّية ، وقد جمعا حولهما بعض المريدين بعلمائهم التقاليد الدينية وربما بعض أصول السحر ، وقد اشتهر الشيخ جنيت باجتراح المعجزات.

(23) رئيس الأئمة (pêşîmam) هو الرئيس الديني لمنطقة بأكملها. وظائفه شبه وراثية ويخلفه المرشح عبر انتخاب مماثل لذلك الذي يلجأ إليه الأغوات في سنجار (راجع أدناه ، 3 ، القبائل). ويحمل منصب رئيس الأئمة في الشيخان – حاليا الشيخ ناظر Nazir المقيم في بعشيقة - لقب بابا شيخ ، ويمثل بعد الأمير أعلى سلطة روحية في الطائفة. وهناك رئيس أئمة pêşîmam ثانٍ في سنجار هو الشيخ الياس ويقال إن هناك ثالثا في باخامش Baxamiş بالقرب من ميافارقين Mayafarkin. خلال رحلته إلى أرمينيا ، نصح اسماعيل بك چول يزيدية هذا البلد بانتخاب رئيس أئمة pêşîmam لكل مجموعة مكوّنة من خمس قرى (راجع المصدر المذكور ، ص15).

(24) أي خلال أوقات من السنة يملك فيها المؤمنون القليل من السيولة بفضل منتجات القطعان ومحصول التين فيما يكتفي الشيوخ الذين يقيمون بعيدا بجمع الإتاوة مرة في السنة ، هذا إن لم يرسلوا وكيلا إلى مرؤوسيهم.

(25) في عام 1936 قام اليزيديون اللاجئون في الحسكة بتسليم النقود التي كانوا يرغبون بإرسالها إلى شيخهم الخاص إلى أصدقاء عائدين إلى الوطن.

(26) وهكذا يُعرف شيوخ شيخ مند Şêx Mend بتجرّع السم دون أن يسبب لهم الضرر وبشفائهم للدغات الأفاعي (بمصّ الجرح). ويقال إنهم يستطيعون أكل جميع أنواع الزواحف حيّة. إلا أن أحدهم باح لنا أن أحد أبناء عمومته مات وهو يقوم بهذه التجربة الأخيرة.

(27) احترام متعصب : بعد أن أخبرنا علي أوسو بأن رئيس الهسكان Heskan ، كمّوَ عموكا Kimmo Émoka ، كان على خلاف مع شيخه الذي أبعد عنه قسماً من عشيرته ، أضاف أن " كمّو عموكا خنزير ".

(28) كما يحصل في سنجار لدى التقسيم السنوي للمياه ، فتعادل حصة الشيخ الرئيسي للقبيلة حصة أحد الوجهاء Mehqûl (راجع أدناه ،3، القبائل).

(29) راجع أدناه ،3، الحياة السياسية.

(30) لا نعرف سوى عائلات پير بحري وپير خالان وپير حسن وپير أسلانكا Eslaneka وپير سيبي Sîbî. إضافة إلى هذه العائلات يذكر اسماعيل بك (م.س، ص90) عائلتي پير علي وپير أنات Anat.

(31) راجع أعلاه ، ص86.

(32) التفاصيل التي نقدمها هنا مقتبسة من اسماعيل بك (م.س، ص91).

(33) تسمح هذه الوظيفة بتقريبهم من القوّالين الذين كانوا يؤدون السماع في الجلسات الصوفية.

(34) أي بزيادة 86 يوماً على الصوم العادي. راجع أعلاه ، ص43.

(35) أتباع الطريقة القادرية وكذلك التختجية لا يقصّون شعر رأسهم.

(36) ولا يحقّ لهم حتى قتل الحيوانات ، يقول Michel Febvre (Cf. op, cit., p.370) : " إن أغلبيتهم موسوسون إلى حدّ أنهم يتحاشون وطء النمل وسائر الحشرات عندما يسيرون ، ولا أحد من بينهم يفطن إلى قتل القمل والبراغيث الموجودة في ملابسهم الشهيرة ، إنما يكتفون بإلقاء كل واحدة منها على حدة كما لاحظت ذلك مرات عديدة ، دون أن يجرؤوا على تلطيخ أيديهم بهذه الدماء البريئة : وهذا هو سبب كونهم محمّلين عادةً بهذه البضاعة أكثر من الدرر ". والذين عرفناهم شخصيّاً كانوا أقل وسوسة واحترازاً.

(37) رغم أن كلمة Kember درج استعمالها في الكردية بمعنى" نطاق " نشير إلى أن النطاق الذي يضعه البكتاشية Bektaşî يسمى قمبرية qembariyya : وهو حبل من شعر الماعز فيه ثلاث عقد Cf. (Jacob , op.cit ,.p.52)). وقد عُرف هذا النطاق بهذا الاسم إحياءً لذكرى" أسير علي "، ومن المثير أن نجد تسمية من هذا الأصل تستعمل لدى طائفة ذات ميول معادية للشيعية. وفي سنجار نجد مزاراً mezel مخصصاً لـ Qember 'Elî ، ومن ناحية ثانية فإن علي يلعب دوراً في الأسطورة المحلية. راجع أدناه ،3، الأعمار.

(38) ياقة الخرقة مدوّرة بدلاً من أن تكون على شكل شبه منحرف.

(39) خلال احتفالات المساراة التي كانت تقام في الطرق الإسلامية كان الجديد [المنتسب الجديد] يتمنطق رباطاً من القماش – شال من الحرير أو من الصوف – أو حبلاً عادياً صغيراً يسمى أيضاً meftûl. راجع دائرة المعارف الإسلامية ، مقالة شدّ.

راجع أيضاً الطوق الذي كان البكتاشية Bektaşî يضعونه :

" Jeder Derwich tragt un den Hals an dicken schnur einen Talergroszer Stern aus Karneol den , Teslim Tasch , der ihm , nach Vollendung des Noviziats übergeben wurde "(Jacob ,op.cit ,p.19).

(40) نتذكر هنا أهمية الدور الذي يلعبه الشدّ في الطرق الإسلامية.

(41) تقول الروايات اليزيدية إن هذا اللباس امتداد لذلك الذي كان الشيخ أدي يرتديه ، وقبله آدم عندما كان موجوداً في الجنة... ، ويبلغ تبجيل اليزيدية لهذه الثياب درجة التقديس الأعمى : " إن يمينهم الاحتفالية هي القسم بفضيلة لباسهم الأسود واختبار هؤلاء الذين تشرفوا بلبسه ". (Michel Febvre. op.cit.p 369)؛ ويظهر لنا الكاتب أن اليزيدية يقتسمون الخرقة البالية التي تُستعمل فُضلها كتمائم. في الوقت الحاضر ، لم يعد فقراء جبل سمعان يرتدون لباس طبقتهم ، لكن الكثيرين منهم يحتفظون بقطعة بالية من الخرقة تحت بطانة قبعاتهم. وقد أظهر لنا عجوز القطعة التي كان يملكها؛ فأخرجها بتباهٍ وبأقصى احترام ممكن ، وقبل أن يمدّها إلينا رفعها ثلاثاً إلى شفتيه وجبهته. وفي مرقد الشيخ مند Mend بجوار مرقد ككي عزيز Kekê Ézîz تُحفظ مجموعة من الأسمال التي كانت ، وفق ما ترويه الأسطورة ، تخصّ الشيخ مند ذاته. وهذه الأسمال موجودة حالياً لدى جميل آغا.

(42) يُدّعى أنه إذا تشاجر فقيران فلا يلجآن إلى استعمال الأيدي بسبب الطابع القدسي لملابسهما. ويقصد كل منهما بيت خصمه حيث يحطّم كل شيء ويوسع النساء والأطفال والمواشي ضرباً بهدف تهدئة روعه . وينبغي علينا ملاحظة المبالغة في هذه الأقوال ، فالحقيقة أن الفقراء الذين يشاركون ، دون مراء لورعهم ، في حروب القبائل وغاراتها لا يحجمون عن ردّ بعض اللكمات لزملائهم.

(43) عندما ثبّت اسماعيل بك النظام الديني للمجتمع اليزيدي في أرمينية ، فرض لصالح الفقراء إتاوة أقل بقليل من تلك التي يتلقاها الپيرة (راجع اسماعيل بك ، المصدر المذكور)

(44) راجع أدناه ،3، الحياة السياسية.

(45) كانت كلمة " فقير " إحدى التسميات التي تُستعمل للإشارة إلى أفراد الطبقات الإسلامية.

(46) المريدون اليزيديون ليسوا إلا ذرية أتباع الشيخ عدي من الأكراد ، لم يُدخلوا [إلى إحدى الطبقات الأعلى] ولم يصبحوا أفراداً في الطريقة.

(47) راجع التجنيد الرابطي [متعلق برابطة مهنية] لبعض الطرق الإسلامية في المدن السورية والتجنيد بقرى وعشائر النقشبندية في كردستان.

(48) Michel Febvre , op.cit , p.370.

(49) لم نتمكن من الحصول على أي وصف لهذه المساراة. وحسب سيوفي Siouffi : Notice sur le Cheikh 'Adi et le secte des yezidis,p.91)) يسبق هذه المساررة خلوة لمدة أربعين يوماً ، يلبس حاصل الرتبة خلالها سروالاً أبيض قصيراً وسترة ومَحكاً Mehek فقط.

(50) لنوضّح مع ذلك أنّ الفقراء في الوقت الحاضر لا يعرفون أي تسلسل خاص داخل طبقتهم. ويشير سيوفي Siouffi (ibid.,p.93) إلى شخصية تقيم في مكان ما في شمال حلب وتدعى الكك " Kek " وهو رئيس الطبقة. بعد أن بحثنا مطوّلاً عن أثر وجوده ، علمنا من يزيدية جبل سمعان أن الـ "Kek " ليس إنساناً ، بل هو مرقد ككي عزيز Kekê 'Eîzîz الموجود في تركيا بالقرب من بيرجيك والذي كان يتمتع بشهرة واسعة خلال أمد طويل

(51) (راجع أدناه ، الملحق 3 ، C).

(52) من الكلمة العربية " مجاور ".

(53) جميعهم منظمون تحت إمرة قيّم على أمورهم (mutewalîyê Mala Şêx Hadî) ، يعينه الأمير ، وهو حالياً واحد من أقاربه.

(54). Cf. op. cit., p 93 et ss

(55) روى لنا مراد ، مختار قرية قسطل Qestel (جبل سمعان) ، أن أحد أعمامه سيتبع هذا الطريق.

2

التاريخ

التاريخ

إن النصوص الموجودة* لا تقدّم معلومات وافية عن تاريخ اليزيدية، ولا يمكن تقييم الأهمية التاريخية لليزيدية على وجه التحديد. مع ذلك يبدو أن هذه الحركة بسبب طابعها الكردي الخاص لعبت دوراً مهماً في كردستان برمتها.وكانت القبائل اليزيدية إلى القرن السادس عشر تجد نفسها على الدوام داخل الأحداث التي تجري في جبال آسية الصغرى. وقد تناقصت قوتها فيما بعد واختفى البعض منها على إثر البعض الآخر، وقد أضعفها الدخول في الإسلام أو أن الأضطهادات قضت على عدد كبير منها.

وسنحاول بالاستعانة بالوثائق النادرة التي بحوزتنا أن نعيد رسم الخطوط العريضة لهذا التطور.

وإذا كان أبو البركات، ابن أخي الشيخ عدي وخليفته على رأس الجماعة الناشئة، قد عُرف بتقواه، فإن ابنه عدي بن أبي البركات قد عرف مصيراً أكثر اضطراباً، إذ يفترض غيدي Guidi[1] أنه استسلم

* أي النصوص المتعلقة بتاريخ اليزيدية. المترجم

لمغالاة أتباعه، فاستولى على دير إيشوع ساب عران ĪŜŌ'Sab'hran المسيحي وقتل من فيه (1219-1220م). إلا ّ أن بعض الرهبان تمكنوا من الهرب، فلجأوا إلى بلاط الإمبراطور المغولي وطلبوا الإنصاف منه. وتمّ القبض على عدي وأعدم سنة1221م.

لم تستطع هذه الفاجعة أن توقف تقدم الطائفة.ففي عهد حسن بن عدي [2] كانت [أي الطائفة] مرهوبة بما يكفي لإثارة قلق أتابك الموصل بدر الدين لؤلؤ الزنكي (1233-1259م) وإجباره على اتخاذ بعض التدابير؛" في هذه السنة (سنة 652هـ :1254-1255م) جرت بين أصحاب الشيخ عدي بن مسافر وأصحاب بدرا لدين لؤلؤ صاحب الموصل محاربة كان سببها أن بدر الدين كان كثير التثقيل على أولاد الشيخ عدي[3] ويكلفهم مالا على وجه المساعدة فأطلقوا ألسنتهم فيه فأرسل طائفة من عسكره إليهم فقاتلوهم قتالاً شديداً فانهزمت الأكراد العدوية وقتل منهم جماعة وأسروا منهم جماعة فصلب بدر الدين منهم مائة وذبح مائة وأمر بتقطيع أعضاء أميرهم وتعليقها على أبواب الموصل وأرسل من نبش الشيخ عديا من ضريحه وأحرق عظامه" [4].

ولقد رأينا أن الشيخ حسن بقي في الوقت ذاته زعيماً حربيا ودينيا[5] لكنّ خلفاءه قاطعوا نهائيا تقاليد عائلتهم وتركوا ممارسة النسك لينصرفوا إلى تحقيق طموحاتهم السياسية فقط. ربما أرغمهم على القيام بهذا التحول العكسي اضطراب أنصارهم وازدياد عددهم باضطراد.

في عام 655 للهجرة طلب السلجوقي الرومي عز الدين كيخسرو العون من الأمير اليزيدي الجديد شرف الدين بن حسن بن عدي في حربه مع أخيه المدعوم من قبل المغول. فقبل الأمير وحصل على إقطاعة خرت برت [خربوط] "Khartabirt" [6] كثمن لمعاونته. واستقر في الريف، إلا أنه، في محاولته القيام بالاتصال مع حليفه، اصطدم بالمغولي أنكورك نوفينAngûrk Novīn، فتعرّض للضرب حتى قتل[7]. وفي عام 657للهجرة عندما عبر هولاكو منطقة الموصل تذكر هذه الحادثة ولكي يتمكن من إخضاع العدوية اجتاح هكاري[8] وأغرقها في النيران والدماء.

وبعد مدة وجيزة، أي في عام 660 للهجرة (1261-1262م) دمّر سنجار التي كانت يزيدية في ذلك الوقت [9]. وأمام العدوان المغولي، لم يكن بمقدور زين الدين أن يفكر بالحصول على خلافة والده فرأى من الأفضل أن يقصد سورية تاركاً حقوقه لعمه فخر الدين الذي كان على وفاق تام مع الغالبين [المغول] (كان قد تزوّج فتاة مغولية). وبقي الوضع دون تغير إلى عام 1275م حيث وجب على فخر الدين أن يتصدى لانتفاضة أخيه شمس الدين، لكنّ " الطرف المغولي " بقي الأقوى : فاضطر شمس الدين إلى أن يسلك طريق المنفى [10] مع 400 نفرمن أتباعه. وفي عام 1276م ولأسباب نجهلها فر ّفخر الدين بدوره هارباً إلى مصر، ثمّ عاد منها بعد فترة وجيزة، لكنّ الحكومة المغولية سرعان ما استدعته ليقدّم حساباً عن سلوكه هذا وأعدمته [11]. ويعتبر

فخر الدين آخر من احتفظ التاريخ بذكراه من أمراء اليزيدية في هذه الفترة. و لا تذكر المصادر أي شيء عن خلفائه.

بالمقابل، فإن مغامرات زين الدين في سورية معروفة جيداً بالنسبة لنا. ففي البداية استقر في دمشق، وحصل فيها على لقب أمير وعلى صك تتيح له عائداته أن يعيش "كالملوك " كما تقول النصوص. وبعد بضع سنوات انسحب إلى قرية أهله، في البقاع، واستمر في حياة البذخ والترف نفسها. لقد كان محاطاً ببلاطٍ حقيقي، وقدت انغرت به امرأة كردية من قبيلة القيمرية Qemrî إلى درجة اعتباره ولياً رغم انغماسه في الفسق والفجور، وكانت تزوّده بكل ما يطلبه من المال.[12] وعند نهاية حياته تاب زين الدين عن آثامه وأبحر إلى القاهرة حيث بنى له زاوية القرافة [13] التي دفن بها.و كانت وفاته سنة 697هـ(1297م).

كان زين الدين قد خلّف في سورية ابنين هما عز الدين أميران وعلاء الدين علي[14]. وقد ورث الابن البكر عز الدين مفاخر أبيه وثرواته، فتمتّع بها خلال عدة أعوام ،ثم اعتزل وظائفه وآثر الانقطاع في المزة بالقرب من دمشق. وسرعان ما ذاع صيته بالولاية وكاد أن يجرّه إلى مغامرة مريعة :" فبقي مدة أميرا بدمشق ثم بصفد ثم بدمشق ،ثم ترك الامرة وآثر الانقطاع وأقام بالمزة وكانت الأكراد تأتيه من كل قطر بصفايا أموالها تقربا إليه ومنهم على ما حكي من كان يجلس بين يديه.ثم إنه أراد الخروج على السلطان [15] و تبعه طوائف الأكراد من كل بلد وباعوا أموالهم بالهوان واشتروا الخيل والسلاح وآلات الحرب

ووعد رجالاً ممّن تبعه بالنيابات الكبار ونزل بأرض اللجون.وأتى السلطان خبرهم وإنهم على هذا لم يؤذوا أحدا في نفس و لا مال وإنما يبيعون أموالهم بالرخص ويشترون الخيل والسلاح بالغالي فأمر تنكز Tingiz نائب الشام بكشف أخبارهم وقصّ آثارهم وأمسك السلطان من كان بالزاوية العدّوية بالقرافة... واختلفت الأخبار فقيل إنهمُ يريدون سلطنة مصْر وقيل بل كانوا يريدون ملك اليمن. وقلق السلطان لأمرهم وأهمّه إلى أن أمسك تنكز نائب الشام عز الدين المذكور وأوُدع الاعتقال حتى مات وفرّق الأكراد و لو لم يتدارك لأوشك أن تكون لهم نوبة"[16].

وينقل ابن حجر هذه الحادثة بتعابير أكثر طرافة[17]:" أميران عز الدين الكردي ابن بنت الشيخ عدي قدم الشام فوليَ بها الامرة وكان قومه يأتون إليه من كلّ فجّ ويتقربون إليه بالأموال ثم شاع أنهم يريدون الخروج على السلطان فأمسك الناصر من كان منهم بالقرافة وكتب إلى تنكز بكشف أحوالهم فأرسل إلى عز الدين المذكور فسأله عنهم فقال يريدون أن ينفردوا بالمملكة [18] فقال و ما السبب فقال هذا شيء تخيّلوه في نفوسهم فقال لم لا تمنعهم فقال هل يعتقدون فيَّ وفي جميع أهل بيتي ولكن حطني في القلعة يتقلل جمعهم ففعل فتفرقوا [وصاروا بعد ذلك يجيئون إلى البرج الذي هو فيه محبوس فيستنجدون له]* وكان حبسه سنة 731هـ [19] (1330-1331م) وكان حسن الشكل تامّ القدّ صبيح الوجه ".

* لم ترد هذه الجملة في ترجمة المؤلف لنص ابن حجر. المترجم.

إن الدور البارز الذي لعبه زين الدين و أخوه عز الدين يثبت أنه كان في سورية في وقتٍ ما تجمّع كبير للعدوية[20]ضمّ متطوعين من الأكراد الذين كانوا في خدمة الأيوبيين.كما أن سقوط هذه السلالة الحاكمة والتفوق الذي حققته الميليشيات التركية على حساب القوات الكردية في نهاية القرن الثالث عشر ، كانا على الأرجح السبب في زوال جماعتي العدوية في دمشق والقاهرة. فانقطعت الصلات بسرعة بين سواد الطريقة والمراكز الأمامية التي كانت قد أقامتها باتجاه الجنوب. وانخرط عدوية الشام ومصر في الغلوّ اليزيدي لبعض الوقت، ثم عادوا إلى نطاق التشدد السنّي قبل أن يختفوا [21]. وأما إخوتهم المقيمون في الجبال الشمالية فقد عرفوا مصيراً مختلفاً.

وقد حققت البدعة في كردستان نجاحاً فائق السرعة. وكان القسم الجنوبي منها يقدم برمته بقعة ملائمة لانتشار المذهب الجديد وذلك بفضل ميول سكانها الموالية للأمويين. فقد كانت قبيلة الداسنية Dasinî الكبيرة التي كانت تشغل هكاري ، و كذلك القبائل المجاورة لها وخاصة تلك التي بجبل حلوان ، هي أول من وصلها المدّ اليزيدي. و كان الغلوُّ قد غزا منطقة سنجار حتى قبل تأسيس العدوية [22]. وكذلك اجتذبت اليزيدية إليها أتباعا في الشرق بجوار السليمانية؛ وحسب الشرفنامة [23] فقد استقر أموي قادم من الشام بالقرب من هذه المدينة واستولى على قصر قلب Qalb بالإضافة إلى أماكن أخرى منيعة في البلد ، وفيما بعد انقسمت ذريّة رجاله السوريين إلى تسع قبائل هي : بانوكي (أو بانفكي

Banevkî) ، وهوفيدي Huveydî و دلخيران Delxîran وبوجيان Bûcîyan و زيلان و بسيان وزكزيان Zekzîyan وبرازي ، البعض منها مسلم والبعض الآخر يزيدي. ولا يوضح شرف خان سوى انتماء كل واحد من هذه القبائل إلى إحدى هاتين الديانتين ، ولكن يمكننا على الأقل أن نعتبر البسيان و الهوفيدية من اليزيدية ، فقد ورد في مقطع ثانٍ عنهم أنهم كذلك [24] ، وربما كان البرازية أيضاً يزيديون [25].

ومن الممكن ألا تكون الأسطورة قد أقامت صلة القرابة بين هذه القبائل المختلفة إلا لكونها قد اتحدت فيما مضى في ظل عقيدة مشتركة.

إن الأدلة التي يزودنا بها كتاب شرف خان لا تتيح لنا إلا أن نتتبع بصعوبة التقدم الذي أحرزته الطائفة اليزيدية باتجاه الغرب. والحقيقة أن الكاتب الذي قلما يهتم بالمسائل الدينية ، لا يذكر دائماً العقيدة التي تجاهر بها القبائل التي يتحدث عنها. وهو لا يقدم سوى قائمة ناقصة بأسماء تلك التي بقيت يزيدية في عصره. و بعض القبائل التي يذكرها على أنها مسلمة انتشرت فيها البدعة في وقت ما.

وكذلك يسهو الكاتب على الأغلب عن الهجرات التي قامت بها القبائل خلال التاريخ. والحال أنه في القرن السادس عشر ، كان عدد من القبائل اليزيدية تخيم بعيداً عن الأماكن التي تشغلها في القرن الثالث عشر [26]. علينا إذن أن نذعن لجهلنا بأماكنها ومواضعها زمن اعتناقها لليزيدية.

وبما أننا لا نستطيع تتبع سير اليزيدية نحو الغرب ، سنقتصر ، من أجل إعطاء فكرة عن تألق هذه الديانة ، على رسم لوحة – ناقصة بالطبع – للعناصر المخلصة لها سنة 1005 هـ (1596-1597 م) ، التاريخ الذي أنجز فيه شرف خان كتابه.

كانت المنطقة الممتدة بين جزيرة ابن عمر وديار بكر وسيرت مأهولة بأغلبية يزيدية خلال أمد طويل. و كان أمراء الجزيرة الأوائل أنفسهم ينتمون إلى الطائفة اليزيدية [27]. كما كان العديد من القبائل التابعة لهؤلاء الأمراء يشاركونهم عقيدتهم : وهي الهوفيدلية Huveydel [28] و الشورشية و النيويدكوان في منطقة جبل جودي ، والبوهتي (أوالبوختي) في بوهتان [بوطان] بالقرب من ديرده Deirdeh وقد اشتهروا بقوتهم وشجاعتهم في الحروب [29] ، وأخيراً في المنطقة ذاتها المحمودية والدنبليّة الذين هاجر معظمهم في القرن الخامس عشر [30] ونشير أيضاً إلى الجلكي Çelkî في هيلم والرشكي بأطراف ديرده الذين كانوا يزيدية دون شك [31]. وفي أنحاء حصن كيفا Ḥisin Keyfa بقيت قبيلة الخالتي الكبيرة مؤلفة من أتباع الشيخ آدي [32] ، وعلى الأرجح هذه هي حال الرشان [33] و الشكاكي [34] والسهاني Suhanî [35] وفرقة أخرى من الجلكي والشراوي [36] أيضاً. وأخيراً نجد بعض الخالتيين اليزيديين بالقرب من تبليس [37].

وإلى الغرب أكثر نجد يزيديين في قصير أنطاكية [38]. وربما كانت توجد في سورية جاليات يزيدية [39] أبعد من ذلك.

إن انتشار اليزيدية في كل هذه المناطق تم دون شك في عدد قليل جداً من السنوات. ويعود ظهور تجمع قصير أنطاكية الأبعد إلى بداية القرن الثالث عشر ، فلا يمكن والحال هذه أن يكون ذلك إلا بعد اعتناق القبائل الأقرب من المركز الديني في جبل هكاري [لليزيدية].

إن نجاحات بهذه الأهمية حققتها طائفة كانت طموحاتها سياسية بقدر ما هي دينية ، وتهدف إلى بسط سيطرتها على قسم من كردستان ، سرعان ما أزعجت كبار إقطاعية المنطقة. فبعد أن أحرزت اليزيدية تقدماً أولياً اصطدمت بردة فعل عنيفة. في عام 1414 م باشر جلال الدين محمد النصح بإعلان الحرب المقدسة على أتباع هذه الملة. ولم يجد أية مشقة في إقناع الأمراء المحليين ، فاجتمع أمير الجزيرة عز الدين بختي وأمير شيراش وأمير توكل وأمير حصن كيفا تجاوباً مع دعوة هذه الشخصية ، وجندوا قوات كبيرة غزوا بها منطقة الشيخان وأغرقوها بالدماء والنيران. ولكي يجعلوا انتصارهم بيّنا قاموا بهدم قبر الشيخ آدي حتى سووه بالأرض وأحرقوا(مرةً أخرى !) [40] عظام هذا الولي. ولم يتأخر اليزيديون في إعادة بناء المرقد ولكن لم تقم لهم قائمة بعد هذه الكارثة [41].

إن هذه الحادثة هي التي تشير إلى بداية انحطاطهم ، إذ ظلت المذابح والتحولات إلى الإسلام ، تقلل من أعدادهم إثرها. ومع ذلك فقد استطاعت بعض قبائل اليزيدية ، خلال ما يقارب القرنين ، أن تحافظ على شيء من أمجادها واستمرت في لعب دورها في كردستان.

وأهمّ قبيلتين منها المحمودية والدنبلية ، كلاهما من أصل بوهتاني ، لكن تفرّقهما خصومة لم يتمكن من تخفيف حدتها الالتزام بخدمة نفس السادة. وقد خصصت الشرفنامة فصلاً لكل منهما [42]. وتسهيلاً للعرض سنروي التاريخ الغامض نسبياً لكل منهما على حدة.

ربط الشيخ محمود ، أول رئيس للمحمودية – الذي منح اسمه للقبيلة – مصيره بمصير قره يوسف من الـ (قره قوينلو) (1290-1420) الذي أقطعه قلعة آشوت وناحية خوشاب شرقي بحيرة وان كمكافأة له ، فغادرت القبيلة حينها بوهتان باتجاه أملاكها الجديدة لكي تستقر فيها.

واستمر حسين بك بن محمود في خدمة الـ (قره قوينلو) ودعمهم في حربهم ضد عز الدين شير أمير هكاري المسلم. وتمكن من الاستيلاء على ألباق التي كانت بيد عز الدين ، إلا أن هذا الأخير استنجد بأمير بدليس وحصل منه على تعزيزات كبيرة فألحق بالمحمودية هزيمة نكراء ، ولقي مير حسين بك حتفه في هذه المعركة على ضفاف نهلا جم مير*. وآلت ألباق إلى عوض بك** حفيد هذا الزعيم. ولم يتأخر الـ (آق قوينلو) في الحلول محل الـ (قره قوينلو). ولا تذكر الشرفنامة طبيعة العلاقات التي كانت بين المحمودية وسادتهم

* نهر خوشاب الشهير باسم جم مير Çem Mîr. المترجم.

** هو عوض بك بن مير حامد بن مير حسين. المترجم.

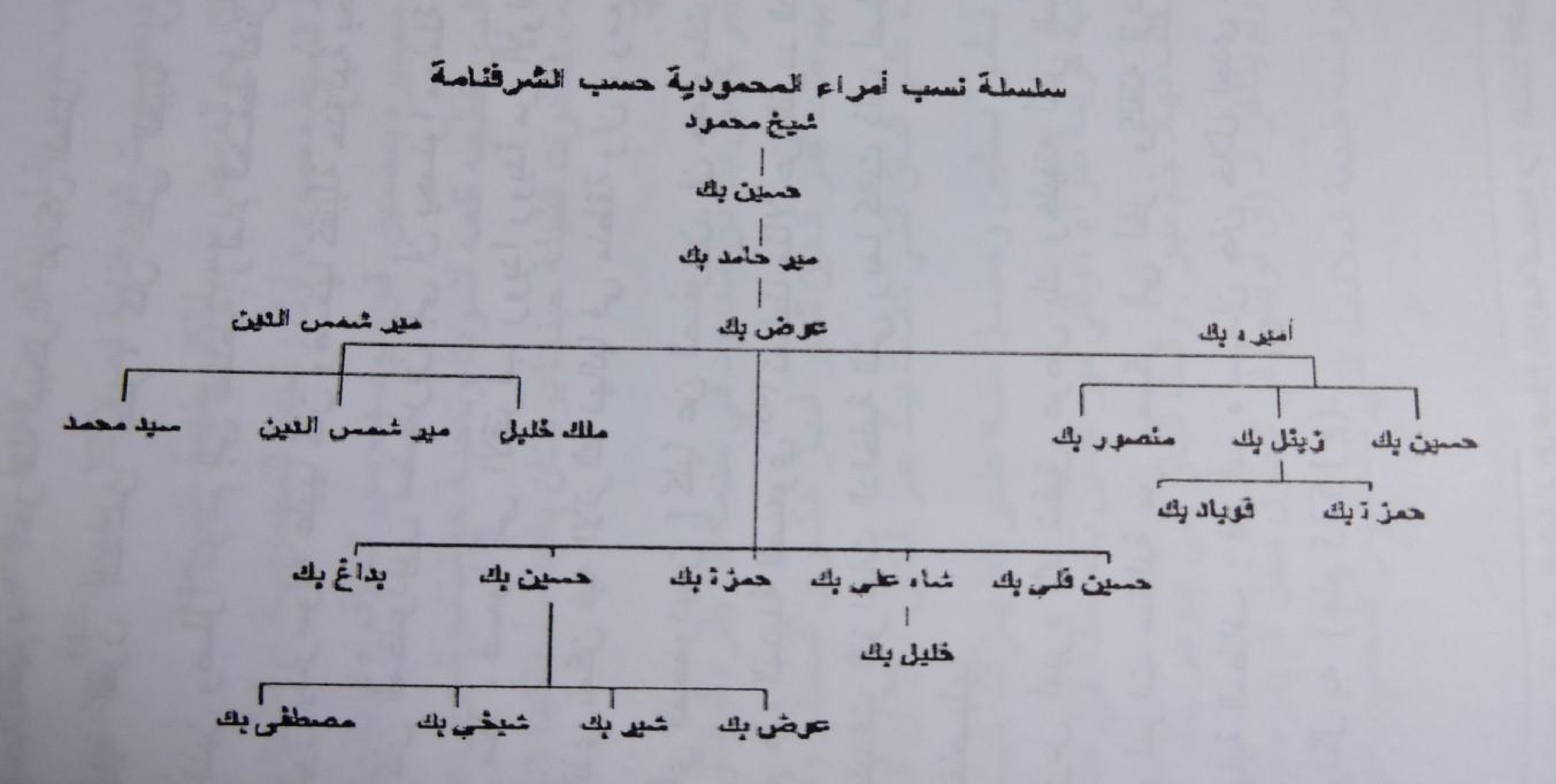
الجدد ، لكن الإخلاص الذي أبدوه تجاه سادتهم الأوائل يسمح لنا أن نفترض أن علاقاتهم بـ " الخراف البيض"* لم تكن أفضل.

في بداية القرن السادس عشر، كان على القبيلة أن تخضع للصفويين الذين وصلوا لتوهم إلى السلطة. وأمام الضغط المتزايد الذي كان العثمانيون يمارسونه عليها كان وضعها كقبيلة حدودية يحميها من الضعف. وكان المحموديون مضطرين إلى أن يحسنوا معاملة الأتراك والصفويين معاً ، فسعوا إلى الاقتراب رويداً رويداً من الأوائل حتى جاء اليوم الذي تمكن فيه الأتراك نهائياً في منطقة وان ، ومع ذلك لم ينفصلوا [أي المحموديون] كلياً عن الصفويين. إن خصومات عوض بك مع حاكم هذه المدينة الصفوي[43] تعطينا مثالاً عن التردد الذي كان يزيد من تعقيدات النزاعات الداخلية التي ربما كانت ذات أصل ديني ولا نعرف تفاصيلها.

وقد مارس أميره بك شقيق عوض بك وخليفته أكثر السياسات تقلباً، فانتقل لمرات متتالية من معسكر إلى آخر. وكلفته ازدواجيته حياته في نهاية المطاف : فقد أسره سليمان خان خلال إحدى حملاته على تبريز ونكل به (عام 1535 م).

* ترجمة ناقصة وغير دقيقة لاسم التراكمة الـ (آق قوينلو) والترجمة الصحيحة هي (أصحاب الأغنام البيضاء). المترجم.

سلسلة نسب أمراء المحمودية حسب الشرفنامة



خلف أميره بك ابنُ أخيه شاه علي بك[44] الذي سرعان ما اغتاله حسين بك (ابن أميره بك وأمير ألباق) [45]. والتجأ الوريث الوحيد لـ (شاه علي بك) إلى العثمانيين [46] فاعترف شاه طهماسب بحمزة بك الابن الأصغر لأميره بك زعيماً للمحمودية وأجبره في الوقت ذاته على قبول ملازمة القزل باشي دلو بيري له. وسرعان ما تخلص حمزة بك من المزعج [دلو بيري] عن طريق الاغتيال ، فاعتقله الشاه طهماسب مدة من الزمن ثم أطلق سبيله وكلفه بملازمة حاجي بك أمير الدنبلية. فدعاه الأخير إلى خوي Khoy مع آغاوات المحمودية ، وقتله هو ومن كان معه.

وقد خلف حمزة بك ابن عمه خان محمد الذي اعتقل بدوره في وان بعد أيام قليلة. غير أنه تمكن من الهرب من معتقله هذا. وذات ليلة نفذ فجأة إلى آشوت التي كان حاجي بك مقيماً بها. وقد استطاع الدنبلي الهرب ، لكنه ترك عدداً كبيراً من ذويه في ساحة المعركة.

في الوقت ذاته كان خان محمد قد أرسل رسولاً إلى ديار بكر ليعرض خدماته على الأتراك ، فسارع الشاه طهماسب إلى الاعتراف بكامل حقوقه خوفاً من هذا التدبير. ولم يمض وقت طويل حتى عزله لصالح حسن بك بن عوض بك.

كان على حسن بك الذي أخلص كل الإخلاص للشاه طهماسب في البداية أن يظهر الولاء لسليمان خان عام 1550 م ، فساعد حاكم وان التركي في محاربة حاجي بك الدنبلي وقتله. فغمره الباب العالي بأفضاله وظلّ إلى نهاية حياته يتمتع باحترام كبير جداً. وكان مسلماً

تقيا[47] ، فبنى المدارس والمساجد في كل قرية. وحسب شرف خان يكمن فضله الأساسي في قضائه على اليزيدية في قبيلته. عندما توفي زعيمها (عام 1585 م) كانت القبيلة كلها تقريباً مسلمة.

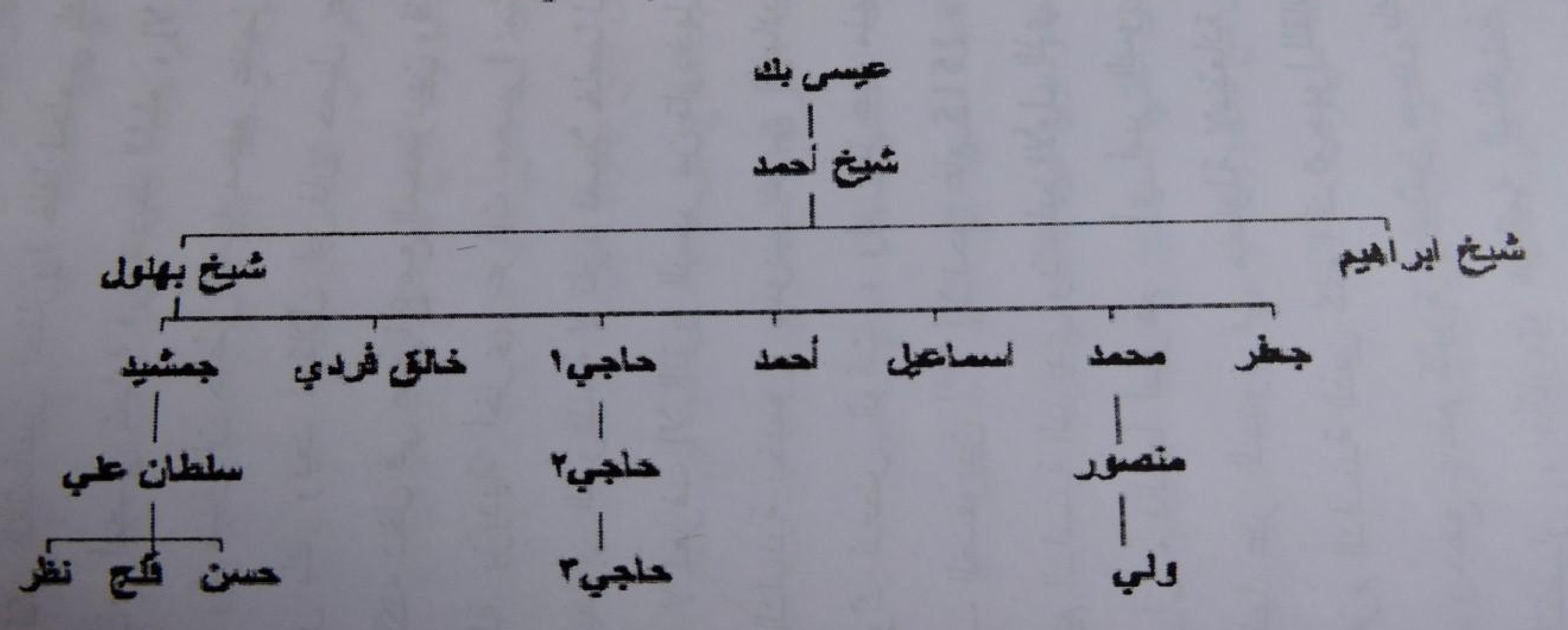
ترك الدنبلية بوهتان منذ عهد قديم يصعب تحديده [48] ، فعندما خضعوا للآق قوينلو في القرن الخامس عشر كانوا تابعين حينها لإقطاعة سكمان آباد. وقد أتاح لهم تحالفهم مع أوزون حسن احتلال موقع ألباق بعد هزيمة أسد الدين شير (نحو عام 1457 م) [49]. فيما بعد حصل حاجي بك بن شيخ بهلول على مدينة خوي من الشاه طهماسب [50] ، شرط أن يقوم بالدفاع عن حدود الصفو بين المجاورة لـ (وان). ولم يكف عن محاربة الأتراك والمحموديين إلى أن جاء اليوم الذي غلبه فيه حسين بك حليف اسكندر باشا. حينها أصبح أحمد بك [51] أميراً للدنبلية. ووجدت القبيلة نفسها إثر تقدم العثمانيين في وضع خاطئ كالذي كان فيه المحموديون قبل ذلك بعدة سنوات. لقد كان أحمد بك يحاول أن يوازن بين كفتي السلطان والشاه ، فيتحالف وفقاً للظروف تارةً مع هذا وأخرى مع ذاك؛ وقد أزعج موقفه الشاه طهماسب إلى حد أنه اغتاله مع أربعمائة من رجاله [52].

خلف أحمد بك ، حاجي بك الثاني (ابن حاجي بك الأول) الذي نشأ في بلاط الفرس ، وحصل على منطقة آبقا Abqa كهبة لقدومه السعيد. وقد كان بمنتهى الإخلاص لقضية الصفويين ، فلقي حتفه في معركة ضد الأتراك. وكان على الدنبلية عقب هذه الهزيمة أن يخضعوا للباب

العالي. أما أولاد حاجي بك الثاني فقد استمروا في استيلائهم على سكمان آباد ، لكن العثمانيين اختاروا خلفاً لحاجي بك الثاني ابن عمه سلطان علي الذي أمضى شبابه في محيط الشام ، إلا أنه كان يقدم لهم ضمانات جدية وقد سبق أن خاطر بنفسه معهم. عندما توفي سلطان شاه ورثه ابنه نظر بك. وبعد احتلال ايريفان حصل على أملاك جديدة (جالديران) ، لكنه دخل في صراع مع المحموديين وقتل.

هناك قبيلة يزيدية أخرى عرفت مصيراً مشرقاً وهي قبيلة الداسنية[53] و بما أن الشرفنامة لا تفرد فصلاً خاصاً لهذه القبيلة ، فإننا ، ولسوء الحظ ، لا نعرف إلا النزر اليسير من تاريخها. ففي مطلع القرن السادس كان الداسنية يخيمون جنوب غربي العمادية ، وقد سيطروا على قلعة دهوك لبعض الوقت ، ولم ينتزعها منهم حسن بك أمير العمادية وحليف الصفويين [54] إلا نحو عام 1515 م. وفيما بعد كسب حسين بك زعيم الداسنية اليزيدي ودّ سليم الأول الذي أقطعه أربيل وكل أراضي السوران ، فالتجأ أميرهم – أي أمير السوران – سيف الدين إلى إيران ومنها عبر الحدود في محاولة لاستعادة أملاكه ، فاستولى على أربيل وهزم الداسنية الذين كانوا قد توجهوا للقائه بعد أن قتل منهم خمسمائة رجل وجمع غنائم كثيرة. واستمر حسين بك في الحرب ، لكن دون تحقيق انتصار ، فأثارت هزائمه المتكررة سخط سليم الأول فاستدعاه إلى اسطنبول وأعدمه [55].

سلسلة نسب أمراء النبلية حسب لشرفنامة



إن الصفحات التي تفردها الشرفنامة للمحموديين والدنبلية والداسنية[56] تظهر أهمية اشتراك اليزيديين مدةً طويلة في هذه الصراعات القبلية التي تشكل أساس التاريخ الكردي. إلا أن المعلومات التي يزودنا بها شرف خان لا ترجع إلى أبعد من القرن الخامس عشر ، والحال أن كل شيء يحملنا على الاعتقاد بأن اليزيدية وصلت إلى ذروة قوتها في القرنين الثالث عشر و الرابع عشر. وربّما كان للزعماء الدينيين للطائفة في ذلك الوقت نفوذ كافٍ للبتّ عبر التحكيم في النزاعات التي كانت تفرق بين أتباعهم ولفرض نهج وحيد على الجماعات التي كانت تقر بسيادتهم [57].

على كل حال لم يدم هذا التماسك طويلاً ، فسرعان ما تراجع دين الشيخ آدي (دخول الآغاوات في الإسلام) وتشتت أتباعه (هجرة المحمود يين والدنبلية). وانطلاقاً من القرن الخامس عشر لم تعد القبائل اليزيدية المختلفة تتبع سياسة أخرى غير التي تفرضها عليها أنانيتها ساعية إلى كسب صداقة جيرانها الأقوى ومبدّلة حلفاءها وفقاً لمصالحها. في القرن السادس عشر سرّعت العلاقات المتزايدة مع الأتراك والفرس حركة تمثّل تمّ التمهيد لها منذ أمد طويل. ومنذ القرن السابع عشر لم تعد الحوليات اليزيدية سوى سردٍ لسلسلة طويلة من الاضطهادات. فقد كان الولاة الأتراك يقومون دورياً بحملات نهب وسلب على سنجار أو على الشيخان ، ولم تكن تنقصهم الحجة لتبرير سلوكهم. وعندما يصادف ألا يكون ثمة ضريبةٌ تأخرت جبايتها ولا غزوة تستدعي العقاب [58] ، فإن حماسهم الديني يزودهم بدوافع كافية

للقيام بالقتل والحرق. وليس هناك أسهل من الحصول على فتوى تكفر اليزيديين وتسمح للمؤمنين بقتلهم والاستيلاء على أموالهم. وقد أورد عباس العزّاوي وثيقة من هذا النوع وقعها الشيخ عبد الله الرتبكي المتوفى سنة 1159 هـ (1746 – 1747 م) [59]. ومن هذه الوثيقة نقتطف بعض المقاطع : " إنهم ينكرون القرآن و الشرع ويزعمون أنه كذب و [أن مثل هذيانات الشيخ فخر هي المعتمد عليها والتي يجب أن يتمسك بها] ولهذا يعادون علماء الدين ويبغضونهم بل إن ظفروا بهم يقتلونهم بأشنع قتل كما وقع غير مرّة وإن وقعت الكتب الإسلامية بأيديهم يلقونها في القاذورات بل يمزقونها و يتغوطون ويبولون عليها وذلك مشهور لا سترة به .

إنهم يحلون الزنا إذا جرى بالتراضي. أخبرني من أثق بخبره أنه رأى ذلك مسطوراً في كتاب لهم يسمونه (جلوة) ينسبونه للشيخ عدي.

إنهم يمكنون شيوخهم من زوجاتهم ومحارمهم ويستحلون ذلك بل يعتقدون به خيراً.."

وبعد تأكيدات أخرى من هذا النوع يخلص صاحب الفتوى إلى أن اليزيدية زنادقة وتوبة الزنادقة غير مقبولة في الشريعة ولهذا فإنّ قتلهم مباح ، بل وموصى به أيضاً.

قد يكون من غير المجدي أن نفصّل جميع الاضطهادات التي كان اليزيدية ضحيّة لها [60]، لذلك نكتفي بتعداد ما نعرفه منها وفق تسلسل تاريخي [61].

عام **1050 هـ (1640-1641 م) : عندما قام يزيدية سنجار بنهب** بعض القرى على محيط ماردين طاردهم أحمد باشا حاكم ديار بكر بسبعين ألف رجل [62].

عام **1057 هـ (1647 -1648 م): طالب ميرزا بك أمير الشيخان** بإمارة الموصل، فلقي الرفض، فتمرد وأعلن الثورة. وانطلق شمسي باشا حاكم وان يبحث عنه، وبعد قتالٍ مرير أسره وحكم عليه بالموت[63].

عام **1127 هـ (1715 م) : هاجم والي بغداد حسن باشا يزيدية** سنجار متذرعاً بقيامهم بالنهب والسلب ، فاحتمى اليزيدية بالخاتونية ، إلا أنهم لم يقاوموا فيها سوى لوقت قصير جداً. وبعد مجزرة رهيبة عهد حسن باشا بإمارة سنجار إلى عرب طي.

عام **1146 هـ (1753 – 1754 م) :** دمّر أحمد باشا قرى الزاب اليزيدية.

عام **1166 هـ (1752 – 1753م) : هاجم سليمان باشا يزيدية** سنجار وقتل خلقاً كثيراً منهم.

عام **1181 هـ (1767 – 1768 م) :** أرسل أمين باشا حاكم الموصل ابنه يغزو منطقة سنجار. طالب الابن الشاب السكان بألف رأس من الغنم ، فأعطوه ثمانمائة رأس، فلم يقتنع بها ، فهاجم اليزيديين وقتل بعض رجالهم.

عام **1184 هـ (1770 – 1771 م): ثورة بداغ بك أمير الشيخان.**

عام **1187 هـ (1773 – 1774 م) : غزو والي الموصل لسنجار.**

عام 1193 هـ (1779 م) : أرسل والي الموصل شقيقه يغزو سنجار.

عام 1200 هـ (1785 – 1786 م) : حاول والي الموصل عبد الباقي القيام بحملة على سنجار ، لكنه تعرض للضرب وقتل مع معظم رجاله.

عام 1201 هـ (1786 – 1787 م) : تدخل جولو بك أمير الشيخان في صراع بين باشا العمادية وبعض أقاربه ، فعرض نفسه للضرب.

عام 1204 هـ (1789 – 1790 م) : قاتلت قبيلة طي جولو بك، ولقي أحد عشر شخصاً حتفهم من أقارب جولو بك. وانتقاماً لهم أكثر جولو بك من غزواته على خصومه ، فقتل جميع العزّل الذين تمكن من مباغتتهم.

عام 1205 هـ (1790 – 1791 م) : قتل اسماعيل بك باشا العمادية جولو بك. وأحلّ محله خنجر بك أحد رجاله.

عام 1206 هـ (1791 – 1792 م) : غزت قبيلة طي سنجار. وفي الشيخان غضب اسماعيل باشا من خنجر باشا فألقى به في السجن وعزله لصالح حسن بك بن جولو بك [64].

عام 1207 هـ (1792 – 1793 م) : غزا والي سنجار محمد باشا منطقة سنجار وأحرق ثماني قرى.

عام 1208 هـ (1793 – 1794 م) : قام والي الموصل محمد باشا بحملة على الميهيركان (سنجار) ، فوقع في كمين وتعرض للضرب.

عام 1209 هـ (1794 – 1795 م) : أرسل والي بغداد سليمان باشا قوةً غزت سنجار واختطفت ستين امرأة وستة آلاف رأس من الغنم.

عام 1214 هـ (1799 – 1800 م) : قام والي بغداد عبد العزيز بك بتدمير الشيخان (دمر فيها 25 قرية) بعون من قبائل عبيد وحمدان وطي البدوية.

عام 1217 هـ (1802 – 1803 م) : قرر والي الموصل علي باشا أن يخضع سنجار لنفوذه ، فعسكر مع رجاله عند السفح الشمالي لجبل سنجار وجعل البدو يحرسون السفح الجنوبي. واستمر القتال عدة أشهر تمّ خلالها تدمير العديد من الأكفار وقطع الكثير من الأشجار. وأخيراً قبل اليزيدية شروط خصمهم وحصلوا على تعهد بإعادة قراهم في السهل[65].

عام 1224 هـ (1809 – 1810 م) : غزو والي بغداد سليمان قاتيل لسنجار : وقد نهب بلد سنجار و الميهيركان وبعض القرى الأخرى في الشمال.[66]

انطلاقاً من القرن التاسع عشر ، لا تذكر المصادر التي استخدمها عباس العزّاوي أية أخبار عن اليزيدية ، لذا علينا أن نعود إلى روايات الرحّالة الأوربيين.

عام 1832 م : جرى أحد أكثر الأحداث دمويّة في التاريخ اليزيدي ، إذ غزا بدرخان بك أمير بوهتان منطقة الشيخان ، وتمّ سحق اليزيديين رغم المقاومة الضارية التي أبدوها. كما تمّ اعتقال أميرهم علي بك واقتياده إلى رواندوز حيث تعرض للتعذيب. ولكي ينقذوا حياتهم على الأقل ، حاول سكان الشيخان الوصول إلى سنجار ، لكنّ فيضان نهر دجلة أوقفهم عندما بلغوا أبواب الموصل. استطاع البعض أن يعبر النهر سباحة ، وأما الآخرون الذين بقوا على حافة النهر فقد ذبحهم مطاردوهم[67].

عام 1838 م : هاجم حافظ والي ديار بكر منطقة سنجار مجدداً[68]: وعقب ذلك بعدة أعوام ، تحديداً في عام 1846 م ، شهد لايار Layard شخصيّاً حملة على جبل سنجار نظمها طيار باشا حاكم الموصل. وبما أن يزيدية الجبل كانوا يشكون منذ مدة طويلة من دفع ضرائب ثقيلة جداً ، فقد قرّر الباشا أن يتحقق من ذلك ميدانياً وبنفسه ، فانطلق على رأس موكب قويّ بما فيه الكفاية قاصداً ميهيركان وعندما وصل بعث رسلاً يطمئنون السكان على نواياه ، فاستقبلهم السكان بطلقات من البنادق ، وجنّ لذلك جنون الباشا فحول القرية إلى رماد. وكان اليزيديون قد التجأوا إلى كهوف الجبل فقاوموا ثلاثة أيام وقتلوا

عدداً كبيراً من الأتراك وتمكنوا أخيراً من إجلائهم عن أراضيهم تحت جنح الظلام . وتخلى الوالي عن مواصلة تحقيقه وعاد إلى الموصل[69].

كان لعلاقات لايار مع اليزيديين أفضل النتائج بالنسبة لهم ، فقد لفت انتباه الإنكليز إلى مصائبهم. كما كان لتدخل السفير البريطاني سترادفورد الفضل في حصول الرسل اليزيدية الموفدين إلى القسطنطينية على " فرمان " يستثني أبناء ملتهم من الخدمة الإلزامية العسكرية بعد أن أراد العثمانيون فرضها عليهم عام 1849 م. غير أن الباب العالي ألغى الامتياز الذي منحه لليزيديين عام 1872 م ، فقام هؤلاء بتحرير عريضة يوضحون فيها الأسباب التي من أجلها يحظر عليهم دينهم الخدمة في الجيش العثماني [70]. و حصلوا مجدداً على حق استعادة سمعتهم بوساطة دفع ضريبة خاصة. **عام 1892م :** كان على اليزيديين أن يواجهوا اضطهاداً جديداً. ففي هذا العام بعث الجنرال عمر وهبي باشا – الذي تمّ إرساله إلى الجزيرة ليساعد في تحصيل ضرائب متأخرة – بلاغاً نهائياً إلى أمير الشيخان يجمع به أعضاء الطائفة اليزيدية ويخيرهم بين الإبادة التامة أو اعتناق دين يقره القرآن.وكان أن رفض الأمير ذلك، فقام عمر وهبي بغزو سنجار والشيخان يعاونه في ذلك عرب الشمر وعصابات كردية ، وباشر بقتل السكان حتى النهاية. ويقال إن مائة وخمسين ألفاً من اليزيديين دخلوا في الإسلام هرباً من الموت [71].

وكذلك دمّر الجنرال مقام الشيخ آدي واستولى على السناجق وأرسلها إلى الموصل وأقام في حرم المرقد ذاته مدرسة إسلامية دامت اثنتي عشرة سنة. إلاّ أن مسيحيي المنطقة والقناصل الأجانب في الموصل تأثروا لذلك ووجهوا احتجاجات شديدة إلى الباب العالي فتمّ استدعاء وهبي باشا عام 1893 م [72].

وعقب ذلك بسنوات سمع أوبينهيم Oppenheim خلال رحلته في العراق حديثاً يدور حول حملة جديدة ضدّ سنجار وكذلك حول صراع بين الأكراد و يزيدية الشيخان [73]. ولم يعقب هذين الاستنفارين أي حدثٍ خطير حتى الحرب العالمية الأولى. والحقّ أن نوري باشا خليفة عمر وهبي في الموصل لم يتوقف عن إظهار رفق كبير لليزيديين [74]. وخلال فترة الحرب الأولى 1914 – 1918 م لم يكن باليزيديين أدنى اطلاع على المعارك الدائرة في أوربا وفي آسيا ، وهم مدينون في ذلك لعزلتهم. ومع ذلك فقد استفادوا من الظروف المواتية الأولى للتمرد على العثمانيين. وعندما بدأت مذابح الأرمن قدم سكان سنجار الحماية للمسيحيين واستقبلوا عشرين ألف شخص ظلوا في الجبل حتى نهاية العدوان [75] وعندما طلبت منهم السلطات تسليم ضيوفهم ، رفضوا القيام بذلك. وفي شباط عام 1918 م تمّ إرسال فصيل تركي بمعاونة بعض البدو المكلفين بالخدمة لمعاقبة المتمردين ، فهاجم اليزيديون القوات الحكومية بالقرب من بلد سنجار ولكن دون أن يحرزوا نصراً ، ثمّ تقهقروا أمامهم و التجأوا إلى الجبل حيث استمروا في المقاومة

بانتظار نجدة تأتيهم [76]. والحق أنه منذ الهزائم الأولى انطلق إلى بغداد اسماعيل بك چول ابن عم أمير الشيخان الذي كان مقيماً حينها بسنجار وكانت له اليد العليا في الأمور السياسية هناك. وفي نهاية رحلته استطاع أن يصل إلى الحلفاء بعد أن خاطر بحياته ووضع نفسه تحت تصرفهم. وقد تمّ عقب ذلك ببعض الوقت استقبال الإنكليز كمحررين من قبل عشائر سنجار.

وسنرى لاحقاً الوضع الذي آلت إليه بعد الحرب أمور يزيدية مختلف الدول تحت الانتداب [77].

هوامش التاريخ :

(1) Cf.Guidi,op.cit.,p415-16et p.423-4

(2) ابن عدي بن أبي البركات.

(3) يعني خلفاءه.

(4) الفتوح: نقل عنه عباس العزاوي (م.س،ص46). يروي ابن شاكر نفس الحدث بصورة مختلفة قليلا:" وخاف منه بدرا لدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليه وحبسه ثم خنقه بوترفي قلعة الموصل خوفا من الأكراد لأنهم كانوا يشنون الغارات على بلاده فخشي أن يأمرهم بادنى إشارة فيخربوا بلاد الموصل ". (راجع أحمد تيمور م.س، ص19). ويعطي ابن شاكر تاريخا آخر غير الذي يعطيه الفتوح :644هـ.و ما تزال ذكرى ثورة حسن بن عدي باقية إلى حد ما في الروايات اليزيدية المعاصرة.فيكتب إسماعيل بك(م.س:ص192):" وعيد رمضان فيعيدوه أيضا قبل الإسلام بيومين وكان سبب ذلك في زمان الملك زنك أو بدر الدين أن واحدا من آباء اليزيدية اسمه شيخ خال شمسان وهو من تلاميذ وخواص الشيخ عادي كان محبوسا وفي شهر رمضان أطلقوه من السجن وحضر عند الشيخ عادي قبل العيد بيومين فالشيخ عادي لفرحه وسروره به أمران يكون له عيد في ذلك اليوم اعني قبل عيد رمضان بيومين 22.

(5) راجع أعلاه ص 34- 36.

(6) مدينة تقع بين ديار بكر و ملاطية،وتبعد عن الأخيرة مسيرة يومين وتعرف أيضا باسم حصن زياد(ياقوت).

(7) راجع ابن العبري، مختصرا لد ول، نقل عنه أحمد تيمور، م، س، ص22.

(8) راجع رشيد الدين،تاريخ مغول فارس (طبعةPrococke)، ص329:"اخترق (هولاكو) أراضي خلات وجبال الهكارية التي تشكل مقرا وملجأ لقطاع الطرق الأكراد؛ وقد ذبح جيشه د ون شفقة كلّ من لقي منهم".

(9) CF.ibid.,p.386

(10) يبد و أن يزيدية جبل سمعان يحتفظون بذكرى هذا الحدث (راجع أدناه، يزيدية سورية).

(11) راجع ابن العبريّ، مختصر الدول (طبعة Procoocke)، ص 509.

(12) راجع أحمد تيمور ،م.س ،ص24-25.

(13) راجع بشان هذه الزاوية والنقوش المأتمية التى تحويها، M. V. Bercheim, corpus. Inscriptions arabicorum, p147et ss وكذلك أحمد تيمور ،م.س،ص29-37.

(14)الذي لا نعرف عنه شيئا إلا ما تذكره سلسلة النسب التي نقدّمها أدناه (راجع الملحق 1)

(15) الناصر محمد (1309-1340م).

(16) راجع النص في كتاب أحمد تيمور ،م.س،ص26-27.

(17) باستبعاد المماليك الأتراك.

(18) في عام 733هـ(1332- 1333) حسب المقريزي (ج2،ص435).

(19) ابن فضل لله، نقل عنه أحمد تيمور ،م.س،ص25-26.

(20) هناك فرد آخر من العدوية معاصر لهاتين الشخصيتين ، حظي هو الآخر بنفوذ كبير في سورية.إنه الشيخ خضر بن أبي بكر بن موسى المهراني العدوي : راجع

Quatremère , Histoire des Mameloukes d'Egypte,t.I , p.149.

والمقريزي ، خطط ، ج2، ص300,430,431، و السيوطي ج1، ص240، وابن شاكر ، فوات الوفيات ،ص150-151. و النبذة الأكمل هي هذه الأخيرة والتي ننقل عنها هنا ك" إنه صاحب حال ونفس قوية، وكان له حال كاهني ،أخبر الظاهر بسلطنته قبل وقوعها ،فلهذا كان يعظمه وينزل إلى زيارته ويطلعه على غوامض أسراره و يستصحبه في أسفاره ; سأله وهو محاصر أرسوف : متى تؤخذ؟ فعيّن له اليوم، فوافق ذلك، وكذلك صفد و قيسارية. ولما عاد إلى الكرك سنة خمس وستين استشاره في قصدها، فأشار عليه ان لا يقصدها ويتوجه إلى مصر، فخالفه وتوجه فوقع عند بركة زيزا وانكسرت فخذه. وقال في بعلبك و الظاهر على حصن الأكراد:يأخذه السلطان بعد اربعين يوما،فوافق ذلك. ولما توجه السلطان إلى الروم كان الشيخ خضر في الحبس، فأخبر أن السلطان يظفر ويعود إلى دمشق، وأموت ويموت بعدي بعشرين يوما، فاتفق ذلك. وكان السلطان قد نقم عليه وأحضر من حاققه على امور لا تصدر من مسلم، فأشاروا بقتله، فقال هو للسلطان : أجلي قريب من أجلك، وبيني وبينك أيام يسيرة، فوجم لها السلطان وتوقف في قتله وحبسه وضيق عليه، لكنه يرسل إليه الأطعمة الفاخرة والملابس، وكان حبسه في شوّال سنة إحدى وسبعين (671) ولما وصل الظاهر من الروم إلى دمشق كتب إلى مصر بإخراجه، فوصل البريد بعد موته. وكان قد بنى له عدة زوايا في عدة بلاد. وكان كل أحد يتقي جانبه، حتى الصاحب بهاء الدين ابن حنا وبيليك الخزندار... وأخرج من السجن ميتا وحمل إلى الحسينية ودفن بزاويته. قال الشيخ تقي الدين : الشيخ خضر مسلم صحيح العقيدة، لكنه قليل الدين باطوليّ له حال شيطاني، وكانت وفاته سنة ست وسبعين وستمائة (1277-1278م) ، وكان قد بنى له زاوية بالحسينية على الخليج محاذية لأرض الطبالة، ووقف عليها أحكارا يجيئ منها في السنة ثلاثون ألف درهم، وبنى له بالقدس زاوية، و بالمزّة بدمشق زاوية، وهدم بدمشق كنيسة اليهود وكنيسة المصلبة التي للنصارى بالقدس، وقتل قسيسها بيده وعملها زاوية، وهدم بالاسكندرية كنيسة الروم وبناها مدرسة وسماها الخضراء. وكان واسع الصدر يعطي الفضة والذهب، ويعمل الأطعمة في قدور مفرطة الكبر يحمل القدر جماعة عتّالين ".

(21) استمرت العدوية في سورية إلى عهد قريب نسبيا : راجع أعلاه، ص 31، الهامش 5.

(22) راجع نص السمعاني الذي نقله عباس العزّاوي ، م.س ، ص 11.

(23) راجع الشرفنامة ، ص 339-341.

(24) راجع الشرفنامة ، ص 26.

(25) في أيامنا هذه نرى بعض البرازية في حماة؛ ومن الشائع أن نسمع أنهم يعاملون فيها كيزيدية من قبل أعدائهم. وربما لا يكون هذا سوى تلميح مهين إلى أصولهم الكردية وليست تذكيراً بديانتهم البدائية.

(26) فمثلاً هذه هي حال الهوفيدلية التي كانت بطونها منذ عهد الكاتب متفرقة في مناطق بعيدة عن بعضها بعضاً.

(27) راجع الشرفنامة ، ص 156. و لا يشير الكتاب لسوء الحظ إلى تاريخ دخولهم في الإسلام. وعلى أية حال فإن هذا التحول يسبق سنة 1414م (راجع أدناه ، ص 112).

(28) الهوفيدلية الذين تحضروا حالياً في بوهتان بقوا على ملتهم اليزيدية.

(29) راجع بشأنهم الشرفنامة ، ص 26، 156 ، 163-164 ، 180 ، 195 ، 204 ، 207.

(30) راجع أدناه ، ص 114.

(31) يمكن تقريب هاتين القبيلتين من قبيلتي الجلكان في سنجار و الرشكان في قره داغ وفي جبل سمعان ، على الرغم من أن الشرفنامة لا تذكر ذلك.

(32) راجع الشرفنامة ص 101. خضع الخالتيون في وقت ما لأمراء صاصون .

(33) يمكن تقريبها من الرشكي (راجع الهامش السابق). يذكر جابا في مقدمة كتابه [جامع الحكايات] فرقة من اليزيدية مؤلفة من الرشيّة ومرتبطة بالشكاكلية ، تقيم في منطقة وان.

(34) راجع قبيلة الشكاكلية Şikaklî القديمة في كرد داغ التي كانت بعض فرقها مؤلفة من جماعات يزيدية ، وربما كانت هذه القبيلة يزيدية بأكملها في الماضي. راجع الهامش السابق.

(35) راجع فرقة الشعاني أو السهاني من قبيلة الشرقيان اليزيدية (راجع أدناه ، يزيدية سورية).

(36) راجع أدناه ، يزيدية سورية ، الشراويّة في كرد داغ التي كانت تماماً مثل الشكاكلية تضم جماعات يزيدية. إن الاستنتاجات التي نتوصل إليها من تشابه أسماء هذه القبائل وأسماء بعض فرق اليزيدية في العراق وفي سورية ، لن تبدو دون سند إذا ما أخذنا بعين الاعتبار اختلاطات السكان التي تمت في هذه المناطق.

(37) راجع الشرفنامة ، ص474.

(38) راجع أدناه ، يزيدية سورية.

(39) وهي ليست سوى قرية (كراد الداسنية) بالقرب من مدينة حمص ، التي يذكرنا اسمها باسم قبيلة الداسنية اليزيدية. وقد كان سكانها يتحدثون الكردية منذ عدة أجيال.

(40) راجع أعلاه ، ص102.

(41) راجع عباس العزّاوي ، م.س ، ص 112 ، ونص المقريزي الذي يروي هذه الواقعة.

(42) راجع الشرفنامة ، ص 388 – 399 و ص 399-408.

(43) راجع الشرفنامة ، ص 389 – 390.

(44) راجع الشرفنامة ، ص 393. بشأن كل هذه القرابات راجع سلسلة النسب التي نقدّمها في الصفحة المقابلة. خلف أميره بك ثلاثة أبناء. الابن البكر أصبح أميراً لـ (ألباق) ، وأما الابنان الأصغران منصور وزينل Zeynel فقد انتقلا إلى خدمة الشاه طهماسب Šah Ţahmasp. وتلقى منصور من العاهل الصفوي مناطق باركيري Bargîrî وسكمان أباد. وبعد موت اسماعيل الثاني انتقل منصور إلى تركيا حيث أعطي له سنجق موش. وانضم إليه أحد أبناء أخيه ، وهو زينل ، فحصل على إقطاعة سلدوز (بالقرب من مراغة) ولكنه فوجئ في الطريق إلى امتلاكها بحيدر بك المكري وقتل مع مئة من المحاربين المحموديين الذين كانوا برفقته. نرى أن العثمانيين كانوا يطبقون في هذه الفترة سياسة نشطة جداً مع الأكراد فيبذلون جهودهم للحفاظ على ولاء الزعماء للباب العالي عن طريق منحهم الاقطاعات والأجور.

(45) نفترض ، خاصة بسبب طبع حسن بك (راجع أدناه) ، أن عوض بك وذريته كانوا يمثلون القسم المسلم في القبيلة بينما كان الزعماء الأخرون ثابتين على ولائهم لليزيدية.

(46) كان يدعى خالد وقد أقطعه العثمانيون جورس Cûres.

(47) لا يخبرنا شرف خان إن كان ينتمي للإسلام منذ ولادته أم أنه دخل الإسلام فيما بعد.

(48) تقول الشرفنامة إن زعماء هذه القبيلة وقسماً كبيراً من رجالها كانوا مسلمين وقت الهجرة.

(49) راجع الشرفنامة ، ص400. استعاد عز الدين شير ألباق بعد هزيمة المحموديين. وبعدها بوقت قصير تهاون الدنبلية في الدفاع عن أملاكهم الجديدة فانتزعت منهم (راجع الشرفنامة ، ص 129-132).

(50) راجع الشرفنامة،ص400. بخصوص إقامتهم في هذه المدينة تروي لنا الشرفنامة طرفتين تظهران سذاجة الدنبلية : " فمن الشائع على الألسنة والأفواه ، أن بضعة من أعيان هؤلاء الدنبلية دخلوا ذات يوم دكان بائع الحلوى فأكلوا منها كثيراً ، ثم أخذوا ينصرفون من غير أن ينقدوا الرجل الثمن. فلما طالبهم به ، أجابوا بأن الشاه أعطانا هذه البلدة بحلوانها ". " ويحكى أيضاً أن حشداً من مسلمي الدنبلية ذهبوا يوماً من أيام الجمعة لسماع خطبة الجمعة في جامع خوي ، فشرع الخطيب يذكر أسماء الأئمة الاثني عشرية حسب عادة ومذهب الشيعة الإمامية ، فما كان منهم إلا أن أعرضوا عن السماع متسائلين ما شأن هذا الخطيب لا يذكر اسم حاجي بك وإخوته ، ويذكر اسم جعفر بك الذي هو أخوهم الصغير ، وحيث أنه لا يدخل اسم حاجي بك وأخوته في خطبة الجمعة فإنا لا نحضر صلاة الجمعة ".

(51) شقيق حاجي بك.

(52) في أعقاب هذه الحادثة ، التجأ منصور ابن أخي أحمد بك إلى السلطنة العثمانية و حصل فيها على باركيري و مضيق قطور Qotur Deresi.

(53) على كل حال ، فقد لعبت دوراً مهماً بما يكفي لحمل بعض الكتاب على الاعتقاد بأنه بإمكانهم أن يشملوا كل اليزيديين بهذا الاسم.

(54) راجع الشرفنامة ، ص 148.

(55) راجع الشرفنامة ، ص 356-358.

(56) راجع أيضاً أدناه ، يزيدية سورية ، الدور الذي لعبه يزيدية جبل سمعان في منطقة حلب.

(57) ربما كان هناك في ذلك العهد نوع من ردة فعل قومية كردية ضدّ الأسياد الغرباء الذين كانوا يسيطرون على كردستان.

(58) يجب الاعتراف بأن اليزيدية تمتعوا مدة طويلة بشهرة راسخة كقطاع طرق.

(59) راجع عباس العزّاوي ، م.س ، ص 84.

(60) لدينا معلومات كثيرة عن مصير يزيدية سنجار والشيخان ، وعلى عكس ذلك فإنا نجهل مصير أتباع الشيخ أدي الذين كانوا يقيمون في البلاد الكردية الأخرى. ولا شك في أنّ مصيرهم لم يكن بأفضل من مصير سابقيهم. منذ القرن الثامن عشر كان على عدد من جماعات يزيدية وشيكة الزوال في كردستان الجنوبية أن تجتمع لتشكل تجمعاً اتحد مع المليّة ، ولم تظهر فيه القبائل القديمة إلا على شكل فرق. وكانت هناك جماعات أخرى أيضاً غير قادرة على الحفاظ على نفسها ، فانسحبت إلى سنجار وجبل سمعان حيث ما تزال موجودة إلى اليوم (راجع أدناه ، الفصل الثالث ، الاعمار ، وكذلك يزيدية سورية).

(61) راجع النصوص التي نقلها عباس العزّاوي ، م.س ، ص 114- 131 ألف رجل حتى ديارهم!(1).

(62) بشأن هذه الحوادث راجع أيضاً أوليا جلبي الذي نقل عنه تيودور منزل Th. Menzel (op.cit., p.203). وحول تسليح اليزيدية في هذه الفترة انظر (ibid., p.207). لم يكن سكان سنجار يملكون سوى سيوف وبنادق رديئة جداً :

> "Wenn du ihre Flinten sahest , so wŭrdest du sie
>
> um keinen Preis kaufen. Sie sind gar nicht Ziel ".

(63) ما تزال مغامرات الشيخ ميرزا تغنى إلى اليوم.

(64) حكم أمير العمادية على حسن بك بالموت فيما بعد.

(Cf. Socin , op. cit., p.text XLIII , introduction)

(65) طبعاً لم يتم الوفاء بهذا الوعد.

(66) راجع رواية أخرى لهذه الحادثة يقدمها اسماعيل بك (م.س ، ص 109 – 110) : قام سليمان باشا بقتل عدد كبير من اليزيديين غدراً.

(67) Cf. oppenheim , Von Mittelmeer zum persischen Golf , ch. XVIII , et Layard , Niniveh and its remains , t. I , p. 276 – 7.

(68) Cf. Layard , op.cit., t. I , p. 278 و اسماعيل بك جول ، م.س ، ص 113 – 115.

(69) راجع Layard , op.cit.,t.I , p.310-324 و اسماعيل بك ، م.س ، ص 115-116.

(70) ذكرنا أعلاه (راجع أعلاه ، ص5) بما يجب أن يحكم على هذه الوثيقة.

(71) بقيت سنة 1892 م مشهورة في حوليات سنجار باسم " عام الجنرال".

(72) في أوربا كانت النقمة كبيرة؛ فبهذه المناسبة نشر منان Menant كتابه حول اليزيدية.

(73) Cf. Oppenheim , op. cit ,. P.142-3.

(74) هو مؤلف كتيب عن اليزيدية ترجمه عن التركية تيودور منزل Th.Menzel (Cf. op. cit) ، وهو الذي ألغى المدرسة التي أقامها عمر وهبي في حرم الشيخ أدي.

(75) راجع اسماعيل بك ، م.س ، ص 54-55.

(76) المصدر نفسه ، ص 56.

(77) راجع أدناه ، الفصل 3 ، الأزمة الحالية ، وكذلك ، يزيدية سوريا.

3

يزيدية جبل سنجار

الفصل الأول

جبل سنجار

ينتصب جبل سنجار (Çiyayê Şîngalê بالكردية) في وسط سهب على بعد حوالي خمسين ميلاً غربي مدينة الموصل. وهو عبارة عن سلسلة جبلية ضيّقة متطاولة [1] تتجه من الغرب إلى الشرق ، لكنّ نهايتها تتجه قليلاً نحو الشمال. وأعلى قمة في هذه السلسلة هي جبل چيل ميرا Çêl Mêra التي يبلغ ارتفاعها 1460 م.

وابتداءً من بحيرة الخاتونية في الأراضي السورية هناك نسق من خاصرات جبال صخرية قليلة الارتفاع ، لكنها ذات تضاريس متعرجة تعلن الاقتراب من الجبل.

بصعود قائم نصل إلى ذروة كتلة مرتفعات جريبة Cerîba (905م) التي يفصلها عن بقية جبل سنجار مضيق دري شيلو Derê Şîlo الشديد الانحدار الذي تنزلق من خلاله الطريق التي تصل بين الحسكة وبلد سنجار. وفي مقابل مرتفعات جريبة يتجاوز جبل سنجار مباشرة ارتفاع 1000 م ، وتنهض الذروة شيئاً فشيئاً (سري سموّقا

Semmoqê ، Serê 1356م) ، وتنبسط لتشكل الهضبة التي يبلغ عرضها بضع مئات من الأمتار وتميل على وادي جرسه Çerse. ومن ثمّ تبلغ ذروة چيل ميرا بانحدار خفيف ، وتنخفض أخيراً حتى ممر باخليف Baxilêf (650 م). ينخفض جبل سنجار شرقاً بسرعة كبيرة ينتهي بسلسلة تلال تضمحل شيئاً فشيئاً في رتابة السهل.

إن تباين سفوح جبل سنجار المدهش يشرح جزئياً طابع الإعمار في المنطقة وكون المنشآت البشرية متجمعة في الشمال.

تُظهر السفوح الشمالية انحدارات شديدة شبه قائمة في بعض الأماكن ، لكنّها مخددة بأودية عميقة متعرّجة ، وهي ملاجئ سهلة للدفاع أصبحت أكثر صلاحية للسكن بوجود جداول دائمة الجريان (بارا Bara ، و جرسه Çerse ، ودري بيري Derê Bîrî) تروي البساتين وتروي البغال قبل أن تتلاشى في البادية. وفي هذه الأودية تتركز حياة البلد كلّها ، فتتجمع البلدات و الأكفار وتتزاحم في تقابل حتى تكاد تلامس بعضها بعضاً [2]. ولنا أن نتصور بأية ضراوة كان سكّان الجبل يتنازعون على هذه الجريَبات* القليلة من الأرض.

والسفح الجنوبي للكتلة أكثر تكتلاً ويظهر ككتلة واحدة وهو بالكاد مخدد بالسيول العديدة التي تنحدر من الأعالي وتتجمّع في موسم المطر لتشكل نهر سكينياSikêniya أو غيران Xîran. وحدها بعض القرى تستطيع أن تختبئ بين الجبل والامتدادات المخروطية للصبات البازلتية

* الجَريب أو الأربَنْت : مقياس فرنسي للمساحة (المترجم).

التي تحيط به. إذا ما وثقنا بالجغرافيين الشرقيين ، فإنّ سنجار كانت في القرون الوسطى منطقة غنيّة جداً ، ونرى ياقوت الحموي يصف بإسهاب حدائق بلد سنجار المزروعة بأشجار النخيل والبرتقال وكروم العنب [3]. كما أنّ الثرثار كان– حسب هؤلاء الجغرافيين– نهراً صالحاً للملاحة في موسم الأمطار ويتم عبره نقل منتجات البلد باتجاه الفرات[4]. وفي أيامنا هذه يُبحث عبثاً عن أشجار النخيل والبرتقال التي يتحدّث عنها الكاتب العربي؛ مع أن مياه الجبل وافرة فإنه لا يغذي سوى نباتات قليلة؛ إذ تنمو فوق هضبة مهريكان بعض الغابات الصغيرة الضامرة من الصنوبر و البُطم والبلوط الأخضر. كما أن الأودية التي تتخلل السفوح الشمالية للجبل تناسب زراعة أشجار التين وزراعة التبغ. وفي السهل يزرع القمح والشعير إضافة إلى المراعي الخصبة التي تغطيه ، وهو يناسب دون شك زراعة القطن. وبإجراء الجرد السريع لمنتجات سنجار نرى أنها لا تتوافق كثيراً مع ما ورد في نص ياقوت الحموي.

إن شكل الجبل يجعل المواصلات صعبة فيه ، فثمة طريق وحيدة تعبره وهي أيضاً سالكة بصعوبة : هذه الطريق الآتية من بحيرة الخاتونية تحاذي في الشمال جبل جريبة وتعبر مضيق دري شيلو وتصل بلد سنجار محاذيةً سفح الجبل. وفي موضع آخر لا نستطيع إلاّ سلوك ممرات صالحة للمشاة وحدهم في أغلب الأوقات.

لقد استطاعت منطقة سنجار أن تعيش إلى الوقت الحالي حياتها الخاصة وتنجو من التأثيرات الخارجية بسبب كونها بعيدة عن أي مركز مدني مهم وعن كبرى طرق المواصلات ، أضف إلى ذلك أن اختراقها يكاد يكون مستحيلاً. إنّ مثل هذا البلد كان يقدّم لليزيدية مأوىً مثالياً يسمح لهم رغم ضعفهم السياسي بالحفاظ على أصالة تقاليدهم في استقلال مطلق.

إذا ما فكّرنا بالمأساة التي تدور في جبل سنجار منذ قرون ، فإنّ القليل من المَشَاهد يثير الشفقة بمقدار ما يثيرها هذا الجبل الذي سبق له أن شهد الكثير من المعارك والذي لا يزال مهيّئاً لتحمّل صراعات أخرى.

هوامش الفصل الأول :

(1) يبلغ طولها 80 كم وعرضها 10 كم تقريبا.

(2) راجع وادي چرسه.

(3) راجع ياقوت الحموي ، ج3 ، ص 158.

(4) راجع المصدر نفسه، ج1 ، ص921.

الفصل الثاني

الإعمار في سنجار

كانت منطقة سنجار مأهولة منذ عهد قديم ويشغلها مسيحيون نسطوريون(1). وقد اعتنقوا الإسلام منذ القرن التاسع أو العاشر (2). ولا شك في أن إسلامهم كان سطحياً ، فنحن نعلم أنهم كانوا ، لدى ظهور العدوية ، يعدّون من أتباع الغلوّ الذي يفترض أن اليزيدية تولّدت منه.

ولم يطرأ على إعمار سنجار بوجه الاحتمال سوى تغييرات طفيفة حتى بداية القرن السابع عشر ، لكن المنطقة تعرضت بعد ذلك لاجتياح حقيقي من قبل عناصر يزيدية قادمة من كردستان. واستمرت حركة الانحسار [المسيحي] حتى أيامنا هذه. ولئن كان السنجاريون يجهلون تاريخ استقرار بعض القبائل والعشائر [في المنطقة] من أمثال الخالتية Xalitî(3) والدنبلية Dombelê(4) و المنديكان Mendikan(5) والمحمودية (6) ، فإنهم يتذكرون أن قبيلتي الداوودية Dawûdî(7) والفقيران Feqîran(8) استقرتا في بلدهم خلال النصف الأول من القرن

التاسع عشر ، وكذلك قبيلتا الجلكان Çelkan والچيلكان Çêlkan[9].

وبعد الحرب لجأ العديد من النازحين، فرادى وجماعات إلى الجبل.

ولم تكن هذه الهجرة الجماعية بدون مضاعفات. فقد تميّز القرن الثامن عشر بتجمّع كامل للسكان و بصراعات عنيفة لامتلاك المناطق الأخصب في الجبل. وكانت قبائل الجنوب تعمل على الاقتراب من بلد سنجار Balad Sindjar وتحلم جميعاً بالاستيلاء عليه؛ وبشكل دوري كان بعض القبائل التي طردها خصوم أقوى تستقر عند السفح الشمالي للجبل وتدفع باتجاه الغرب الجماعات التي تصطدم بها [10].

ومنذ نهاية هذه الفترة المضطربة لم يطرأ أي تعديل على التوزيع الإقليمي للجماعات اليزيدية في المنطقة [11]. ويقسم سكان سنجار [12] حالياً إلى ثلاثة تجمعات هي : الخوركا Xwerka والجَنْوية Cenewîya والفقيران [13]. يشغل الفقيران بضع قرى واقعة في القسم المركزي من الكتلة و لا يتميزون عن مواطنيهم إلا بكونهم يشكلون طائفة خاصة. إن تجمع الخوركا الذي يخيم في الغرب وتجمع الجَنْوية الذي يقيم في الشرق لا يفصلهما فارق طبقي اجتماعي ، وإنما اختلاف نمط الحياة و اختلاف العادات. والأوائل (أي الخوركا) هم أشباه رحّل ، والجنوَية حضر ؛ البعض منهم يقبل الدية في حين يرفضها البعض الآخر [14]. ويظهر هذا التعارض أيضاً باختلاف في اللباس [15]. وأخيراً فإن الحدود بين التجمعين هي من الوضوح بحيث أن فرداً من الخوركا لن يتزوج أبداً بواحدة من الجنوّية وبالعكس.

وأسباب هذا الشقاق التي لا يسعى اليزيدية إلى شرحها ، مجهولة تماماً بالنسبة لنا. و يبدو أنه يجب ألا نبحث عنها في اختلاف الأصول ، ذلك أن قبائل الهسكان أو الچيلكان الخوركية تشمل بمعظمها فرقا ذات صلة بجماعات جنوّية [16]. وقد تكون فرضية الشقاق وحدها محسومة. هذا الشقاق الذي أدى في وقت ما إلى ظهور إتحادين متخاصمين.

ومع ذلك ، إن كان مثل هذه الخصومة قد وجدت فعلاً فلم يبق منها أي أثر. ولم يعد التمييز بين الخوركا و الجنوية يتوافق مع أي واقع سياسي ، وفي الوقت الحالي يتحالف زعماء اليزيدية ويتقاتلون فيما بينهم دون أن يأخذوا هذه الخصومة بعين الاعتبار.

وهكذا ، فإن سكان سنجار المنقسمين إلى عدة مجموعات تفتقد التجانس فيما بينها ، و ينقصهم بشكل أساسي الاتحاد فيما بينهم. إن غياب الوحدة يشرح جزئياً تعقد الصراعات التي تضع بعض عشائر الجبل في وجه بعضها الآخر.

هوامش الفصل الثاني :

(1) كانت بلدة سنجار مقرّ مطرانية (Cf. R.P. Charles , le Christianisme des Arabes Nomades , p. 62 et 66).

(2) Cf. R.P ,Charles , op.cit.,p.83-4

وحسب (Pognon , sur les Yezidis du Sindjär) فإن بعض قرى جبل سنجار بقيت نسطورية حتى عام 1660 ، وأصبحت يزيدية منذ هذا التاريخ. من المحتمل أن تكون بعض العناصر الكردية قد قامت بطرد سكان سنجار الأصليين. وتظهر الحكاية الأسطورية اليزيدية أنها احتفظت بذكرى غزو وحشي على سكان مسيحيين في البلد. ونحن ننقل هنا رواية لـ علي اوسو (راجع أدناه ، الملحق 2 ، النص الكردي) :

قصة الكفار

كان الكفار يسكنون جبلنا. وكانوا يقيمون في شيلو. وكان علي شير [ما يزال] في بطن أمه. وقد أكرمه الله وأنعم عليه. نظر رئيس الكفار إلى تاريخه [كتابه] واستدعى وجهاءه وقال لهم : " هناك [حاليا] طفل في بطن أمه ، فإذا ولد وكبر فسيطردنا من هنا ". فقال الوجهاء : " لنفتح بطن المراة ونخرج الطفل فيموت ". وكان لهذه المراة خادمة وكانت حاملا أيضاً. وذهب الوجهاء وقالوا :" نريد هذه المراة " واخفيت ام علي شير ، فذبحوا خادمتها ، وفتحوا بطنها ووجدوا فيها بنتاً ، فعادوا إلى رئيسهم وقالوا له : " إن تاريخك يكذب ، لقد ذبحنا المراة وفتحنا بطنها [فوجدنا] فيها بنتاً. إن تاريخك يكذب ". واقسم رئيس الكفار وقال : " لن افتح تاريخي خلال اثنتي عشرة سنة ". وبعد اثنتي عشرة سنة نظر إلى كتابه [فراى] أن رجاله لم يذبحوا المراة [المطلوبة] ، وإنما قتلوا امراة أخرى بدلاً منها ، فاستدعى الوجهاء وقال لهم : " لقد كذبتموني فها هو الطفل قد كبر الآن ". وقد انعم الله عليه فارسل له ذو الفقار (سيف علي شير) ، وكانت الدلدل [حينئذٍ] بحوزة الكفار ، ولم يكن احد يستطيع ترويضها ، وكانت تقتل كل من تطوله. وعلم علي شير ان الدلدل موجودة لدى الكفار ، فتنكر بلباس شحّاذ وذهب إليهم ، واتى صاحب الدلدل وقال له : " اريد ان أصبح خادمك ". فقال صاحب الدلدل : " اي عمل تجيد ". قال : " أصلح سائسا لخيلك ". فقال الرجل : " لدي حصان يمكنك ان تأخذه وتعطيه الماء والشعير ". قال : " سأعطيه الماء والشعير ". وقال الرجل : " [ولكن عليّ أن احذرك] بانه يقتل كل من يراه ". فقال علي شير : " لا يهم " وتوجّه إلى باب الدلدل وفتحه. وتحدث إلى الحصان [قائلا] : " يا حيوان الله ، لقد أعطاني الله ذو الفقار و الدلدل الموجودة لدى الكفار بأمره تعالى ". وخاطب الله علي شير : " لقد أعطيتك الدلدل [أيضا] ، واصبحت لك وعليك بقتل الكفار ". وبقي علي شير خادما لمدة شهر ، و [بعدها] قالت له الدلدل : " هذا يكفي أخرجني ". فأخرج علي شير الدلدل وانطلق بها. قال رئيس الكفار [لصاحب الدلدل] : " ها هو حصانك الذي كان يقتل كل من يقترب منه ، يحمل هذا الرجل [بكل] هدوء ". ركب علي شير الحصان وقال : " وداعاً ". وشرع الكفار يصرخون : " لقد أخذ حصانك ورحل ". وانقض

علي شير على الكفار يقتل كل من يطوله سيفه. وهرب الكفار من سنجار ولاحقهم علي شير حتى البحر. ومنذ ذلك الحين لم يعد الكفار ولم يظهر كتابهم ثانية فالكفار يعرفون لمن تعود ملكية كل شيء "يمكن ان تقرّب هذا النص من رواية ملحمية نشرها Socin وتتضمن مشهداً مماثلاً لاختطاف علي للدلدل. إلا أن هذا العمل الباهر ينسب لعمر ، (Cf. A. Socin , op. cit. texte XXXIIT).

(3) فرقة من قبيلة الخالتية تقطن منطقة حصن كيفا HisnKeyfa.

(4) فرقة من قبيلة الموسقورة Mûsqora ، وهذه الجماعة هي دون شك من دنبيلة بوهتان(بوطان).

(5) جابا Jaba ، م.س ، يشير إلى جماعة من المنديكان Mendikan تشكل جزءاً من الشكاكي Şikakî في منطقة وان.

(6) عشيرة من السموقة ويمكن تقريبها من القبيلة اليزيدية الكبيرة التي تحمل الاسم ذاته (راجع أعلاه ص 114-118).

(7) أصلها من قبيلة بهرميان Behremîyan.

(8) تعود بغالبيتها إلى تجمّع الشرقيان (راجع أدناه ، يزيدية سورية).

(9) أصل Çelkan و Çêlkan من قبيلة الهفيركان Hevêrkan المسلمة التي تتضمن عدة فرق يزيدية.

(10) وهكذا نشهد مطاردة حول الجبل ، فتنتقل قبائل الشمال نحو الغرب وقبائل الجنوب نحو الشرق. وبعد أن يُطرد المنديكان على التوالي من قبل بَارة Bara وسكينيا Skênîya ، يهزمون عشيرة الهسكان Heskan ويحتلون بلد سنجار. وبعد فترة وجيزة يُطردون هم انفسهم (أي المنديكان) منها على يد الهبابات Hebbabat التي تتعقبها (راجع اسماعيل بك ، م.س ، ص 115). وبعد هزيمتهم ، يخيّم الهسكان في سنانيك Sinnanîk وتجبر جيرتهم الخطرة السمّوقة على ترك جرسه والتوجه نحو بارة. وكل هذه الحوادث وقعت حوالي 1800 م.

(11) لا يشير Forbes الذي زار سنجار عام 1838 (Cf.A visit to the Sindjar Hills in 1838) إلى قرى أخرى غير التي توجد حاليا ، باستثناء بعض الأكفار (القرى الصغيرة) المتهدمة التي أخليتدون شك ، ليعاد بناؤها في مكان أبعد من ذلك بقليل ومنذ ذلك لم تغيّر أية قبيلة التقاها السياح الإنكليز موقعها.

(12)عدا بعض المسلمين القاطنين في بلد سنجار ، فرقة من الموسقورة (سنّة) ، وعشيرة من الميهيركان وعشيرة البشكان Beşkan المكونة من الشيعة ، فالجبل يسكنه يزيديون يقدّر عددهم بـ 23 ألف نسمة تقريبا.

(13) كل تجمّع من هذه التجمعات يضم عدداً من القبائل المستقلة استقلالاً تاماً. وسنقدّم قائمة بأسمائها فيما بعد (راجع أدناه الملحق 4).

(14) راجع أدناه ، التنظيم القبلي.

(15) راجع أدناه ، الحياة المادية.

(16) مع ذلك فإن القبائل الآتية من كردستان هي أكثر عدداً لدى الجنويّة منها لدى الخوركا.

الفصل الثالث

الحياة المادية

من المناسب قبل أن نتناول مجتمعات الجبل بالدراسة ، أن نمعن النظر في العوامل الاقتصادية التي تؤثر إلى حدّ ما في نمط حياة السنجاريين وفي تنظيمهم الاجتماعي والسياسي. بداية ندرس الموارد التي يتيح استغلالها البقاء لسكان الجبل ، ثم ندرس نظام التغذية لدى اليزيديين ولباسهم ونمط السكن لديهم.

الموارد

لكل تجمع من التجمعين اللذين نميزهما بين قبائل سنجار اهتماماته الخاصة. فالجنويّة الذين استقروا منذ أمد طويل يعيشون على منتجات بساتينهم وحقولهم. وهم يحتفظون بقطعان قليلة يعهدون بها إلى الرعيان على الأغلب. والذين يتنقلون منهم ويعيشون في الخيم لا يشكلون سوى استثناء. أما الهبابات الذين يسكنون بلد سنجار فقد تحضّروا تماما ، وهم الآن يمارسون التجارة ويزاولون بعض الحرف [1].

وكان الخوركا حتى عهد قريب نسبياً رحّلاً بأجمعهم [2]. على الرغم من أنهم يزرعون الأرض ، فهم ما زالوا يجوبون السهب خلال عدة أشهر من السنة. ويمكن أن نكوّن فكرة عن نمط حياتهم من خلال نموذج السموقة.

في نهاية الخريف وبعد مشورة يُقرّر فيها موعد التنقل ، تنتقل القبيلة إلى جريبة حيث توجد المراعي الشتوية. يسرح الرعيان بالقطعان خلال النهار ويعيدونها إلى المضارب عند حلول الظلام. ومنذ الأيام الأولى للربيع ترحل القبيلة إلى البادية ، فتنطلق كلُّ فرقة من جهتها [3] ، ولكنّ الجميع يلتقون في بارة عند بداية الصيف من أجل الحصاد. وأما الخريف فهو مخصص للعمل في البساتين وقطف التين. ولاتهجر قرية بارة بشكل كامل ، إذ تترك كل عائلة بعضاً من أفرادها لحراسة البيوت والزرع.

تشكّل تربية المواشي المورد الأساسي للخوركا [4]. وتضم ماشيتهم الضخمة الأغنام وحدها تقريبا[5]؛ فالأبقار نادرة وأما الجمال فغير موجودة. وتستخدم الحمير والبغال للركوب ، أما الخيول فتبقى حيوانات مكرّمة ولا تستخدم إلا في الاحتفالات والحروب.

إنّ الأغنياء الذين لا يستطيعون الاهتمام بكل ماشيتهم يضعون عادة قسماً منها في رعاية شريك (Şirîk). ويبرم العقد (شراكة الغنم Şirkê pêz) لمدّة متغيرة على الأسس التالية : أن يتم اقتسام النتاج والصوف مناصفة وكذلك بالنسبة للسمن؛ مع ذلك على المالك أن يتنازل تماما للراعي عمّا ينتجه القطيع من اللبن انطلاقاً من ثالث يوم يلي الحصاد.

و اليزيدية بستانيون أكثر منهم مزارعين ، سواءً أكانوا من الجنويّة أم من الخوركا. وكلّ قبيلة تملك بساتين تزرعها بحب ولا أحد يتحدّث عنها دون تباهٍ. إن هذا التفضيل للبَسْتَنة يُفسَّر بسهولة : فمن أجل حَصد زروع الحبوب يجب النزول إلى السهل ، والحقول المزروعة بالبذار تبقى تحت رحمة أول غزوة معادية؛ أما البساتين فهي على عكس الحقول ، يمكن لها أن تختفي في ثنايا الجبل وتصبح أقل ظهوراً. بشكل عام تبعد البساتين قليلاً عن القرى [6] ، ولكل عائلة قطعة صغيرة خاصة بها إضافة إلى كوخ يمكن النوم فيه عندما يقتضي العمل ذلك أو عندما تكون هناك حاجة إلى مطاردة المغيرين [7] [بقصد السلب]. إن أودية سنجار تنتج الخضار و التبغ والفواكه (العنب والتين). والتبغ الذي يُنتج فيها وبالأخصّ تبغ چرسه يُعتبر بحق مطلوباً جداً [8] ، وهو يموّن بكثرة التهريب إلى سورية.

إن الدور الذي تلعبه السباخة* في حياة الجبل يساهم في إعطاء أهمية كبيرة لمسألة المياه ، وملكية المياه الجماعية على الأقلّ لدى الخوركا؛ إذ يجتمع مجلس الأعيان كلّ عام لإجراء تقسيم المياه (Pey kirina avê)**، فتحدد أولاً حصص تتوافق مع مختلف الجماعات ، ثم يقوم رؤساء الفرق (meḥqûl) بإجراء التقسيم داخل جماعاتهم الخاصة[9] آخذين بعين الاعتبار سعة وامتداد أملاك كلّ واحد.

---

* السباخة : زراعة البقول في السبخات. المترجم.

** Pey kirin تخفيف لـ Pay kirin بمعنى التقسيم . المترجم.

الطعام

بغضّ النظر عن المحرمات القليلة الصرامة التي تفرضها عليهم ديانتهم[10]، فإنّ أطعمة اليزيديين مماثلة لأطعمة الأكراد الآخرين. إنهم يتغذون بشكل رئيسي باللبن (خاصّة الرحّل) ومنتجات البقول والبرغل (Savar). وفي الربيع يزوّدهم جمع الكمأة بوجبات إضافية؛ رغم أن اليزيدية أكثر استهلاكاً للحم فإنه يبقى غذاءً كمالياً.

كذلك يستخدم اليزيديون التمر الذي يشترونه إضافة إلى كميات السكر [11]. على الرغم من أن معتقدهم لا يحظر عليهم إطلاقاً شرب الخمر ، يمتنع اليزيديون على الأغلب عن استعمالها ويكتفون بشرب الماء أو المخيض وفي سنجار كما في البادية يتذوّقون بكثرة الشاي والقهوة.

اللباس

يختلف اللباس اليزيدي كثيراً عن لباس السكّان المحيطين بهم ، إذ يرتدي الرجال فوق سراويلهم القطنية الفضفاضة (derpî) قميصاً طويلاً جداً (qinc) [12] وله ياقة (pîsîr) مفتوحة بسعة على الصدر [13] وقفطاناً (zebûn) [14] مفتوحاً من الأمام يشدّ على البدن بحزام ملون (desman) ، كما يرتدون عباءة على الطريقة العربية (heba) ، وهي بمثابة المعطف لديهم. يضع اليزيدية على رؤوسهم قبعة من اللبّد عالية جداً (Kim) وهي على الأغلب كستنائية اللون وبيضاء أحياناً ،

تحيط بها عمّة يختلف لونها حسب الشخص [15]. ويرتدي سكان سنجار بعامة بابوجات معقوفة من الأمام ، لكن بعض الزعماء يملكون أحذية أوربية.

وأمّا لباس النساء في جبل سنجار فإنه يظهر أقلّ اتحاداً من لباس الرجال. حيث ترتدي المرأة في قبيلة الخوركا ثوباً وتضع على رأسها عمامة بيضاء (qofî) معلق بها لفاع (meḥlef) يتدلى من أطرافه على كتفيها ويلتف حول عنقها، كما ترتدي فوق ثوبها قفطاناً أبيض أيضاً شبيهاً بقفطان الرجل. بينما تضع المرأة الجنويّة عمامة سوداء خفيفة وتكتفي أحياناً بلفاع تشدّ عليه عصابة قماشية عند الصدغين ، وعلاوةً على ذلك فهي ترتدي سترة صوفية بيضاء ذات أكمام قصيرة ، وتتزيّن بوشاح أحمر أو أخضر للكتفين. و المرأة لدى الجنويّة مثقلة بالقلائد والأساور والخواتم في حين أن المرأة لدى الخوركا ليس عندها سوى القليل من الحلي.

وإذا كان الذوق الأنثوي قد نجا من كل تأثير أجنبي ، فإن الأزياء العربية الدارجة تلقى باستمرار حظوة متزايدة لدى الرجال. فكل الزعماء استبدلوا الكفية والعقال بقبعة اللبد. واقتدى بهم في ذلك العديد من أتباعهم. وقد وصل الأمر ببعضهم إلى ارتداء الثوب البدوي أيضاً. أما السترات و الصدرات الغربية فما تزال قليلة الظهور بينهم. فقط أحد

الوجهاء الصغار من حاشية داوود الداوود يرتدي سترة بحار إنكليزي ويتبختر بها.

المسكن

الخيمة [16]

إن الخيمة اليزيدية شبيهة بالخيمة التي يستخدمها الأكراد الآخرون. وهي واطئة مربوعة ومثبتة على الأرض بحبال قصيرة وعديدة ، فهي تبدي إذن فوارق واضحة عن الخيمة العربية. إن هذه الخيمة هي مسكن لشعب جبلي قلما ينتقل رغم كونه راحلاً ، لذا يجب أن تبدي أكبر مقاومة ممكنة للريح دون أن تكون بالضرورة سريعة الهدم والنصب.

يختلف عدد الأعمدة تبعاً ليسر صاحب المسكن؛ ويندر أن يزيد عددها على خمسة : فخيمة خلفي أحمد رئيس السموقة لا تزيد أعمدتها على خمسة وخيمة حسني علي آغا أغنى أغنياء السموقة لا تحوي سوى أربعة أعمدة.

والترتيب الداخلي للخيمة لا يُظهر أية خصوصية : حيث يفصل الحاجز القصبي (Çît) قسم النساء عن قسم الاستقبال المخصص للرجال والذي يكون في وسطه موقد القهوة محفوراً في الأرض.

وفي الخيمات الثابتة التي يعود إليها يزيدية سنجار كلّ سنة خلال أشهر عديدة [17] يسعون إلى الحصول على سكن فيه مزيد من الراحة.

فينصبون الخيمة على طريقة الغماء * فوق جدران صغيرة من الحجارة الناشفة التي تحدّد مختلف أقسام المسكن والتي تحمي السكان من الهواء والبرد [18]. وهذا النوع من البيوت يشكّل الاستقرار الأول الثابت تقريباً الذي عرفه أناس رحّل؛ وبالطبع فإن البيوت التي بناها هؤلاء الرحّل فيما بعد كانت وفق مخطط مماثل.

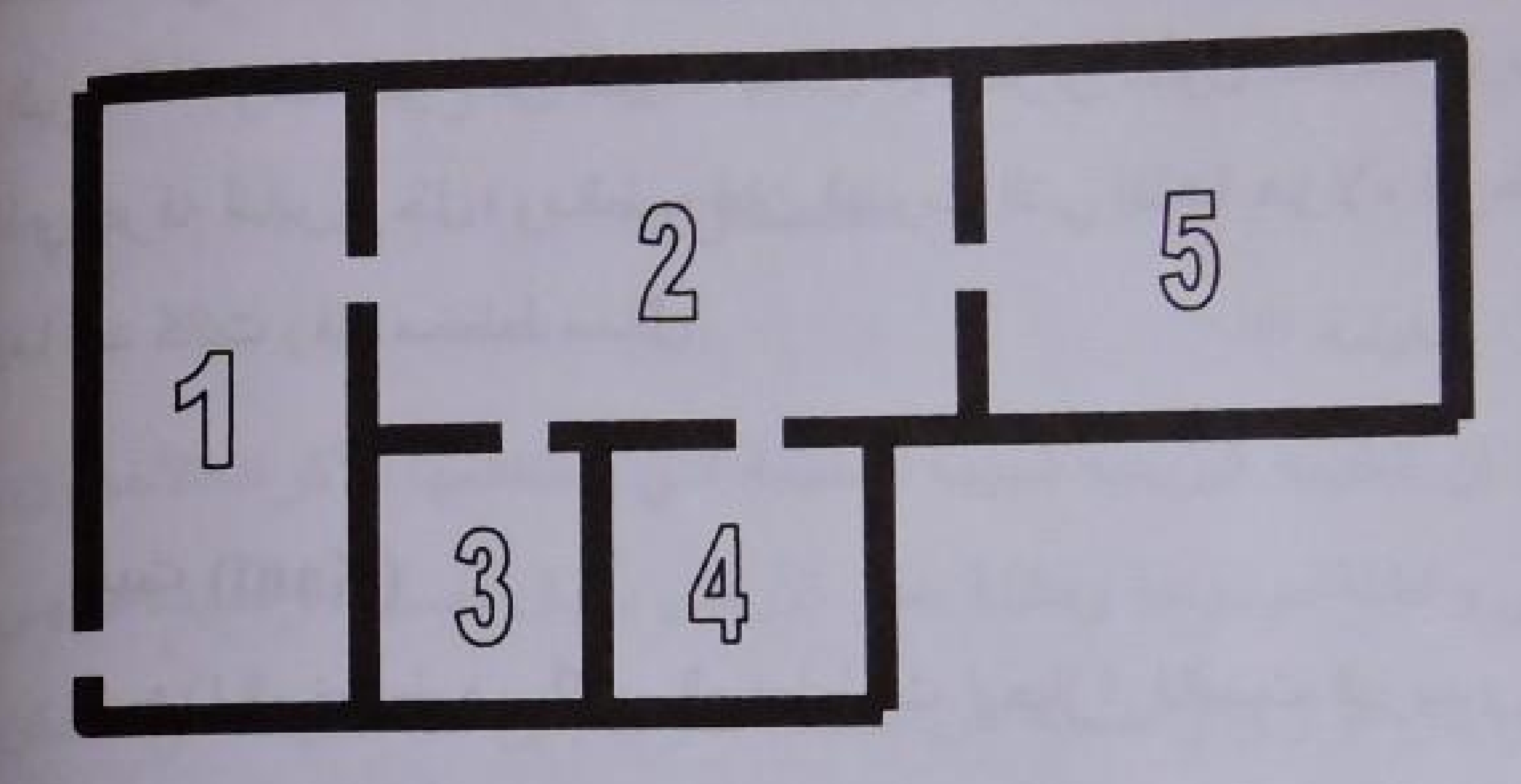
البيت (Xanî)

إن هذا المخطط هو أكثر المخططات إيجازاً. فالبيت اليزيدي لا يحتوي سوى ثلاثة أقسام هي : غرفة سكن (mezûl) فيها ، كما في الخيمة ، حاجز متحرك يفصل بين النساء وقاعة الاستقبال ، وزريبة (Koz) ومخزن للمؤن (qadûr). وغرفة السكن هي الوحيدة التي تنفتح على فناء الدار وتتصل بأبواب داخلية مع الزريبة ومخزن المؤن ومع فناء آخر أصغر (ḥewşa kiçik) وملاصق للفناء الكبير (ḥewşa mezin)، لكنه مفصول عنه بجدار. وسطح البيت من الطين الموضوع على هيكل خشبي من أغصان الشجر ، ذي سماكة كبيرة غالباً ، مما يسهم في تخفيف أثر تقلبات الحرارة داخل البيت. يستند السقف إلى صفين من الأعمدة الخشبية الشبيهة بأعمدة الخيمة [19].

---

* الغماء ، الغمى : مجموع ما يسقف به البيت. المترجم.

وهي موضوعة بحيث يبعد أحدها عن الآخر حوالي ستة أقدام ، وتستقرّ فوق جسور عرضانية ثخينة (sercîl).



الشكل (1)
مخطط لبيت يزيدي في سنجار

1 – الفناء الكبير Hewşa mezin 2 – غرفة السكن
mezûl 3 – الفناء الصغير Hewşa kiçik 4 – مخزن المؤن
qadûr 5 – الزريبة

وفوق هذه الأعمدة توضع شرائح خشبية أكثر رقة (medd). وتترك فتحة مربعة عبر الغماء ليصعد منها الدخان فوق البيت.

أما الأثاث المستخدم في مثل هذه البيوت فهو بدائي مثله مثل الأجهزة الثابتة الأخرى : إذ ينام السكّان على الأرض مباشرة وهم يلتحفون بطانية أو غطاءً بسيطاً ، والأغنياء يملكون الفُرش. وأما الآنية المنزلية فهي تتمثل في بعض الأطباق وعدّة القهوة [20].

* * *

إن هذه اللمحة العامة عن الحياة المادية لليزيدية تظهر أنهم استطاعوا، رغم انفصالهم عن باقي العالم بسبب طبيعة بلادهم ، أن يحققوا الاكتفاء الذاتي من موارد منطقتهم. و اليزيدية نادراً ما يشتغلون بالتجارة، وتتم التبادلات التجارية فقط بوساطة بلد سنجار. كذلك فإن الذين تركوا الجبل من سكانه قليلون والغرباء الذين جازفوا بالقدوم إلى جبل سنجار نادرون جداً.

هوامش الفصل الثالث :

(1) إنهم متخصصون بصناعة الأواني من الحجر والفخار الأحمر ، وهم الذين يزودون كل قبائل الجزيرة بها.

(2) وعلى حدّ قول علي اوسو فهم لم يبدؤوا ببناء القرى إلا منذ نصف قرن. وهذا التأكيد مغلوط فيه لأن جيامل Giamil الذي كان يكتب في القرن التاسع عشر ، كان يعرف حينها أغلب حاضراتهم الحالية.

(3) لكل فرقة أرض خاصة بها تجوبها. فالمحمودي والكوركوركان يذهبون إلى ناحية جقا Ceffa والاوسكي Wûskîبالاتجاه ذاته ولكن إلى الغرب أكثر. ويبقى العلي جرمكان ʼElî Cermkan والغيران في نواحي سري جريبة Serê Ceriba ، في حين ينزل الخليفا Xelîfa نحو أم الدبّان.

(4) لا يجبي شيوخ القبائل الإتاوة إلا على منتجات تربية المواشي (انظر أدناه ، التنظيم القبلي) مما يؤكد على أن الزراعة لا تعتبر سوى مورد ثانوي. وعلى عكس ذلك ، فقد كان أغاوات الجنوّية يأخذون العشر على المحاصيل إلى أن تم [فرض] " الانتداب " على المنطقة.

(5) وحدها بعض القبائل الفقيرة ، مثل الچلكان و الچيلكان – تعيش في الجبل ويسكن جزء منها في الكهوف – تتعاطى تربية الماعز.

(6) توجد بساتين السمّوقا في سمّوقا (موضع يقع على بعد أربعة أو خمسة كيلومترات من بارة).

(7) يخضع الجزء الأكبر من سنجار لنظام الملكية الصغيرة. وفقط في المنطقة الشرقية من الجبل نجد أملاكا واسعة بقدر أملاك داوود الداوود Dawûdê Dêwûd (راجع أدناه ، التنظيم القبلي).

(8) يباع مفروماً بالكاد أنعم من تنباك الأركيلة ، بحيث يستهلك ببطء.

(9) ليس دون اقتطاع بعض الحصص [قبل إجراء التقسيم] لصالح الآغا والزعماء الدينيين (راجع أدناه ، التنظيم القبلي). ولزعيم الفرقة (meḩqûl) نفسه الحق في حصتين إضافيتين.

(10) راجع أعلاه ، ص 76-77.

(11) اليزيديون يحبون السكر كثيراً؛ فمثلاً علي اوسو لا يضع أقل من اثنتي عشرة قطعة من السكر في كوب واحد من الشاي.

(12) قارن مع Kinc : البياضات في اللهجات الكردية الأخرى. ويقال للقميص عادةً qîras [Kiras].

(13) على شكل شبه منحرف (راجع أعلاه ، ص 76). عند الخوركا تنزل الفتحة حتى منتصف الصدر ، أما الجنوّية فيوقفون الفتحة أعلى من ذلك بكثير. ولنشر إضافة لذلك إلى أن الخوركا يحلقون رؤوسهم بينما يطلق الجنوّيون شعورهم ويجدلونها إلى أربع جدائل.

(14) كل قطع اللباس هذه بيضاء اللون.

(15) يرتدي الشيب بعامة عمّة سوداء والشباب يفضلون اللون الأحمر واللون الأبيض.

(16) مجموعة مصطلحات الخيمة هي : Kon و Kwîn : الخيمة وهي القماش الذي يغطي الخيمة ، و istûn: العمود (stun لدى الميران و stûn لدى الهفيركان) ، و rewaq : الحاجز القماشي المتحرك (rewak لدى الميران و rewaqe لدى الهفيركان) ، و Çît : الحاجز الحصيري ، و sing : الوتد ، وWerîs: الحبل ، و Şêlît : الحبل ، و perde : الستارة

(17) كمخيّم السموقة الشتوي في جريبة على سبيل المثال.

(18) نرى هذا التشكيل في قرى الحضر في سورية أيضاً :

Cf. R. Montagne , Quelques aspects du peuplement de la Haute Djéziré , p.56.

(19) في بيت متوسط ، كبيت علي اوسو يبلغ عدد الأعمدة 16 عموداً في غرفة السكن و 8 أعمدة في الزريبة و4 أعمدة في مخزن المؤن. وعلى ما يبدو فإن العدد الكلي للأعمدة يتجاوز 100عمود في بعض بيوت الرؤساء.

(20) شبيهة بالعدة التي يستخدمها البدو.

الفصل الرابع

الحياة العائلية

تشكل العائلة (mal) الخلية الأساسية في مجتمع سنجار الأبوي. إذ يتمتع الأب بسلطة مطلقة على أولاده حتى وفاته ، حيث تتم الاستفادة من الإرث بشكل جماعي . وهذا التضامن ليس محصوراً بالأشخاص الذين تؤويهم خيمة واحدة أو منزل واحد ، إنما يمتد إلى جميع الأقرباء بالدم. ويشمل بتفاصيله الوضيعين من عامة الناس؛ فحياة اليزيدي تتميز بتعاون دائم من المهد إلى اللحد [1].

الولادة

كلّ ولادة جديدة سواءً أكانت ولادة ذكر أم أنثى يُرحَّب بها على أنها حدث سعيد. فما إن يخرج المولود إلى العالم حتى يأتي الأقرباء والأصدقاء يهنئون الأب ويعطون الأم بعض الهدايا (من لباس أو مال). ويقدَّم للزائرين وجبة خفيفة من تين أو تمر.

إذا كان المولود ذكراً فإنه يأخذ اسم أول شخصية ذات محتد يلتقي بها أبوه : يدعى أحد أبناء داوود الداوود هادي إكراماً للشيخ هادي العاصي رئيس عشيرة الشمّر. وكذلك يمكن للاشبين أن يحدد بنفسه اسم ابنه بالمعمودية. فالرحالة لايار Layard هو الذي اختار اسم علي بك الصغير [2].

وما إن يفطم الطفل حتى يأتي الشيخ أو البير بثوب ويلبسه بيديه ، ثم يصب قليلاً من الماء على جبهته ويقص خصلة شعر من قمة رأسه[3] : فيصبح الطفل بعد ذلك تابعاً للرعية التي يحصل منها أصحاب الرتب هؤلاء على الحراسة الروحية. هذا الطقس العابر لا يستدعي أي احتفال خاص. وبالمقابل فإن ختان الأولاد تصحبه وليمة تجمع كل أفراد العائلة.

الزواج (ZEWICÎN)

غالباً ما يتزوج اليزيديون وهم صغار السن ، فالفتيان يتزوجون ابتداءً من سن الخامسة عشرة والفتيات من سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة. ولم يستطع مخبرونا أن يقولوا لنا عدد النساء اللواتي يسمح بهن الدين اليزيدي لأتباعه. ولم يدع أحد أن تعدد الزوجات غير مشروع ، بل أنه مسموح به عرفاً ، وحسب البعض فإن عدد الزوجات يجب أن لا يتعدى أربعاً أو خمساً[4]. وفي سنجار يكتفي الرؤساء الأغنياء بزوجتين فقط ، وفي حال الترمل يسمح بالزواج من جديد حسب الرغبة غالباً.

ولا توجد في جبل سنجار قبائل شريفة ولا وضيعة [من حيث الأصل] [5] ، فيمكن لأي واحد الزواج ممن تبدو له مناسبة من الطبقة التي ينتمي إليها طبعاً [6]. ويفضل اليزيدي عادة اختيار عروسه من ضمن عائلته هو أو من ضمن عشيرته [7]. مع ذلك فإن الزيجات بين أفراد من فرق أو حتى قبائل مختلفة تأخذ طابعاً سياسياً جلياً. فالرؤساء والوجهاء الصغار الذين يسعون إلى تعزيز وضعهم داخل الجماعة التي ينتمون إليها أو إلى توطيد تحالف مع أحد جيرانهم ، إنما يفعلون ذلك عن طيب خاطر. وهكذا ، عند السموقة زوّج آغا القبيلة خلف أحمد أخته لمراد أوسمانا رئيس فرقة الجفرية ، بينما تزوج أحد أولاد علي اوسو من ابنة خليل خضر خلا (خصم مراد أوسمانا) ، وتزوج ولده الآخر قريبة خلف قاسمكو من الهسكان وهو عدو قديم لخلف أحمد. ويمكننا أن نذكر أمثلة عديدة مماثلة لدى كل جماعة.

إن طلب الزواج يتم عن طريق والد الشاب من والد الفتاة ، وهو يفسح المجال لمساومات طويلة. والواقع أن الأمر يتعلق بتحديد قيمة المهر (Next أو Siyag) الذي يجب على زوج المستقبل أن يقدمه لحمويه. ويختلف المبلغ المناسب لجمال المخطوبة وطبقة عائلتها ووضع عشيرتها داخل القبيلة [8]. ويجب أن يدفع المهر كاملاً قبل يوم الزفاف ، كذلك فإن الزوج يضطر غالباً للاقتراض حتى يفي هذا الدين. وعادةً لا يدفع كل المبلغ نقداً : فقد دفع شمو بن علي اوسو اثنتي عشرة ليرة ذهبية مهراً لزوجته الثانية ، لكنه وعد حماه فوق هذا بأن يعطيه بلا

مقابل يد ابنته البالغة من العمر ثماني سنوات. وقد دفع ابن آخر لعلي حاجي مهر زوجته بغلاً واثني عشر خروفاً وحصة في الفرس [9] وكذلك أربع عشرة ليرة ذهبية.

إن النفقات الباهظة التي تسببها مشتريات المرأة تثبط همة كثير من الخاطبين. وغالباً ما يتم السعي إلى الاتفاق على مبلغ معقول بين الأهل والأصدقاء فيعمدون حينها إلى المقايضة (فتاة مقابل فتاة keçik bi keçikê). ومقايضات من هذا النوع تتم غالباً دون أن يدفع أي من الطرفين شيئاً من المال.

وعندما لا يتم التوصل إلى أي اتفاق بين عائلة وعائلة الفتاة ويكون الحب هو الأقوى ، فإن الوسيلة الأخيرة هي الخطف ، ولكن لا يتم اللجوء إليها إلا كحل أخير. والواقع أن الخطف يعتبر بالنسبة للعائلة التي وقعت ضحية له إهانة وضرراً مادياً في الوقت ذاته. فإذا لم يوفق الرئيس الذي يلتجئ إليه العاشقان في فرض الوساطة فإن المعركة أمر محتوم [10]. وقد كان ذلك سبباً في معركة طويلة بين الدوخيان والغيران.

وما إن يتفق الأهل على موضوع المهر حتى تقدم الحماة لكنتها هدية الزواج حوالي مئة مجيدية لمساعدتها على ترتيب جهازها ، ويقوم والد الشاب من جهته بالاهتمام بتوجيه الدعوات : وعليه أن يرسل هدية لكل واحد من وجهاء القوم الذين ينوي دعوتهم. ويجري الاحتفال عادة

في موسم قطاف التين مع أنه يسمح بإقامته في أي وقت من السنة عدا شهر نيسان [11].

وفي يوم العرس يأتي الشيخ والـپير منذ الصباح الباكر بصحبة أصدقاء الخاطب ليأخذوا الفتاة من بيت أبيها. فتمتطي صهوة الحصان وهي تغطي رأسها بمناديل مختلفة الألوان. ويمسك الشيخ والـپير عنان مطيتها [12]. كذلك يمسك عدد من الشبان بأيديهما بطريقة تشكل حلقة عن اليمين وعن الشمال ، ويغلق باقي الحضور الموكب وهم يغنّون ويطلقون عيارات نارية ويأخذون العروس إلى بيت الشيخ وبيت الـپير فتقدّم لنسائهما الهدايا. ثمّ يأخذونها بعد ذلك إلى بيت الزوجية حيث لا يسمح لزوجها أنيراها قبل حلول الليل. بينما يقوم الحمو والصهر بزيارة الشيخ والـپير اللذين يعلمان منهما موافقة الطرفين ويباركان الزواج[13]، ويقدم الأول خروفاً والثاني رأساً من الماعز.

وما إن تنتهي مراسم الاحتفال المختلفة حتى تبدأ الأفراح ، فيجتمع الناس عند أحد الوجهاء أو عند أحد الأشراف الذي يتسع منزله لكل الحضور ، حيث يجدون الطعام الفاخر والقهوة و الموسيقا والرقص حتى المساء. وتدوم الأفراح عدة أيام وأحياناً تصل إلى أسبوع [14].

وبعد عدة أيام من انتهاء العرس ، يأتي الشيخ والـپير ليطّلعا على أخبار العروسين ويقبضا أتعابهما بهذه المناسبة. وقد جرى العرف على أن تقوم العروس بزيارة رسمية لحماتها وتقدم لها ثوباً.

الطلاق و الزنا

يجيز القانون اليزيدي الطلاق على غرار الشرع الإسلامي. وحتى يكون الطلاق مقبولاً يجب أن يتم أمام ثلاثة شهود : يضع الزوج بعد أن يلفظ الصيغة الدينية [15] ثلاثة أحجار صغيرة في يد زوجته ، ومن تلك اللحظة ينفصل عنها إلى الأبد ولا يكون بمقدوره استرجاعها. من جهة أخرى فإن

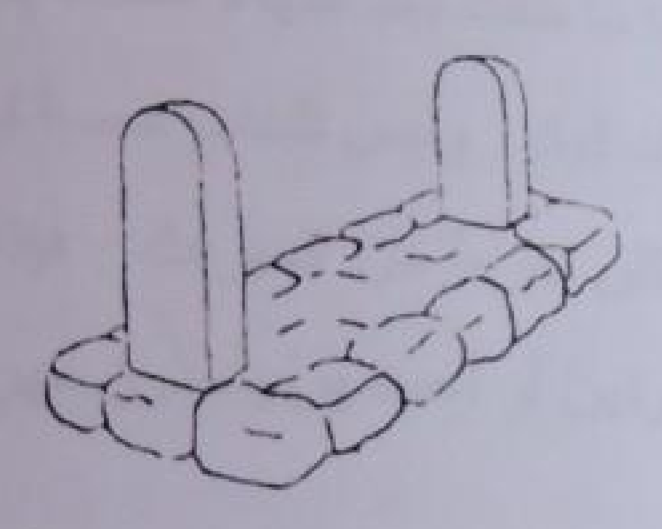
الزوجة ليست تحت سلطة زوجها بشكل كلي. ويمكن لها الذهاب إلى بيت أهلها دون أن تكون مطلقة ، وبعد أن تمضي فيه بعض الوقت يمكنها أن تعقد زواجاً جديداً. وفي هذه الحالة يكون للزوج الأول الحق في نصف المهر الذي يدفعه الزوج الجديد للحمو.

في سنجار يعاقب الزاني بعقوبات شديدة جداً. فالمرأة التي تقتنع بالخيانة تعاقب بالموت ويدفع عشيقها ديتها ثلاثة أضعاف. وإذا لم ينفذ ذلك ، فإنه يعرض نفسه لمواجهة نهايةٍ وشيكة.

الجنازة

بعد الوفاة مباشرةً يذهب الشيخ والپير إلى منزل المتوفى، فيغسلان الجثة بعناية ويدخلان في الفم قليلاً من تراب مصدره قبر الشيخ آدي[16]. وما إن تنتهي التحضيرات حتى تقوم النساء بإلباس جثة الميت ووضعها في كفن أبيض [17] يلفها بشكل كامل (ويتركن فتحة صغيرة فقط عند القدمين)؛ ويقوم الشيخ بشقّ قماش الكفن من أعلى الرأس

ويعقد رباط القماش الذي حصل عليه بهذه الطريقة. وبانتهاء غسل المتوفى وتحضيره يحمله الناس على نقّالة و يأخذونه إلى مثواه الأخير. ويتبع الموكب زوجات وبنات



الشكل رقم (2)

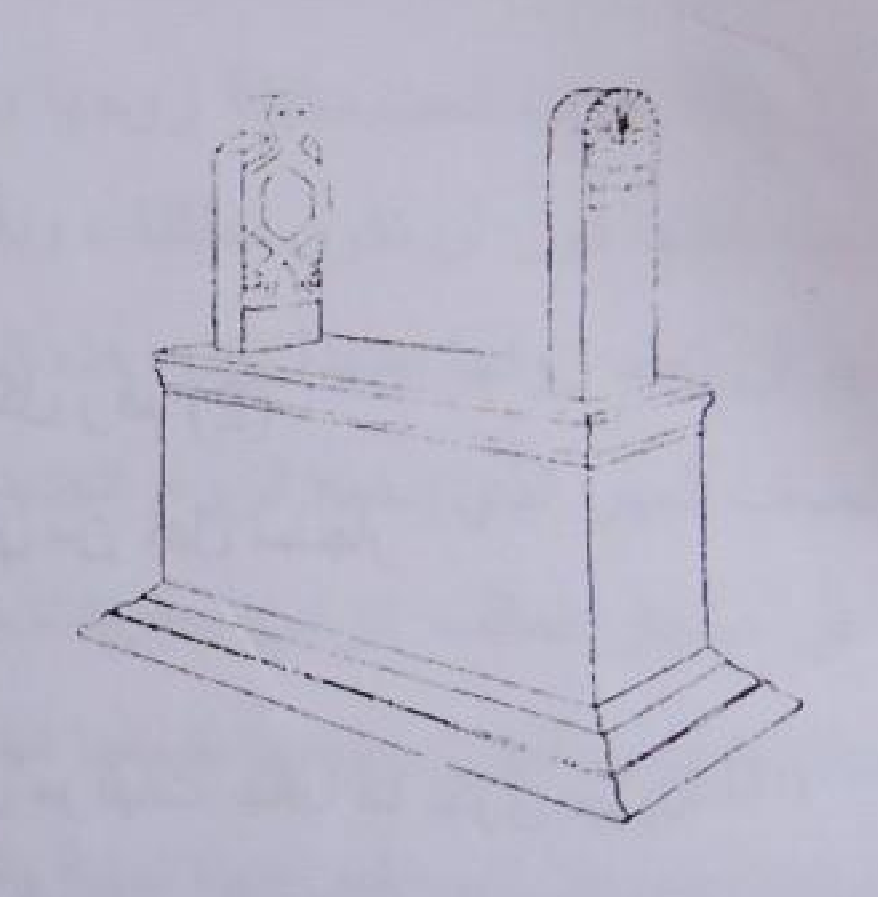
قبر يزيدي من جبل سنجار

المتوفى وهنّ ينحن ويرددن مرثيات غالباً ما تكون جميلة [18].

يحفر القبر في أطراف القرية على مقربة من المزار المحلي ، وإذا كانوا في المراعي فإنهم يحفرون القبر وسط الحقول. تكون الحفرة بعمق 1 م حتى 1.5 م وفي قاعها تمدد الجثة بحيث يكون الرأس متدلياً نحو الغرب و الوجه متجهاً نحو الشرق. ولا تتم تغطية الجثة بالتراب مباشرةً ، إنما يوضع فوقها صفٌ من الحجارة المسطحة و تكوّم عليها حصىً صغيرة وينتهي ردم الحفرة بالتراب المبلل بالماء.وعلى سطح الأرض يتم تحديد موقع القبر بصفٍ من الحجارة العمودية بارتفاع

20– 30 سم ، وعلى الطرفين ينصبون بلاطتين مستطيلتين [شاهدتين][19].

وقبل أن ينصرف الناس يتركون قرب الحفرة خبزاً وتيناً يأكله المحتاجون والمسافرون. وبعد مضي أسبوع على الوفاة تقدم العائلة طعاماً [وضيمة].



الشكل رقم 3

قبر يزيدي من جبل سمعان

وبعد أربعين يوماً تذبح أضحية على القبر ويوزّع لحمها إلى أبناء السبيل[20] ويتكرر الطقس نفسه في عيد الموتى [21].

الإرث

لجهل اليزيدية بالكتابة ، فإنهم يحددون أحكام الوصية شفهياً؛ ويكفل شهود ثلاثة الرغبات الأخيرة للمتوفىً. فتقسم أمواله المنقولة والثابتة بالتساوي على أولاده أو على إخوته وأبناء عمومته إن لم يكن له أولاد. وإذا ما ظلّت بعد انتهاء القسمة بقيّة لا يمكن تقسيمها فإنها تكون من حقّ الولد البكر. وليس للبنات حصةٌ في التركة ، بل على العكس تماماً فإنهنّ يشكلن جزءاً من الميراث : فإذا كنّ عزباوات عند وفاة أبيهن ، فإنّ إخوتهنّ أو أعمامهنّ يأخذون مهرهنّ عند الزواج.

الوصاية

يتربّى الأيتام صغار السن عند إخوتهم. فإذا كان إخوتهم ما يزالون صغاراً لا يستطيعون القيام بهذا الواجب ، فإنّ الأمّ تختار من بين أعمام الأولاد شخصاً يحل محل الوصي عليهم وتذهب لتقيم عنده حتى يكبر الأولاد ويستغنوا عن رعايته ، فتعود عندئذٍ لتسكن عند أهلها. وقبل أن يباشر الوصي وصايته يستدعي ثلاثة شهود ويجعلهم يحسبون ثروة أيتامه. فإذا تزوج الأيتام [22] ، كان لزاماً على الوصي أن يعيد لهم أموالهم [23]

* * *

وبما أن اليزيدية ليس لهم كتاب منزل كالقرآن ولا أحاديث مكتوبة، فإنّ الأحكام الدينية والقانونية التي ذكرناها آنفاً لا تتحدد إلا بمقتضى

العرف. و لا يتقيد بها الفرد إلا بمقدار ما يرغب ، ذلك لأنه لا توجد في جبل سنجار أية سلطة مركزية قويّة لتفرض على الجميع احترام القانون. وفي حال النزاعات فإنّ القرار يكون للقوة إن لم يكن هناك اتفاق.

هوامش الفصل الرابع :

(1) معظم مقاطع هذا الفصل يمكن أن تجد مكانها في الجزء المخصص من دراستنا للدين عند اليزيديين. مع ذلك وبما أن بعض تفاصيل الطقوس التي ترافق الولادة والزواج والوفاة تختلف من منطقة لأخرى وكذلك الأعراف المتبعة ، فقد آثرنا أن نجمع هنا هذه الملاحظات التي أخذناها عن طريق الاستفسار من يزيدية جبل سنجار.

(2) Cf. Layard , op.cit., p.274. وهذا مثال أحدث عن هذا العرف: كان النقيب. B التابع لمخابرات الحسكة يقوم بتفتيش خيمة يزيدية عندما وضعت كنة مخبرنا علي اوسو طفلا ، فتم تعميد الطفل فورا باسم مستشار (وهو لقب عربي لضباط المخابرات) لأن أباه يعتقد أن اسم النقيب هكذا.

(3) عند الزرادشتيين كان الحلق الأول لرأس الطفل تصحبه أيضاً احتفالات خاصة.

(4) مع ذلك فإن الأمير سعيد بك متزوج على الأرجح من ست نساء.

(5) خلافا لنظام التشريف المتبع عند البدو.

(6) لا يمكن لليزيدي أن يتزوج إلا امرأة واحدة من طبقته (راجع أعلاه ، ص 84) ، كما أنه ممنوع أن يتزوج أرملة أخيه أو أرملة أبيه.

(7) من جهة أخرى فإن ابن العم له حق الأفضلية على ابنة عمه حتى لو كان المهر الذي يقدمه أقل من المهر الذي يقدمه منافسوه.

(8) هذه هي التعرفة الجارية لدى المسوقة : المحمودي 30 كيسا (الكيس ليرة ذهبية عثمانية واحدة) ، والخليفا 20-30 كيسا ، والأوسكي 20-25 كيسا ، والكوركوركان 15-20 كيسا ، والعلي جرمكان 15-20 كيسا ، والغيران 15 كيسا.

(9) أي أنه تعهّد بأن يقاسم حماه منافع الفرس.

(10) راجع قصة زواج اسماعيل بك (م.س ، ص 2-3).

(11) نقلا عن اسماعيل بك (م.س ، ص 81) : ربما يرجع هذا التحريم إلى أن الأنبياء يتزوجون في شهر نيسان. لكن يزيدية سنجار لا يرون الأمر كذلك. فالطبيعة ، كما يقولون ، تكون في ذلك الوقت بكامل تجددها فلا يليق أن نعكر صفوها.

(12) إذا كان الزواج غير قانوني فعليهما أن يرفضا قبوله. ولم يستطع أحد من مصادرنا أن يقول لنا على أي شيء تشتمل مباركة الزواج. من جهة أخرى وبما أننا لم نحضر قط زواجا في سنجار فإن كل التفاصيل التي نقدمها هنا تتطلب التدقيق. إذ أنه من المستحيل أن نحصل على رواية مترابطة من رجل يزيدي مهما كان موضوعها بسيطا.

(13) هناك عرف مشابه عند كلدانيي أورمية؛ راجع ب. نيكيتين ، م.س ، ص 157 : " عندما تمتطي الخطيبة الحصان يقف رجلان على الطرفين حتى لا يضع أحد مادة ملونة في نعلها أو على السرج فيصبح خطيبها عاجزاً [جنسيا] ".

(14) جرت عادة المدعوين على تقديم بعض المؤونة لمساعدة عائلة الزوج على تحمل نفقات العرس.

(15) الصيغة التي لم يستطع أحد أن يكررها لنا.

(16) نعطي هذه التفاصيل بتحفظ تام.

(17) الفقراء Feqîran يكفنون بكفن من الصوف الأسود.

(18) راجع ما نشر في مجلة هاوار Hawar ، العدد 15.

(19) شكل القبر متماثل لدى يزيدية سوريا؛ مع ذلك فقد بنى الأغنياء لأنفسهم بعد الحرب العالمية الأولى قبوراً أقل خشونة. راجع ما عرضناه في الشكل رقم 3 وهو فريد في طرازه ، كذلك اللوحة رقم 15 التي تمثل قبر درويش آغا.

(20) هذه العادة مشتركة عند كل الأكراد.

(21) راجع أعلاه ، ص 44.

(22) من جهة أخرى ، غالبا ما يحدث أن يتزوجوا بنات عمهم [الوصي عليهم]. واعترافا بالخدمات التي قدّمها العم للقاصر ، فإنه يقوم بمساعدة أبناء عمّه إن كانوا أصغر منه سناً ، وتكون المساعدة بجمع المهر لهم عندما يرغبون بالزواج. ونلاحظ في القانون اليزيدي أن الغالبية يجدون أنفسهم متفقين مع الزواج.

(23) التبني نادر في جبل سنجار؛ إذ لم يستطع أحد أن يذكر لنا أيّة حالة عن التبني. وعلى كل حال ، فالتبني غير ممكن إلا إذا كان الأب المتبني بدون أولاد وبدون أخوة؛ إذ أنه على ما يبدو ليس له الحق في أن يحرم ورثته من جزء من التركة.

الفصل الخامس

التنظيم القبلي

لم يوفق يزيدية سنجار قط في تشكيل دولة ولا حتى في التجمّع تحت سلطة رئيس واحد. بل يعيشون ضمن قبائل مستقلة تماماً بعضها عن بعضه.

و ليست القبيلة اليزيدية أكثر تماسكاً من القبيلة البدوية؛ بل ينبغي أن نعتبرها تجمعاً لخلايا سياسية مستقلة ، غالباً ما تكون من أصول متغايرة. و بعد أن نتحدث عن تنظيم هذه القبائل على فرض أنها ثابتة ، سنبحث في التحولات المستمرة التي تطرأ عليها.

بنية القبيلة

تضم كل قبيلة عدداً معيناً من البطون (bav) [1] التي تنقسم بدورها إلى أفخاذ (bira). وإلى جانب هذه الجماعات التي تدعي أصلاً مشتركاً يندرج بشكل دائم لاجئون مؤقتون أو دائمون (yesîr أو xerîb) ، يأتون فرادى أو جماعات.

البطن (الأب : bav)*

يضم كل المنحدرين من جد واحد والذين يضمهم مخيّم واحد أو قرية واحدة [2] ولكل بطن اسمٌ خاص به ، هو غالباً اسم الجد المشترك (خليفا و علي جرمكان لدى السموقة ، و عطو لدى الهبابات) ، أو اسم أحد سليليه (عدي حسن و عبدليان Evdelîyan‘ و محمودي .... إلخ).وقد يحدث أن يتفق اسم البطن مع اسم قبيلة مجاورة أو بعيدة

(كوركوركان لدى السموقة ، و هسكان لدى الميهيركان) ، فيكون البطن مؤلفاً في هذه الحالة من اللاجئين القادمين من تلك القبيلة ، وقد لا تجمع هؤلاء اللاجئين أية صلة قرابة. وكثيراً ما تنزع تسمية جديدة إلى الحلول محل التسمية القديمة ، وذلك بأن تتيح نشر أسطورة عن أصل مشترك (مالا أوسو بالنسبة لفقراء قوباني Qopanî ، مالا زرّو Mala Zirro بالنسبة للهاديان) [3].

يتغير الملاك الفعلي للبطن تبعاً لنوعية حياة أفراده وتبعاً للشروط الطبيعية التي يواجهونها. فعند مربي الأغنام الموجودين في الغرب مثل الغيران أو السموقة ، وعند الخوركا عموماً ، يندر أن يحتوي البطن أكثر من حوالي مائة خيمة أو أقل من حوالي ثلاثين خيمة : تعد الكوركوركان (العشيرة الأكثر عدداً بين السموقة) ثمانين خيمة و تعد السلوية Selowîya (العشيرة الأضعف بين الغيران) حوالي أربعين خيمة. في الواقع يجب على مثل هذه الوحدات أن تبقى محصورة العدد

* يستخدم المؤلف كلمتي " بطن " و " عشيرة " كمرادفين للدلالة على الفرق الرئيسة التي تؤلف القبيلة. المترجم.

لتتمكن من التنقل بسهولة وتكون متيقنة من إيجاد الماء بكميات كافية ، وفي الوقت نفسه يجب أن تكون كبيرة بما يكفي لتدفع عنها الهجمات المحتملة [4].

وما إن تستقر القبيلة في مكان ما حتى تكبر العشائر التي تتكون منها ، فلا تعود مسألة الماء تطرح بكثير من الأهمية ، بل إن العمل في الأرض يتطلب يداً عاملة أكثر مما تتطلبه تربية الأغنام. وكذلك فقد ساعدت الحياة الأقل خشونة والموارد الأكثر تنوعاً في تخفيض عدد الوفيات وزيادة عدد السكان[5]. وهكذا فإن قبيلة الهبابات تضم بطناً مؤلفاً من مائتي بيت، هو عطو، وكذلك فإن فرقة العستنة (الميهيركان) الموزعة على خمس قرى مختلفة تتجاوز الثلاثمائة بيت (منها مائة وخمسون بين الميهيركان نفسها). لهذا نتصور أن قبائل الجنوية الأكثر تحضراً في سنجار هي الأكثر قوةً أيضاً.

إن البطن يمثل إضافة إلى القبيلة الوحدة السياسية الرئيسية في الجبل. و هو يتمتع باستقلالية شبه تامة ويعيش حياته المستقلة في مخيمه أو في قريته بعيداً ومنفصلاً بصورة دائمة تقريباً عن بقية القبيلة. وبناء عليه فإن أفراد العشيرة توحدهم مصالح مشتركة أكثر من تلك التي توحد مختلف أفخاذ القبيلة ذاتها. وهذا التضامن من القوة بحيث يحد تشتت البطن أحياناً؛ فهو لا يزال باقياً لدى الجنوية رغم أنها استقرت منذ عهد قديم واستبدلت سلطة شيخ القرية بسلطة شيخ العشيرة.

الفرقة الفرعية : الفخذ (الأخ : bira) :

إن الفخذ جزء متمم للبطن ومجرد من كل استقلالية ، وهو قلما يشكل أكثر من خلية عائلية. فهو يتألف دائماً من الأهل والأقارب الذين يصل نسبهم بشكل أكيد إلى جدٍ مشترك يعطي اسمه لجماعتهم [6].

وجميع اليزيدية المنحدرين من الطبقة ذاتها متساوون فيما بينهم ، لذلك صارت لمسائل النسب في سنجار أهمية أقل مما لها عند العرب[7]. مع ذلك فإن هذه المسائل هي التي تعطي للفخذ سبب وجوده وتحافظ على تماسكه. فإذا ما قتل يزيدي أحداً في وقت السلم [8] ، فإن جميع أقربائه بالدم ، أي جميع أفراد الفرقة الفرعية التابع لها يشتركون معه في مسؤولية الجريمة المقترفة [9] ويتعرضون جميعاً لتحمل ثأر عائلة المقتول. وإذا كان الطرفان المتواجهان من القبيلة ذاتها ، فإن أقارب الجاني مجبرون على الهجرة معه. ولا يعودون إلا بعد تسوية الخلاف إما بقتل واحدٍ منهم أو بفضل مصالحة.

وتتم المفاوضات عن طريق وسيط (كريف xelef) يتم اختياره عادةً من قبل عائلة القاتل. ويمكن أيضاً لشخصٍ ذي نفوذ أن يأخذ على عاتقه فرض تحكيمه. وعندما يتفق الخصوم ، يقسم كل طرف للآخر على السلام والصداقة إما عند مزار أو أمام شيخ أو پير. و تحدد الديّة مبدئياً بخمسمائة وخمسين مجيدية [10]. كذلك يمكن أن تدفع عن طريق تقديم واحدةٍ من بنات القاتل أو إحدى قريباته مجاناً لأحد خصومه القدامى. ويشترك جميع أفراد الفخذ في تقديم المبلغ المتفق عليه أو في تعويض الشخص الذي يجب عليه تزويج ابنته دون مطالبة بالمهر (next).

ولايقبل جميع اليزيديين بالتسوية السلمية فيما يتعلق بأمور القتل. فالخوركا وحدهم يقبلون الدية. أما الجنوية فإنهم يدفعون الدية لمن يتصالح معهم على ذلك ، غير أنهم يرفضونها لأنفسهم معتبرين أن موت أحدهم يتطلب ثأراً بالتأكيد. إن إقامة التسوية الوديّة تبدو حتى عند الخوركا حديثة العهد ومأخوذة عن المسلمين ، والعرف الذي يعتمد على إعطاء امرأة مقابل الدم المسفوح يمكن أن يشكل حلاً مؤقتاً. ومن جهة أخرى فإن ذلك ليس خاصاً بسكان جبل سنجار وحدهم ، بل نجده عند بعض البدو في البادية السورية أيضاً.

هذه هي الواجبات و المسؤوليات المشتركة التي تعطي للفخذ الأهمية التي يملكها ، وذلك بتوثيق عرى القربى القوية .

الرؤساء

رئيس القبيلة (serê ʿeşîrê) :

يقوم مجلس (rûniştî أو meclis) الوجهاء (meḥqûl) والأعيان باختيار رئيس القبيلة الذي يحمل لقب (أغا) من بين أفراد العائلة الإقطاعية التي تنحدر بأصلها من الابن البكر للجد الأول المانح [اسمه للقبيلة] ، والعرف اليزيدي لا يفرض أي نظام للخلافة وعلى الأغلب الأعم يقوم مجلس الوجهاء بتعيين الأكبر سناً من بين أولاد المتوفى.

إلا أنه يمكن أن ينتخب – إذا استحسن ذلك – شقيق الوارث المعين الذي يليه مباشرةً أو حتى أحد أقاربه [11]. ويسمى الرئيس رئيساً مدى

الحياة ، مع ذلك إن لم يحظ بثقة مرؤوسيه فإنه معرّض لأن يعفى من خدمته من قبل المجلس أو يعزل من قبل أمير الشيخان [12].

إن رئيس القبيلة يملك بصورة مشروعة كل امتيازات السيّد. فهو يصدر القرارات بشأن جميع المسائل العامة بالنسبة للقبيلة (تقسيم المياه، التنقل والارتحال)، وهو الذي يعلن الحرب ويدير العمليات العسكرية[13] ويعقد الصلح. بيد أن هذه السلطات التي تبدو غير محدودة وغالباً ما تكون مثار جدل وخصام ، تختزل عادةً في أمور قليلة جداً. والآغا الذي هو نفسه رئيس فرقة لا يحكم إلاّ بصفته مفوضاً عن الأعيان الآخرين وهو ، والحق يقال ، ليس السيد المطلق إلاّ على البطن الذي ينتمي إليه.

إن الآغا يحصل على دخل معتبر من منصبه. فله على كل عائلة حمولة من الحطب سنوياً ، وله عليها – بناءً على طلبه – يوم عملٍ في موسم الحصاد. وعند تقسيم المياه لا يتوانى الآغا عن طلب أكبر عدد ممكن من الحصص ولا يخفض شروطه إلا بعد مساومات طويلة جداً ، ومع ذلك تبقى لديه امتيازات كثيرة [14].

إلى ذلك يفرض رئيس القبيلة بعض الضرائب على الصفقات التي تعقد ضمن عشيرته وبخاصة بيع الماشية [15].

وقبل الانتداب كان آغاوات قبائل الحضر الشرقية يقتطعون علاوة على ذلك عشر المحاصيل ، غير أن هذا الحق انتزع منهم منذ الانتداب.

على الرغم من هذه الواردات ، لم يعد الآغا قادراً على الحفاظ على مكانته إلا إذا كان يملك ثروةً كافية ، ذلك أن عليه أن يؤدي الكثير من

النفقات. وينبغي أن تكون له مائدة مفتوحة لاستقبال الضيوف العابرين الذين يجتمعون في خيمته كلما سنحت لهم الفرصة من أجل تجاذب أطراف الحديث وهم يشربون القهوة ويدخنون السجائر. كما ينبغي عليه أن يحافظ على إخلاص الوجهاء التابعين له وذلك بتقديم الهدايا لهم. وإن صيت الكرم يكون في بعض الأحيان أفضل من سياسة بارعة في تعزيز موقع رئيس القبيلة ضمن قبيلته وتوطيد شهرته خارجها.

رؤساء الفرق (الوجهاء meḥqûl) :

إن وضع الوجيه بالنسبة لفرقته هو نفس وضع الآغا بالنسبة لمجمل قبيلته مع الحفاظ على كل النّسب. وإن وظائفه هي كوظائف رئيس القبيلة شبه وراثية؛ إذ يقوم مجلس من الوجهاء بانتخابه.

يقرّ العرف اليزيدي للوجيه بصورة رئيسة عدداً محدوداً من الحقوق ، وقلما يسمح له بتسوية القضايا الداخلية للبطن. أما بشأن السياسية فإن كلّ المبادرات تعود للآغا. غير أن رؤساء الفرق لا يهتمون كثيراً بهذه القيود ، إذ يعمل كلٌّ منهم ما يريد ، فيتحالف مع من يراه صالحاً له ، ويحارب من يحلو له. والواقع أن الدونية الحقيقية لدى هؤلاء هي ذات طبيعة مالية : فليس بإمكانهم فرض أية ضرائب ، وإن رجالهم يدفعون جميع رسوم انتفاعهم مباشرةً إلى رئيس القبيلة الذي يقتطع منها المبلغ الذي يرى أنه بحاجة إليه ويوزع الباقي على مختلف أتباعه بحسب تعاطفه مع كلٍ منهم [16].

القضاة (şiriʿ) :

لا حقَ لرؤساء القبائل أو رؤساء الفرق في القضاء إلاّ بقدر ما يقبل الناس اللجوء إليهم. وعادةً يفضل المشتكون أن يقصدوا شيخاً عرفت عنه الحكمة [17] أو بعض المختصين في التحكيم [18]. ولا يكون الحكم الصادر ملزماً إلا حينما يحلف أطراف الدعوى اليمين بالامتثال له. فيصبح حينئذٍ قابلاً للتنفيذ الإجباري. وإذا كان الحكم الصادر من قبل وسيط أول لا يرضي هذه الأطراف ، فإن باستطاعتهم نقل خلافهم إلى قاضي قبيلة مجاورة[19]. ومن يربح الدعوى هو الذي يدفع نفقاتها.

حياة القبيلة

إن الضرورات المادية ولعبة السياسة تغيّران بصورة مستمرة تنظيم القبيلة الذي رسمنا مخططه تواً. و القبيلة ، بشكل أساسي، غير ثابتة وتشهد تطوراً مستمراً يؤثر في ظهورها ونموها و زوالها.

ومن العسير إدراك عملية تشكل قبيلة وفق النموذج الحي ، لأنها أبعد من أن تكون مباشرة وتنتج عن ظاهرة شديدة البطء يمكن أن تمتد سنوات.

إن جميع الحكايات الأسطورية التي تخيلها اليزيدية لشرح تشكل قبائلهم تعود إلى نموذج واحد : كان ثمّة جد مشترك له عدة أبناء انحدرت منهم البطون والأفخاذ المختلفة للقبيلة. وهكذا استقرّ في سنجار كومبل بن أوسيكي بن سموقى Semmoqê ، وتزوج بامرأتين أنجبت

له كل منهما ولدين؛ فكان له من الأولى محمد و خليفا ، ومن الثانية أوسكي وحمو. كل هؤلاء الأبناء أصبحوا أجداداً وشكلت ذريتهم البطون الأربعة ذوات القرابة الصلبيّة للسموقة : فمن الابن البكر محمود انحدرت المحمودية Meḥmudî (بطن الرؤساء) ، ومن خليفا وأوسكي تشكلت فرق الخليفا والأوسكي ، أما حمو فهو جد العلي جرمكان. ومن ثمّ تشكلت فرقتان جديدتان من اللاجئين القادمين من الغيران والكوركوركان، وانضافتا إلى الفرق السابقة ، وبذلك اكتملت البنية النهائية للقبيلة.

وعلى النحو ذاته انحدرت الهبابات من أبناء عطو الأربعة : عطو وعمر وهادي وسيني.

ربما نستطيع أن نكثر أمثلة من هذا النوع. بيد أن سلاسل النسب هذه وهميّة محضة ، ولا نستطيع أن نوليها أية قيمة تاريخية. وهي تفيد فقط في تعزيز التضامن الذي لا تستطيع أية جماعة أن تعيش دونه.

يبدو أنه علينا أن نجد في أصول القبائل اليزيدية نموذج التشكل الذي أشرنا إليه غير ذي مرّة بخصوص القبائل البدوية وغيرها : يزداد عدد أفراد أحد التجمعات بحيث تنعدم إمكانية العيش المشترك بينهم ، "فينفجر" هذا التجمع وتصبح فرقه الأقوى نوى لكثير من القبائل الجديدة. غير أن هذه الظاهرة شديدة الندرة في سنجار [20] ، حيث نشهد، على عكس ذلك ، تجمعاً مستمراً لجماعات أضعفها الاضطهاد أو فرّقتها النزاعات الداخلية [21]. فنرى بعض المهجرين الذين طردوا من

كردستان بسبب ظروف سياسية غير مواتية ، يحاولون في سنجار إعادة تشكيل القبائل التي كانت تضمّهم في موطنهم الأصلي ، لكن قلة أعداد هؤلاء الأفراد الذين ينتمون إلى قبائل متعددة ، تحتّم عليهم أن يندمجوا في قبيلة واحدة. ومن أمثلة ذلك أن كل فرقة من فرق الموسقورا تتوافق مع قبيلة من قبائل بوطان ، وكذلك فإنّ قبيلة الفقراء التي استقرت في الجبل منذ ما ينوف على قرن ، تجمعت في اتحاد قوي تتألف بطونه من بقايا قبائل متعددة ازدهرت في كردستان فيما مضى.

أحياناً ، تحاول هذه البقايا أن تتحد لتواجه المعيشة مجدداً ، وهي كليّاً أو جزئيّاً ذات أصول سنجاريّة : مثلاً تضم قبيلة الدوخيان كلاً من الكولكان Golkan و الهسكان و الداوودية (من فرق بهرميان في كردستان).إن نمو القبيلة ينتج في حالة طبيعية عن ازدياد الولادات. وهذا ما حدث عند الغيران و السموقة منذ نصف قرن. غير أن معظم قبائل سنجار التي يزداد عدد أفرادها ، لا تدين بهذه الزيادة إلا لمساهمات المهاجرين المتكررة. وبعض رؤساء القبائل يتّبعون سياسات تجذب الغرباء إليهم.

تلك هي حال مسيخ بلّو (من السموقة) الذي توجد بين رجاله من خمس إلى ست عائلات من الدوخيان وعدد مماثل من الهسكان. أما أغاوا ت الميهيركان فقد استقبلوا على التوالي قسما من كلٍ من الهسكان المطرودين من بلد سنجار ، و العورية Ewerî' و الرشكان القادمين من كردستان ، كما استقبلوا بعض الشيعة من البشكان من أجل اعمار

أراضيهم الواسعة[22] . و قد أسكنوا كل هؤلاء المهاجرين في أراضيهم، وشجعوهم على بناء القرى [23] و الاشتغال بالزراعة [24]. أما داوود الداوود فلم يكن نصيبه من هؤلاء النازحين إلا قبيلة صغيرة جدا (يقال إنه ترك لها حرية العودة) ، تعوّضه عن قلة عدد رجالها امتيازات عديدة : فهو يعلم أن بإمكانه الاعتماد على إخلاص هؤلاء المهاجرين المدينين له بكل شيء و الذين يجعلون من قبيلته أقوى القبائل في جبل سنجار.

ومن المناسب هنا أن ندرس ، إلى جانب هذه القبائل التي يزداد عدد أفرادها بفضل حيويتها (السموقة والغيران) أو بفضل قدرة الجذب التي تمارسها على المنفيين و المهزومين (الميهيركان) ، تلك التي أخذ الضعف ينال منها شيئا فشيئا و أصبحت في طريقها إلى الزوال بعد الازدهار.

إن تاريخ الهسكان المضطرب يظهر لنا تقريبا جلّ الأسباب التي يمكن أن تقود قبيلة ما إلى الهلاك : أولا فقد أبيد عدد كبير من أفرادها بسبب انتشار الوباء فيها ، ثم انتزعت أراضيها من قبل جيران أكثر قوة منها ، وأخيرا ها هي الخصومات الداخلية تسير بها إلى الهلاك.

منذ عهد بعيد نسبيا [25] كانت قبيلة الهسكان غنية و كثيرة العدد ، وكانت تشكل إحدى القوى السياسية الرئيسية في سنجار. وكانت تشغل بلد سنجار كلها بما في ذلك الأراضي الخصبة المحيطة بها. وذات عام ، قضى الجفاف على جميع محاصيل الجبل. و أباد الجوع

والعطش أعدادا كبيرة من السكان. تمكن الهسكان وحدهم من البقاء بفضل المؤن المكدسة في مستودعات رئيسهم خلف خان علي. و جاء آغاوات الجوار يستجدون المؤن من هذا الرئيس ، لكنه ردهم خائبين بدافع من أنانيته التي أدت به إلى الضياع. فقد أرسل الله ملائكته [26] ، ذات ليلة ، إلى الهسكان لمعاقبتهم ، فأهلكوا جمعا كبيرا منهم. وأصبحت القبيلة تحت رحمة أعدائها نتيجة الضرر الكبير الذي لحق بها. وقد تحالف المنديكان ، الذين كانوا حينها يقطنون القرى الواقعة جنوب غربي بلد سنجار ، مع الهبابات و الغيران و شرعوا بشنّ الهجوم على الهسكان ، فهزموا خلف خان شر هزيمة. فما كان منه إلا أن جمع من بقي من رجاله و سلك طريق المنفى. نزل قسم من القبيلة عند الميهيركان ، أما القسم الآخر فقد تابع مسيرته باتجاه جرسة و التجأ إلى السموقة الذين ينزلون بتلك النواحي. لم تكد تمضي بضعة أعوام على نزولهم عند السموقة حتى ظهر صراع بينهم وبين مستضيفيهم. ومرة أخرى لحقت بهم الهزيمة ، ممّا دفع بهم إلى مغادرة الجبل و التوجه إلى السهل الواقع شمالي الجبل حيث بنوا لهم عدة قرى [27]. وهم حاليا عند منعطف جديد من منعطفات تاريخهم. فرغم قلة عددهم (حوالي مائتين وخمسين عائلة) تفرّقهم نزاعات لا تنتهي. و سنرى لاحقا كيف تنقسم القبيلة نتيجة صراعات الرؤساء إلى قسمين متخاصمين [28].

ثمة قبائل أخرى تقدّم أمثلة مشابهة : إن مغامرة المنديكان [29] تذكرنا بمغامرة الهسكان. إن الكوركوركان ، بأعدادهم المتناقصة إلى

حدٍ كبير و بفرقهم المتناثرة في أقضية الجبل ، يشكلون نموذجاً لجماعة استسلمت للانصهار في جماعات مجاورة أكثر حيوية منها ، وهم في طريقهم إلى الزوال.

وهكذا فإن الانقسامات والأوبئة والحروب هي النكبات التي أجهزت على القبائل وأودت بها إلى الهلاك بعد أن عاشت فترة ازدهار نسبية. إن الخصومات الدموية التي تفرق اليزيدية ، و حملات الإبادة التي تعرضوا لها في جبل سنجار منعتهم من التزايد بصورةٍ طبيعية؛ إن الأغلبية الساحقة من القبائل تدين بوجودها لموجات النازحين الذين يسعون إلى لمِّ شملهم ضمن قبائل موجودة سابقاً و يرفدونها بأعدادٍ إضافية. يبدو أننا أمام شعبٍ يقاوم الفناء بفضل التعزيزات القادمة من الخارج. وكم يخشى المرء أن يؤدي توقف هذه التعزيزات يوماً إلى فناء يزيدية جبل سنجار فعلاً !!.

هوامش الفصل الخامس :

(1) ليس أكثر من خمسة أو ستة بطون عموما.

(2) مع ذلك فإن أفراد البطن الواحد يمكن لهم أن ينفصلوا زمنا يطول أو يقصر ، إما باتفاق محض وإما نتيجة خلافات ، وأن يعيشوا حياة البداوة مع قبائل أخرى غير قبيلتهم ، أما عند الحضر فإن البطن نفسه يشغل عدة قرى أحيانا عندما يكثر أفراده.

(3) إن أسماء القبائل – باستثناء بعضها التي تتماثل أصولها – عصيّة على التفسير. ونلاحظ أن الكثير منها هي في الوقت ذاته أسماء أماكن تفيد في تحديد جماعة ما ومكانها الذي تخيم فيه معاً (السموقة ، الجفرية ، الهليجيان ، الميهيركا ،.... إلخ).

(4) سبق أن لاحظ أ. دو بوشمان A.de Boucheman (Cf. Les Saba'a) الملاحظة نفسها بخصوص الجماعات البدوية.

(5) ويحدث أيضاً أن يسبق هذا التزايد العددي التحضر ويؤدي إليه. فقد صرّح لنا السموقة أن تزايد عددهم الفعلي هو وحده الذي سمح لهم بإيجاد إقامتهم الدائمة في بارة وبالاشتغال بزراعة البساتين وتربية المواشي في الوقت ذاته. ويتقاسم أفراد العائلة العمل بينهم في كل ذلك.

(6) راجع أدناه ، الملحق 4 ، فرق السموقة الفرعية [أفخاذها].

(7) يندر أن تجد يزيديين قادرين على تعداد أكثر من خمسة أجداد (يعتبر المتكلم نفسه جداً على الطريقة الشرقية).

(8) لا ثأر لقتلى الحرب؛ إذ يفترض أن ينسيهم الصلح قتلاهم.

(9) لا توجد في سنجار قوانين دقيقة بهذا الخصوص كما هي عند البدو؛ فحسب رأي البعض تنحصر هذه المسؤولية المشتركة بالمنحدرين من الجد الرابع ، فيما يرى البعض الآخر أنها تتعدى إلى المنحدرين من الجد الخامس ، لكنها تشمل عملياً كل أفراد الفخذ.

(10) هذا هو الرقم الذي حدده لنا معظم مصادرنا ، وحسب رواية أخرى فإن الديّة تتأرجح بين 500 و 700 مجيدية. وهذه التغيرات تعزى فقط إلى المساومات وليس إلى اختلافات الطبقة الاجتماعية بين القبائل.

(11) ويمكن للمجلس أيضاً أن يختار شخصيّة تنتمي إلى عائلة أخرى (راجع أدناه ، الحياة السياسية).

(12) إن مثل هذه التدخلات من قبل الأمير نادرة جداً لدرجة أنه لا أحد في سنجار يعرف مثالاً عليها.

(13) في بعض القبائل القيادة العسكرية العليا لا تخص الآغا ، وإنما تخص أحد أقربائه ممن اشتهر بالشجاعة و الإقدام. وهكذا فإن داوود الداوود رئيس الميهيركان لا يقود شخصياً إلا الحملات الهامة جداً (ثورة عام 1935 مثلا). وعادة يقوم ابن عمه عديب 'Idêb بقيادة المحاربين إلى المعارك.

(14) خلف أحمد رئيس قبيلة السموقة يحتفظ لنفسه كل سنة بـ 10 – 15

(15) تسمى هذه الضرائب قمجور qemçor [qaçor]. وهي تصل عند السموقة إلى 1.5 مجيدية على 3 رؤوس من الغنم أو 3 آنيةٍ من السمن (سعة الإناء الواحد حوالي 3 كغ من السمن). و 1.5 قرش ذهبي على كل جزّتين من الصوف. أما عند الهبابات فيكون القمجور أقل من ذلك : 10 أوقيات بن على كل 100 جزّة صوف ، و مجيدية على كل 4 رؤوس من الغنم ، و 1.5 مجيدية على كل 4 آنية من السمن. وكل هذه الحقوق يتحمل المشتري أعباءها.

(16) تقسّم هذه العطايا لدى السموقة كما يلي : وجيه الأوسكي يتلقى من 50-60 مجيدية ، وجيه الخليفا 30 مجيدية ، وجيه الكوركوركان 40-50 مجيدية ، وجيه الغيران لا شيء تقريباً. أما وجيه العلي جرمكان الذي انشق عن رئيسه فلم يحصل على شيء عام 1935م ، وعندما كان على وفاق معه كان الأخير يخصه كل سنة بحوالي 100 مجيدية.

(17) على سبيل المثال حسين مطو Ḥisênê Metto عمّ خلف أحمد ، لدى السموقة.

(18) هذا الاختصاص وراثي في بعض العائلات. والحكام الأشهر هم : مراد إبراهيم من الهليجيان وخلف لوكو من المنديكان وحسين عبدى من الجدارا Cidara.

(19) يقصد السموقة حينها مراد إبراهيم.

(20) تقول إحدى الروايات أن السموقة و الكوركوركان كانوا فيما مضى يخيمون جنباً إلى جنب في جرسه وكانت أعدادهم قليلة جداً (بضع خيم بالجملة). ومن الصعب أن نعرف إن كانوا يشكلون قبيلة واحدة تجزّأت فيما بعد ، أم كان ذلك تعايشاً على غرار التعايش الذي حصل بعد ذلك بين السموقة و الهسكان (راجع أدناه ، ص 170).

(21) نكاد نعدم أي معيار نستبين به أصل فرقة ما. فالوشمات و أزياء الحرب تزودنا بمعلومات قيّمة جداً لدراسة القبائل البدوية ، لكنها هذه العلامات فردية عند اليزيدية ، وبالتالي لا تقدم أي توضيح. ومع هذا نستطيع أن نستنتج بعض الإشارات من أسماء عائلات الشيوخ التي تتبع لها الفرق المختلفة لقبيلة ما. والحقيقة أنه من المعروف أن كل عائلة من هذه العائلات " تملك " وراثيّا مجموعة من المريدين. وبالتالي لا تعتبر أيّة قبيلة منسجمة بحقّ ما لم تكن جميع بطونها تابعة لفئة واحدة من الشيوخ : فمثلا كل فرق الغيران تتبع لأحد شيوخ فرخدين عدا فرقة الشافي و البافي Şavî û Bavî التي تتبع لأحد شيوخ مند Mend. علينا ، إذن ، أن نفترض أن أصل هذه العشيرة يختلف عن أصل باقي فرق القبيلة. و حسب القائمة التي قمنا بوضعها ، تشكل القبائل السنجارية التي تتبع لنفس العائلة من الشيوخ استثناء و ليست قاعدة (راجع أدناه ، الملحق 5).

(22) يملكون بشكل خاص كل المنطقة الممتدة إلى شرق خط نخسي كنّي .Nexsê-Gennê

(23) زروان و بارانا و سوركه و باخليف.

(24) في أيامنا هذه يستخدم شيوخ البدو في الجزيرة السورية الطريقة ذاتها لاستثمار الأراضي الممنوحة. فهم يجذبون إلى قراهم الحضرية كل المنفيين الذين يجدونهم : لاجئون أكراد أو حتى يزيدية.

(25) لا شك في نهاية القرن الثامن عشر.

(26) هي ملائكة مختصة بهذا النوع من الهجمات ،تدعى "قل" Qil[Qir]. لاشك ان للحكاية صلة بنوع من الوباء.

(27) هي سنائيك و گنه Gennê و گوهبل فيما بعد.

(28) راجع أدناه ، الحياة السياسية.

(29) راجع أعلاه ، ص 137، الهامش رقم (1).

الفصل السادس

الحياة السياسية

إن دراسة بنية القبائل اليزيدية والتغييرات التي تتعرض لها جعلتنا نستشف قبلاً أهمية الصراعات السياسية التي تدور في سنجار. وسنسعى في هذا الفصل إلى إيضاح طبيعة هذه النزاعات، الأمر الذي يقودنا تباعاً إلى دراسة خصومات التحزّب ضمن كل قبيلة والعلاقات بين القبائل وأخيراً الدور الذي يلعبه الغرباء من الأكراد والعرب والشيشان في شؤون الجبل.

السياسة الداخلية للقبائل

ليس ثمة جماعة في الجبل كله ، لا تمزقها الخصومات العنيفة جداً والتي تصل إلى حد سفك الدماء. بصورة عامة ينقسم أفراد كل قبيلة إلى ائتلافين[1] متساويين في القوة يترأس أحدهما الآغا الشرعي والآخر يترأسه منافسه ، ويجمع كل من الخصمين حوله عدداً من الأنصار المغرر بهم ، يثبتون على إخلاصهم لدعواه ، إلا أنّ بعض العناصر

تتغيّر جهة و لانهم وفقاً للمصالح المأمول فيها ، فيشكلون بذلك المساعدة التي تتبع لها الأكثرية و الغلبة. بعض الوجهاء الصغار الذين هم أضعف من أن يلعبوا دوراً رئيسياً ، يستغلون هذه الخلافات للحصول على نفوذ أوسع. و هؤلاء هم الذين يديرون اللعبة السياسية على الأغلب. وعند السموقة ظهرت شخصيّة مثل حسن علي آغا بمظهر ناخب كبير بفضل دهائه و عطيّاته المحسوبة ببراعة. فهو الذي يعقد التحالفات ويحلها ، و إذا ما راهن على مرشح فإنّ نجاحه شبه مؤكد. ولنا أن نتصور ما يمكن أن يجلب مثل هذا الموقف لرجل الدسائس هذا ، ولنا أن ندرك أيضاً أنه لا يتوانى عن تعريض مكانته للخطر عندما يدخل شخصيّاً في مسابقات مع غيره للحصول على السلطة بالمكر و الحيلة. هذه الأحقاد المتوارثة و الخصومات الشخصيّة تتداخل بشدّة مع المنافسات الاجتماعية و الاقتصاديّة ، و غالباً ما يفرض الوضع المادي لأفراد العشيرة الموقف المحافظ أو الموقف الثوري الذي تتخذه هذه العشيرة أو تلك. فعند قبيلة السموقة ، تشكل عشيرة المحمودي ، رغم وضعها المادي الذي بالكاد يفوق الوسط ، البطن الإقطاعي للقبيلة ، وتمثل ما يمكن أن ندعوه " الجماعة الملكيّة ". إنها ، من جهة مدعومة بالعشيرة الأكثر فقراً من بين كل عشائر القبيلة ، أعني عشيرة الكوركوركان ، ومن جهة أخرى تدعمها العشيرة الأغنى ، أي الأوسكي. وقد تحول الكوركوركان بسبب فقرهم المدقع إلى موالٍ للمحمودية ، أما بالنسبة للأوسكي فإنهم قد يفقدون كل شيء إذا ما حدث اضطراب ما. وفي قلب

المعارضة نجد عشيرة العلي جرمكان خصوم المحمودية بتطلعاتهم السياسية و الأوسكي بطموحاتهم الاقتصادية [2].

أما بالنسبة للغيران الذين يقتربون في فقرهم من الكوركوركان، فإنهم مأجورون للدفاع عن مصالح العلي جرمكان. وأما البطن الأخير من القبيلة ، أي الخليفا ، فهم الذين يتحدون مع كلتا العشيرتين بمقدار متساوٍ من المصالح ، فهم ينتقلون من معسكر لآخر حسب الظروف [3].

ومن المناسب هنا أن نوضح أن مثل هذه التحالفات التي عرضنا لها آنفاً قلما تدوم ، فتشكيلها يتغيّر بصورة مستمرة ، إذ تنحل بسرعة كبيرة أحياناً لتنعقد تحت شكل آخر.

إنّ نزاعات العشائر هذه لا تبقى محصورة في القبائل التي تولد فيها ، وإنما تنتقل من قبيلة لأخرى وتوجّه تشكيل شبكة من التحالفات غالباً ما تكون شديدة التعقيد. فكل رئيس يسعى إلى كسب ودّ جيرانه ، سواءً بالهبات أو بالمصاهرات [4]. وإذا ما أراد أحد الأغاوات إضعاف آغا عشيرة أخرى منافسة لعشيرته فإنه يعتمد على من يعارضه من الوجهاء ، وإذا لم يرَ بداً من نجدة أحدهم في حالة الصراع ضمن عشيرة ما ، فإنه يقدم العون للآغا الشرعي : وهكذا يحتفظ خلف أحمد (من السموقة) بعلاقات ممتازة مع عديله مراد أوسمانا من الجفرية رغم انقلاب خليل خضر خلا عليه ، وهو كذلك على علاقة جيدة مع حسن حشور من الدوخيان. وهؤلاء الثلاثة ، أي خلف أحمد ومراد أوسمانا وحسن حشور ، يشكلون نوعاً من التحالف المقدس ، مكرّساً لعرقلة

القوى الثورية التي يمثلها على الترتيب ضمن قبائلهم كل من مسيخ بلو وخليل خضر وسليمان عيدو. وبالمقابل ، فإنهم لا يخشون من دعم عدوهم السابق كمو عموكا (من الهسكان) الذي خلعه شيخ خليل عن منصبه. ومن جهته ، عاد هذا الأخير إلى اتباع السياسة التقليدية لرؤساء الهسكان ، التي تعتمد على تشجيع المتمردين من قبائل السموقة والجفرية و الدوخيان المعادية لهم.

وهكذا نشهد ازدواجيّة حقيقية لكل جماعة يزيدية ، إذ يستعين كل طرف في حالة الصراع المسلح بحلفائه من الخارج : والمهزومون يجبرون على الرحيل إذا لم يرضوا بالصلح ، فيقصدون حلفاءً من الجيران من أجل التحضير لثأرهم ، فيلقون الدعم منهم وعندما تحلّ ساعة الثأر ينضمون إليهم لمباشرة القتال. وهذه المبادلات الدائمة للساخطين من قرية إلى قرية تؤدي إلى ظهور مشاهد غريبة : فليس من النادر أن ترى بطون قبيلتين متفرقتين مؤقتاً بسبب النزاعات الداخلية ، تجتمع وفقاً لولاءاتها الحقيقية وتشكل اتحادات تتقاتل فيما بينها خلال عدة أشهر ، وفجأةً يحتكم الجميع إلى الصلح فيعودون إلى بيوتهم ويستأنفون حياتهم السابقة.

إنّ مثل هذه الحوادث كثيرة الوقوع لدى الغيران و السموقة. فمنذ حوالي خمسين عاماً ، ادعى سولاغ ، رئيس الشافية و البافية ، بعد أن أصبح تقريباً بقوّة مولاه ناصر ، آغا الغيران ، أنه أجبر هذا الأخير على التنازل له عن نصف الإتاوة التي تدفعها القبيلة له. إلا أنه لم ينجح

في فرض إرادته ، وما كاد يفقد الحظوة الأولى حتى التجأ إلى قبيلة السموقة التي كان رئيسها حليفاً له. وفي الوقت ذاته انشق العلي جرمكان عن السموقة ، وانتقلوا إلى جوار الغيران ، فكان لا بد من القتال. وبعد حملة دامت لمدة شهر ، هزم الغيران والعلي جرمكان . وتصالح ناصر مع سولاغ ، أما العلي جرمكان فعادوا من حيث أتوا بعد أن قبلوا سلاماً مجحفاً بحقهم.

قد لا نستطيع أن نعطي صورة أفضل لنزاعات الفرق ضمن القبيلة الواحدة ، ما لم نلخص تاريخ السموقة ، ذلك أن هذه النزاعات عنيفة لديهم على نحو خاص.

ولد النزاع في هذه القبيلة نتيجة تنافس جماعتي مالا لعلو (الفخذ الذي ينتمي إليه الآغا الشرعي) ومالا إبراهيم من المحمودية على انتزاع زعامة القبيلة.

وقد تقاتل رؤساء الجماعتين خلال سنوات عديدة دون أن يحقق أحد الطرفين نصراً حاسماً ، وتناوبوا فيها على السلطة لفترات قصيرة جداً[5].

دام التنافس طويلاً بين مطو شيبو Metwê Şîbo (مالا لعلو) وبللو حجو Bello Hicco (مالا إبراهيم) المدعوم من العلي جرمكان، دون أن يفضي إلى استلام أحدهما للسلطة. وعلى إثر ذلك كشف رئيس العلي جرمكان ، ملحم علي آغا ، عن طموحاته التي عرف كيف يحققها لمرات متوالية. وأصبح التنافس منذ ذلك الحين بين ثلاثة أطراف بدلاً من طرفين.

وقد احتدم النزاع بين كلا المطالبين بالسلطة من عشيرة المحمودية. فاضطر بللو إلى البحث عن النجدة من الخارج ، فأمضى ثلاث عشرة سنة منفياً عند الهسكان برفقة بعض أنصاره.

طوال هذه المدة كان بللو يحارب خصمه الذي كان يعتمد على باقي القبيلة وعلى الجفرية.

كان العون يأتيه خلال حملاته من الهسكان ومن الغيران الذين كانوا يعادون السموقة في تلك الفترة. وأخيراً ابتسم له الحظ وعاد ظافراً إلى مخيم بارا.

إلا أن تحالفاً آخر تشكل ضد بللو ، فهرب من جديد ورافقه العلي جرمكان ملتجئين إلى الغيران. وقد حقق نجاحاً ثانياً سمح له بالإطاحة بـ مطو شيبو ، لكن سرعان ما انحسر دوره. فقد تخلى عنه ملحم فجأة بعد أن ملّ من دوره كمعاون بارز ، واستولى على السلطة. عندها أحسّ كل من بللو و مطو بضرورة الاتحاد من أجل استعادة سمعة أسرتيهما المعرّضة للخطر.

على أن حادثاً مضحكاً فجر قضية خطيرة ، فقد قتل شخص من العلي جرمكان كلب شخص من الخليفا ، فأسرع صاحبه إلى قتل الرجل انتقاماً للإهانة التي لحقت به. أما ملحم الذي تناقصت شعبيته كثيراً فقد كان يشكك في نجاحه في المعركة لذلك رحل مع رجاله إلى قويصة Quwêsa ملتجئاً إلى الموسقورا. وبهذا استعاد مطو مركزه السابق.

لم يعتبر العلي جرمكان أنفسهم مهزومين. وذات ليلة أغار فرسانهم بغتة على رعاة المحمودي واستولوا على ماشيتهم برفقة عرب ثابت

Tabit وعرب عيسى عوين من البكارة فقام صفوك Sevûk بن مطو ومعه شمو عمر (من الخليفا) و بللو حجو ومحاربون آخرون متعقباً آثار المغيرين ، واستعاد نصف الأغنام المنهوبة وطاردوا الناهبين حتى وصلوا إلى خاني سور ، وهناك جرت مناوشة قصيرة قتل فيها صفوك على يد عيسى عوين [6]. تكررت مناوشات من هذا النوع خلال أربع أو خمس سنوات ، وبقي بللو مخلصاً لـ مطو. توفي بللو ، فسار ابنه مسيخ Misîx على سياسة أبيه السابقة ، إذ تشاجر مع ابن عمه وانضم إلى ملحم لتنظيم غارة على الخليفا.

وقد حاول مطو الذي كان يبحث عن حل أن يضرب ضربة كبيرة، فتحالف مع الدوخيان والفقيران من ملك Millik ، وفاجأ العلي جرمكان في المراعي ، حيث جرح سبعة من رجالهم ونهب أربعمائة رأس من الغنم. تهيأ مسيخ و ملحم للأخذ بثأرهما ، وفي سرية تامة خيّما غربي جفا Caffa بقليل. كان السموقة آنذاك في جريبة. ولم يلحظوا وجود خصومهم. وبينما كان أحد رعيانهم يبحث عن قطيعه ، وجد نفسه فجأة محاطاً بفرسان من العدو يقتادونه إلى مسيخ. وفي تقلب غريب ، استقبل مسيخ الراعي بلطف وود وكلفه أن يقدم لـ مطو عرضاً للصلح. كان الطرفان قد تعبا من هذه الحروب المستمرة وغير المجدية ، لذلك توصلا بسهولة إلى إبرام اتفاق. ونسي كلا الطرفين كل ما جرى في الماضي. كما استرد العلي جرمكان أغنامهم وعادوا إلى قبيلتهم الأصلية، غير أن المصالحة لم تدم طويلاً. فقد كانت بضع سنوات كافية لـ مطو ليعكر صفو القبيلة كلها. واتهم مطو بالتآمر مع الأتراك ، ولم

يبق على ولائه سوى الخليفا. وقد تقرب مسيخ من عموكا رئيس الهسكان وحصل على وعد منه بأن يقدم له العون والدعم. وفعلاً وفى الآغا بوعده، فانضم إليهما عدد كبير من المتطوعين من الهسكان والدوخيان والهليجيان. حمي وطيس المعركة طوال النهار ونجح المحمودية و الخليفا رغم قلة عددهم في التغلب على خصمهم مسيخ، فقتلوا بعض رجاله و جرحوا البعض الآخر [7]. وعندما حلّ الظلام وجد أنصار مسيخ أنفسهم غير قادرين على المضيّ في المقاومة. ففروا عبر ممرات جبل سنجار إلى مضارب الغيران، ومكثوا حوالي عشرة أعوام في سكينية، بعدها تصالح مطو مع مسيخ واعترف به رئيساً للقبيلة وعاد إلى بارا.

ظلّ الخليفا سهلي القياد، إلاّ أنه لم يعد بمقدورهم أن يخيموا طويلاً عند مستضيفيهم الذين تصالحوا بدورهم مع السموقة، ولهذا قصدوا مضارب الهبابات. تشاجر عموكا مجدداً مع مطو، فقدم الحماية حينئذٍ للخليفا الذين ذهبوا للإقامة عند الهسكان. و خلال خمسة أعوام قدموا لهم كل أنواع العون في غاراتهم على السموقة.

أخيراً استفاد حمو شورو * Ḥemo Şoro، الذي أصبح " باشا الجبل " بفضل الإنكليز، من علاقاته الجيدة مع شمو عمر، رئيس الخليفا، وأقنعه بالتصالح مع خصومه.

---

* في كتاب اليزيدية للدملوجي اسمه حمو شيرو (انظر صديق الدملوجي، اليزيدية، الموصل، مطبعة الاتحاد، 1949 م، ص 262). المترجم.

عاد الخليفا إلى القبيلة، لكن من أجل تأجيج الشقاق فيها، فهم لم يغفروا لـ مطو تخليه عنهم وتحالفوا مع الأوسكي والعلي جرمكان والغيران ودفعوا بـ مسيخ إلى السلطة.

لم يتمكن الإنكليز من إحلال السلم أكثر من الأتراك، فالمنافسات وإن خفت جلبتها فقد ازدادت حدّتها. وشهدت السنوات القليلة الأخيرة صراعات عنيفة بين أحمد مطو (خليفة مطو) من جهة ومسيخ بللو و حمو ملحم من جهة أخرى، ثمّ بين خلف أحمد (حفيد مطو) وهذين الأخيرين الذين تناوبا على الصداقة والعداوة. وفي نيسان من عام 1936 كان مسيخ وحمو يخيمان مع جمع من أنصارهما على حدة، فاتهما خلف أحمد بإبرام اتفاق مع السلطات العراقية وادعيا أن هذه السلطات كلفته أن يحكم القبيلة بالمشاركة معها. وفي شهر حزيران من العام ذاته تمّ إلقاء القبضِ على حمو. لا شكّ في أنّ اعتقاله سهّل قليلاً آلية السياسة الداخلية للسموقة.

إنّ تاريخ السموقة رغم كونه معقداً ومشوشاً، يبدو لنا أوضح نسبياً بالمقارنة مع النزاعات التي دارت لدى الخالتي أو لدى الموسقورا. فعند هاتين القبيلتين، لم يعد النزاع بين ثلاثة أطراف، بل إن عدد الأطراف المتنازعة أصبح بقدر ما في القبيلة من عائلات.

السموقة من الخوركا وهم رحّل، بمقدورهم إنهاء قضايا الثأر بدفع الديّة، والأشهر الطويلة التي يقضونها تحت الخيام بعيدين عن بعضهم بعضاً، كفيلة بأن تنسيهم الأحقاد. وعلى عكس السموقة، فإن سكان

شرقي الجبل من الجنوية و هم حضر ، ولا يسمح لهم إزالة آثار الدم إلا بالدم ، فهم يبقون طيلة العام في قراهم ويلتقون بأعدائهم كل يوم وجها لوجه. ويمكن أن نتصور كم هي عنيفة أحقادهم وكم هي عديدة فرص إشباعها وإرضائها. ويقال إن الناس في طيرف وفي علدينا يجلسون على أسطح منازلهم ويتبادلون الشتائم وطلقات البنادق حتى الصباح.

السياسة بين العشائر

وسط الصداقات المتغيرة والأحقاد العابرة التي تؤلف التاريخ الداخلي لسنجار ، نتوصل إلى تمييز خصومات أعم من تلك تتعارض فيها فرق القبيلة الواحدة مع بعضها بعضاً.

إن بعض الأحقاد تجعل قبائل كاملة ، بل تجعل تجمعات قبائل في صراعات ومواجهات. ورغم أنه لا توجد في جبل سنجار اتحادات أو تحالفات دائمة ، فإن بعض القبائل بسبب موقعها الجغرافي أو بسبب الحالة الخاصة لقواتها تتجه إلى التحالف مع بعضها عند الضرورة.

أما القبائل الأضعف التي لا تستطيع مقاومة جيرانها الأقوياء ، فإنها تضطر إلى قبول التبعية كأمر واقع. وكذلك تميل بعض القبائل القوية المتباعدة والمنفصلة إلى الاتحاد لمحاصرة خصم مشترك بينها.

هذه السياسات الأولى التي قاوم تماسكها العديد من الحروب ، هي التي جمعت الجفرية و الهليجيان حول السموقة. أما الهسكان ، الخصوم التقليديون للسموقة ، فهم يعتمدون على الكوركوركان.

وأما الدوخيان ، الحائرون بين هذين الإتحادين ، فإنهم يرون أنفسهم مطلوبين من كلا الطرفين ، ومع أنهم من طبيعة مسالمة ، فإنهم يضطرون إلى دعم هذا الطرف تارة وذاك الطرف تارةً أخرى.

وعند الجنوية اضطر البكران و المنديكان إلى قبول وصاية الميهيركان منذ أمد طويل

إن القوات الإضافية التي يزود بها التابعون القبائل المهمة لا تسرها، لكن هذه القبائل تسعى إلى أن تضمن لنفسها دعم القبائل الأبعد ضد خصومها. كان الهبابات يجدّون أثناء نزاعاتهم المستمرة مع المنديكان و الميهيركان في إلحاق الهزيمة بخصومهم على أيدي الخالتي و الموسقورا . وكان الميهيركان ، من جانبهم ، يستعينون بالهسكان من أجل إعادة التوازن.

إن هذه التحالفات ، مثلها مثل التحالفات التي تتشكل داخل كل قبيلة، ليست على شيء من الثبات والديمومة. فالآغاوات يتقلبون في محبتهم وفي حقدهم وعوضاً عن أن تقودهم مصالحهم الحقيقية ، يتهافتون على المصالح الآنية التي تحققها لهم حملات السلب والنهب. وغالباً ما نرى أصدقاء الأمس يتشاجرون ويتقاتلون على الرغم من أن مصالحهم تلتقي في التوحد في مواجهة أعدائهم اللدودين ، فمثلاً دخل الهسكان في صراع مع الموسقورا بعد فترة من طردهم من جرسه على أيدي السموقة ، وكانت ردة فعلهم الأولى الاستنجاد بجيرانهم السابقين الذين وافقوا على دعمهم بالسلاح.

بصورةٍ دورية يقود حدث مهم ذو آثار ملموسة للجميع إلى تجمع سياسي للقبائل : رحيل الهسكان الذين طردوا من مدينة " بلد " وكذلك رحيل المنديكان فيما بعد ، اقتضى فتح عهد جديد في تاريخ سنجار.

وفي أيامنا الحالية ، أجبر الصراع الذي دام طويلاً بين داوود الداوود وحمو شورو ، الآغاوات على التحزب ، كذلك أدت مسألة الخدمة العسكرية والثورة الأخيرة بدورهما إلى تغيير الوضع السياسي للجبل.

الزعماء الدينيون

عندما ندرس الحياة السياسية لقبائل جبل سنجار ، يدهشنا الدور الكبير الذي تلعبه السلطات الدينية فيها. وما يسهل تدخل هذه السلطات في الحياة السياسية هو النفوذ الواسع الذي تتمتع به ، وقد استغل عدد من الشخصيّات المقدّسة نفوذهم للاستيلاء على السلطة الدنيوية [8].

إن أبرز شخصيتين دينيتين حالياً هما شيخ خلف ناصر وشيخ خضر عطو [9] اللذان يتشابه مصيرهما تشابهاً ملحوظاً. كلاهما ليس من السكان الأصليين لسنجار ، وقد جاء والداهما من الشيخان في الفترة ذاتها تقريباً ، فاستقر والد شيخ خلف عند الهسكان ، بينما استقر والد شيخ خضر عند الغيران. اكتسب كلاهما شهرة واسعة خلال فترة وجيزة بفضل ما أظهراه من ورع و مواهب خارقة. أغرتهما السياسة فانخرطا فيها ، لكن وضع شيخ عطو كان أكثر ملاءمة ، إذ استطاع

بسهولة أن يظهر بمظهر الحكم في قبيلة مجزأة إلى حدٍ كبير كقبيلة الغيران. أما شيخ ناصر فكان عليه أن يتبع وسيلة أخرى لأن الهسكان كانوا أقل تجزئة. وعمل شيخ ناصر على أن يجمع حوله جمعاً من الأنصار المتعصبين سواءً من " سنانيك " ذاتها أم من القرى المجاورة لها. وعندما وجد نفسه قوياً بما يكفي قطع علاقته بشكل نهائي مع عموكا وراح يبني قرية كوهبل Gohbel. استمرت هذه المستعمرة الصغيرة في الاتساع والكبر ، ووصل عدد بيوتها اليوم إلى أكثر من مائة بيت بينما تجاوز نفوذ شيخ خلف ، ابن شيخ ناصر ، نفوذ كمو عموكا ، وكان أكثر دهاءً منه فعرف كيف يجعل الحكومة تعترف به كآغا للهسكان.

أما شيخ خضر ، ابن شيخ عطو ، فقد انتصر بسهولة ويسر ، ذلك أنه عندما توفي ناصر رئيس الغيران ، لم يكن هناك من يخلفه سوى ابنه عبد الله الذي كان صغير السن ، فاستغل شيخ خضر خلاف الوجهاء وجعل نفسه مؤتمناً على إدارة شؤون القبيلة إلى أن يكبر الوريث الشرعي. واليوم يبلغ عبد الله الخامسة والعشرين من عمره ، لكن الشيخ ما يزال يحتفظ برئاسة القبيلة. على أن قيادته كانت فأل خير على القبيلة ، فهو لعدم كونه من وجهاء أية فرقة أو أية عشيرة ، يبقى فوق نزاعات التحزب ويحكم دون انحياز لأحد. ومنذ أن بدأ بممارسة الحكم ساد الوفاق في القبيلة ولا زال سائداً على الأقل ظاهرياً.

وفي حين أن شيخ خضر وشيخ خلف لا يغذيان إلا طموحات متواضعة نسبياً ، فإن زعماء دينيين آخرين حاولوا فرض سيطرتهم على جبل سنجار كله وقد اقتربوا من تحقيق ذلك.

أقدم محاولة من هذا النوع ، والتي ما زالت ذكراها ماثلة في الأذهان هي محاولة الكوجك ميرزا : هذا الرجل جاء هو الآخر من الشيخان واستقر في " بكران " وبدأ بالوعظ فيها ، في البداية أحدثت فضائله و كراماته في المنطقة ضجة كبيرة ، وكان الناس يأتونه من كل أنحاء الجبل ، وكان يعلن هلاك الإسلام والسيادة القادمة للعدل ، أي سيطرة اليزيدية على العالم أجمع. غير أن المعجزات التي كان يعد بها هذا النبي الزائف طال انتظارها ، وانفضّ المتحمسون من حوله شيئاً فشيئاً ، وعندما قبضت السلطات التركية عليه لم يبالغ أحد في إظهار تأثره باعتقاله.

وإذا كان الكوجك ميرزا لقي نجاحاً محدوداً ، فإن حظ الفقير حمو شورو من النجاح كان أوفر من حظ الكوجك ميرزا. لم يكن حمو شورو من سكان سنجار ولا من سكان الشيخان الأصليين ، بل كان من كردستان [10]*.

هناك كان لشورو والد حمو تأثير كبير عليهم إلى حد أنهم اعترفوا به زعيماً عليهم.

* يرجع الدملوجي أصله إلى عشيرة الدنادية في الشيخان (راجع الدملوجي ، م.س ، ص 262). المترجم.

اشتهر حمو في معارك مختلفة ضد الأتراك ، فساهم بذلك في إقبال الطالع على الفقراء أكثر فأكثر. و اغتنى الفقراء وأصبحوا مرهوبي الجانب من الجميع ، وزادت قوتهم حتى أصبحوا قبيلة قادرة على التنافس مع أكثر القبائل ازدهاراً. وجاءت الحرب العالمية الأولى لتدفع بهم إلى القمة. وعيّن حمو شورو ، بناء على اقتراح اسماعيل بك "ممثل الحكومة " في سنجار [11]، لكنه ما لبث أن فقد شعبيته بسبب غروره وعقليته المتسلطة [12].

وقد توفي منذ عدة أعوام عن عمر يناهز المائة عام. لم يرث عنه ابنه خوديدا نفوذه. ولم يحتفظ إلا بظاهر سلطة يعود فضلها إلى حماية السلطات العراقية له ، وهو الذي أخلص لهذه السلطات أيما إخلاص. لكنها ، أي السلطات العراقية ، لم تحسن مكافأته على استقامته وإخلاصه ، فاعتقلته في شهر نيسان عام 1936 م.

وفي هذا العام كان أحد منافسي الكوجك ميرزا يقوم بدعاية ضعيفة في الجبل ، ولكن ما كان يبدو أنه سيكتب لها النجاح. على أن اليزيدية الذين أثيروا بحدة ، كما هي الحال في ذلك الوقت ، والذين عزموا على دفع حياتهم ثمناً لاستقلالهم ، كانوا مستعدين لأن يتبعوا بما يكفي من القناعة أول رجل يملك رؤية تبشرهم بالحرب المقدسة. وإذا ما اندلعت ثورة جديدة ، فلن يقودها رئيس قبيلة ، بل سيقودها " مهدي " منتظر يكون وحده القادر على فرض نفسه على الجميع [13].

على الرغم من الوحشية التي اتسم بها العهد العثماني ، فإن التدخلات الحكومية بقيت ، إلى أن تم تثبيت " الوصاية "، دون تأثير كبير على الحياة السياسية لسنجار [14]. ومنذ وقت ليس ببعيد ، كانت طبيعة العلاقات التي تقيمها اليزيدية مع الشعوب المجاورة (مسيحيين أو مسلمين) أهم في نظرهم من طبيعة علاقاتهم مع ممثلي السلطة المركزية. كان سكان الجبل دائماً على علاقات ممتازة مع مسيحيي قرى ما بين النهرين [15] : وكانوا يفضلون اللجوء إليهم في اتفاقاتهم السياسية وصفقاتهم التجارية مع الخارج [16] : والغيران و السموقة كانوا يجدون أنفسهم على الدوام في علاقات تجارية مع تجار الحسكة المسيحيين.

إن اليزيدية تفصلهم عن باقي الأكراد مساحة شاسعة من البادية ولا تربطهم بهم إلاّ علاقات محدودة [17] ، ومع هذا فإن المأثور الشعبي يحتفظ بذكرى غزو الميهيركان على الميران الذين كانوا يخيمون حينذاك في قره چوغ ، وقد لقي سبعون يزيدياً حتفهم أثناء هذه الغارة. وبعد ذلك بوقت قصير تحالف زعيم الميران بدر آغا مع بعض شيوخ القبائل العربية ، وانطلق يبحث عن حسين دوبلين زعيم الجبل بعد أن وجّه له إنذاراً مهيناً. فاجأ حسين دوبلين بدر آغا في وادي الخنزير وألحق به الهزيمة. اكتفى الطرفان بهذه التجربة المريرة لكليهما ، واستقر رأيهما بعد ذلك على أن الحكمة تقتضي تجاهل ما جرى بينهما[18].

كان الشيشان في رأس العين ، يشكلون فيما مضى خطراً حقيقياً على اليزيدية ، فيشنون الغارات على السموقة و الهسكان و الغيران، مما اضطر هذه القبائل إلى التحالف مع بعضها درءاً لهذا الخطر. وكانت المعارك التي تنشب بين الطرفين ضارية ، ويشترك فيها غالباً عدد كبير من المقاتلين ، ولم يكن النصر فيها دائماً حليف الشيشان. وآخر غزوة قام بها الشيشان على الغيران كانت نحو عام 1910 م.

أما علاقات اليزيدية مع البدو فهي أكثر انتظاماً وثباتاً ، وليست عدائية بالضرورة. حيث أن عرب الجزيرة يأخذون من بلد سنجار مؤونتهم من الغلايين والتبغ، ويزودون مقاتلي جيرانهم اليزيدية بالأسلحة والذخائر [19].

وبالمناسبة فإن بعض الاتفاقات السياسية ، يمكن أن تتم بينهم ، وكثيراً ما نرى أحد آغاوات اليزيدية يستنجد بشيوخ قبائل عربية [20].

وإن اعتداد البدو بأنفسهم يقضي بأن تستمر هذه الصداقات حتى في أوقات الخصومة : [فمثلاً] عندما شارفت الحرب العالمية الأولى على نهايتها ، قام عبيد الخدعان شيخ الخرسا بمساعدة اسماعيل بك للوصل إلى بغداد طلباً للنجدة من الإنكليز [21]. ومنذ عهد قريب استقبل دهام الهادي ، شيخ الشمَّر في الجزيرة السورية ، داوود الداوود إثر هزيمته وفراره من سنجار [22]. بيد أن هذه المودة بين اليزيدية والعرب ليست قويّة ، وتقف عند الحدود التي يلزمها كلا الطرفين [23] ، وعند أول فرصة سانحة تعود الكراهية الدينية القديمة التي تفصل الشعبين إلى

الظهور من جديد. كما أن الأتراك يتوصلون دائماً بسهولة ويسر إلى إثارة البدو ضد سكان الجبل [24]. ومن جهة أخرى، فإن اليزيدية ليسوا لقمة سائغة، وهم يواجهون بشجاعة حملات النهب التي تستهدفهم، بل إن اليزيدية غالباً هم الذين يشنون الحملات والغارات دون أن يكونوا قد تعرضوا للإثارة أو الاستفزاز [25].

لكن، عندما يتم التوصل إلى تسوية تنهي الحرب بين العرب واليزيدية، هل يدفع المهزوم إتاوة (خوّة بالعربية و xûkî بالكردية) للأقوى كما هي العادة في الصحراء؟ إن هذه نقطة يصعب توضيحها. والحق أن الناس لا يحبون الإقرار بالخضوع لمثل هذه التبعية، لكنهم يتباهون بفرضها على جيرانهم. وهكذا يقال إن الميهيركان كانوا يأخذون الإتاوة من قبائل الشمّر و طي و الجبور. لكن العكس يبدو لنا معقولاً أكثر [26]، فمن المؤكد أن أغلب آغاوات جبل سنجار ظلّوا حتى زمن قريب يدفعون الإتاوة لبعض شيوخ البدو، أو على الأقل لشيوخ الشمّر [27]. ومن الطبيعي أن تؤثر علاقات سكان الجبل الكثيرة مع العرب على حياتهم اليومية، خاصة وأنهم، في حلٍ وترحالٍ دائمين، مثلهم في ذلك مثل كثيرين غيرهم في الشرق وإن آداب اليزيدية في التعامل تشتمل على الكثير من القواسم المشتركة مع العادات المستخدمة في الصحراء. كما أن لهجة سنجار متأثرة إلى حدٍ كبير بالعربية، وقد استعارت منها مفردات كثيرة. وأخيراً فإن الأزياء البدوية شهدت منذ نهاية الحرب العالمية الأولى انتشاراً واسعاً في الجبل، وخاصة لدى

الأسر الميسورة التي يضطرها وضعها إلى إقامة علاقات مستمرة مع الشعوب المجاورة [28].

* * *

إن كون اليزيدية محاطين بالخصوم حكم عليهم أن يتعرضوا للقتل الجماعي والمذابح المتكررة، ورغم هذا الخطر المشترك الذي يهددهم جميعاً، فإنهم نادراً ما يتوصلون إلى الاتحاد لمواجهة أعدائهم في الخارج، بل إنهم يجعلون الخلافات التافهة فوق خلاص مجتمعهم. وإن ما يدعو للرثاء هو، على وجه الخصوص، صراعات اقتتال الأخوة بين القبيلة والقبيلة وبين العشيرة والعشيرة، هذه الصراعات التي تخضب الجبل كل يوم بالدماء، وتهدر طاقات سكانه وتجعلها هباءً منثوراً.

إن حل الأزمة الحالية سيكشف لنا ما إذا كانت صحوة الضمير ستنقذ اليزيدية في اللحظة الأخيرة من نهاية تبدو حتمية، أم أنهم على عكس ذلك سيستعدون لمباشرة اقتتالهم الأخير.

هوامش الفصل السادس :

(1) وثلاثة ائتلافات أحياناً كما هي الحال لدى السموقة.

(2) العلي جرمكان يأتون من حيث ثروتهم بعد الأوسكي ، وهم على الأغلب يدخلون في صراعات معهم من أجل الماء والكلأ.

(3) بين عامي 1935 – 1936 م وقف الخليفا إلى جانب العلي جرمكان.

(4) راجع أعلاه ، الفصل الرابع ، الزواج.

(5) لم نتمكن من رسم لوحة لهذه التناوبات. لأن كل المعلومات التي زودنا بها لم تكن تتقاطع مع بعضها ، لكننا نخلص منها إلى أنه ما كان ينبغي للرؤساء أن يبقوا بالسلطة لمدة طويلة ، وأنه ما من أحد منهم حاز على اعتراف القبيلة بشكل كامل.

(6) بعد خمس عشرة سنة ، وذات ليلة فاجأ أفراد المحمودي عيسى عوين في مضاربه وقتلوه انتقاما لصفوك.

(7) ليست المعارك التي تجري بين اليزيديين شديدة الخطورة ، تغلب الضجة فيها على القتل بشكل عام. ذلك أنّ الغاية منها باستثناء بعض الحالات (الثأر مثلا) هي النهب وليس القتل.

(8) الظاهرة نفسها موجودة لدى باقي الأكراد. Cf. P. Rondot , les tribus montagnardes de l'Asie antérieure , p 42- 47.

(9) هما على الترتيب من شيوخ سجادين وشيوخ فرخدين.

(10) أصله من قبيلة شرقيان (راجع الفصل الرابع من كتابنا هذا ، يزيدية سورية)

(11) كان اليزيدية يدعونه " باشا الجبل ". وكان يقبض راتبا يقدر بـ 600 روبية (راجع اسماعيل بك ، م.س ، ص 68).

(12) نحو عام 1925 م ، خطف ابنة مراد سرهان (رئيس فقراء ملك)، البالغة من العمر 15 عاما ، ورفض أن يدفع تعويضاً لأبيها. كان يدعي أن ممتلكات الفقراء مشاع لكل أفراد هذه الطبقة. ورغم تدخل السلطات البريطانية ، كادت الحادثة أن تثير نزاعاً معمماً عندما هبّ داوود الداوود للدفاع عن سكان ملك.

(13) في ربيع عام 1936 م سارت بين الناس شائعة مفادها أن معارك كبرى باتت قريبة وأن شخصا قادماً من الغرب مع قوات لا تحصى، سيقوم بسحق المسلمين قرب نصيبين ، ثمّ يتوجه إلى مزار شرفدين(في سنجار) حيث يعلن أنه المهدي المنتظر ، ومن هناك يذهب إلى الشيخان للانضمام إلى الشيخ آدي الذي يبعث حيّا. وعندها يتّحد اليزيدية والمسيحية واليهود لتطهير العالم [من المسلمين]، وينشرون العدل فيه.

(14) لم يكن الأتراك يسعون إلى إنهاء صراعات القبائل ، بل على العكس تماما ، كانوا لا يترددون في التدخل لصالح بعض الوجهاء الموالين لهم ، ويكتفون بالاعتراف بزعيم يفترض به أن يحكم الجبل باسمهم. وقد

ذكر اسماعيل بك اثنين من الأغاوات اللذين استفادا من هذا التنصيب، وهما حسين دوبلين من (طيرف) الذي كان يعيش نحو عام 1800 م ، وصفوك آغا المتوفى نحو عام 1870 م.

(15) ثمة إشارة إلى اعتناق بعض اليزيدية للمسيحية (Cf. Anastase Marie , op. cit.,p. 733)

(16) في عهد العثمانيين ، جرت العادة على تعيين قائمقام مسيحي في مدينة " بلد " وكذلك عندما نظم الإنكليز إدارة الجبل طالب اليزيدية بقائمقام مسيحي.

(17) فقط كان بعض المغنين الجوالين dengbêj المسلمين يجوبون الجبل أحياناً ، يعرضون مواهبهم في القرى التي يمرون بها.

(18) راجع اسماعيل بك ، م.س ، ص 111-112.

(19) كان معظم البنادق التي استخدمها الميهيركان في ثورة عام 1935 م تأتيهم من الشمّر الذين كانوا يبيعونها للقبائل الأخرى ، الأمر الذي جعلهم لبعض الوقت شبه مجردين من الأسلحة.

(20) في عام 1900 م عندما هاجم الهبابات المنديكان بدعم من الغيران والسموقة ، ولحرقوا خمساً من قراهم ، كانوا مدعومين أيضاً من الجبور. وبعد فترة وجيزة وقعت مشاجرات بين الهبابات و الغيران بسبب حادثة اختطاف ، فتحالف الهبابات مع الجحيش و المطاوطة. ويرى ر. مونتان : (Cf. R. Montagne , Contes poétiques Bédouins , p.49) أن مثل هذه الاتفاقات مع خصومهم رؤساء اليزيدية ، تؤدي غالباً إلى نشوب القتال بين الفرق البدوية نفسها.

(21) راجع اسماعيل بك ، م.س ، ص 59.

(22) وصحيح أنه حاول أن " يهديه " إلى الإسلام.

(23) انظر في نص اسماعيل بك (م.س ، ص 60 و ص 62) ، بأي تعالٍ يعامل البدو اليزيدية.

(24) وهكذا في عام 1918 م شجعوا قبائل طي والشمّر و الجحيش على نهب سنجار (راجع أدناه ، ص 182). و في نهاية عام 1935 م حاول العراقيون أن يحرضوا الشمّر على اليزيدية وذلك عندما وعدوهم بأخذ أراضي اليزيدية.

(25) منذ عهد قريب ، وردّاً على غزوة تعرضوا لها ، ثار الغيران لأنفسهم من الجبور بانتزاع قافلة محمّلة بالقمح منهم وقتل أحد رجالهم . ولم يتم الصلح بينهم إلا عام 1936 م. ومن جهتهم يشن الهسكان غارات على العبدة ، و السموقة على الشمّر.

(26) الواقع أن هذه العادة غير دارجة لدى اليزيدية. أضف إلى ذلك أن البدو الذين لا يدفعون قط فدية الدم لسكان الجبل ، لن يقبلوا طبعاً أن يدفعوا الإتاوة لهم.

(27) على كل حال ، فإن الهسكان والغيران و السموقة يدفعون الإتاوة لـ فارس الجربة. كان السموقة يرسلون لهذا الزعيم 40 طاسة من السمن و50 خروفاً كل عام .

(28) راجع أعلاه ، الفصل الثالث ، اللباس.

الفصل السابع

أزمة عام 1935- 1936

رغم أن اليزيدية تعرضوا للكثير من الظلم والاضطهاد إبّان الحكم العثماني ، فإن أحدا لم يفكر في أن يحرمهم من الحكم الذاتي السياسي ، زد على ذلك أن عزلتهم و بسالتهم في الحروب كانتا تتيحان لهم ردّ كثير من الهجمات المعادية. غير أن إنشاء دولة عربية حديثة في العراق كان لابدّ له أن يغيّر جذريا شروط وجود سكان جبل سنجار. وبقدر ما استمر الانتداب البريطاني وبقي الهدوء النسبي في الجبل.فقد عين الإنكليز حمو شرو رئيسا عليه و رغم صراعه مع خصوم أقوياء يتزعمهم داوود الداوود، آغا الميهيركان،،فقد نجح هذا الرئيس في الصمود أمامهم حتى وفاته. و في عام 1933 عندما كان الحديث يجري عن ضم سنجار إلى سوريا، أظهرت القبائل تعلقها بسلطات الانتداب وآثرت البقاء ضمن العراق. وقد شوهدت محاولات خجولة للتحديث من قبل الطائفة اليزيدية نفسها ، إذ أرسل إسماعيل بك چول أولاده للتعليم

وتمّ افتتاح مدرستين[1] إحداهما في الشيخان و الأخرى في بلد سنجار ، فاجتذبتا بعض التلاميذ. لكن إعلان استقلال العراق وضع نهاية لفترة الهدوء هذه بالنسبة لليزيديين.

ومنذ رحيل الإنكليز استلهمت حكومة بغداد عملها بصورة خاصة من رغبتها في أن تصهر في بوتقة الأغلبية العربية و السنّية من السكان كلّ المجموعات الاثنية و الدينية التي تعترض سبيل تحقيق وحدة البلد.

وقد عانى اليزيديون من هذه السياسة أكثر ممّا عانت الأقليات الأخرى.فهم مجرّدون من أي سلاح إزاء متطلبات الحياة العصرية ،ولا يملكون نخبة مثقفة قادرة على إسداء النصح لهم ، و كذلك لم يحسنوا التصرّف إزاء الصّهر الذي يتهددهم بخلاف ما كان يمكنهم القيام به قبل مائة سنة – وهم قلة مشتتة – أن يصمدوا طويلا في وجه قوات الملك غازي ،ودون أن يفهموا أن جبلهم ما عاد يقدّم لهم في القرن العشرين الحماية من الطائرات العراقية كما كان يقدّمها ضد البنادق التركية.

ومنذ سنة 1934، كان إعلان قانون التجنيد الإلزامي ينبئ عن أحداث خطيرة[2]. حيث أن نفور اليزيدية من الخدمة العسكرية معروف جيدا[3]، ونحن نعلم كم أثار ذلك من المصاعب في القرن التاسع عشر [4].

كما أن قرار حكومة بغداد لم يلق الحماس لدى السنجاريين الذين ما كانوا يفهمون بأي حق تريد الحكومة أن تفرض عليهم خضوعا كانوا قد تجنبوه على الدوام. غير إن ما أن تمّ نشر المرسوم حتى اجتمع

رؤساؤهم لتوجيه برقية تهنئة للوزراء. وفي الوقت ذاته طالبوا بإنشاء فرقة خاصة مؤلفة من اليزيديين وحدهم. لقد رتبت هذه التسوية كل الأمور، لكن بغداد أبت الموافقة عليها، لا بل إن الصحافة لم تدرج نص العريضة [في صفحاتها]. واتخذت السلطات تدابيرها تحسبا لقيام الانتفاضة وتمّ استبدال قائمقام سنجار المسيحي بآخر مسلم.

وفي الجبل ساد الاستياء، وعندما تم الإعلان عن نشوء الأحداث الأولى، كان كل شخص على أهبة الاستعداد للمقاومة. ووصل وفد من أعيان اليزيدية إلى الحسكة في سورية لطلب الدعم من الفرنسيين، فما كان من الفرنسيين إلا أن حثوا المبعوثين على الحذر والهدوء. أما العراقيون فقد قاموا من جانبهم بمحاولات تهدئة عبر الزعماء الذين ظلوا أوفياء لهم، وبخاصة خوديدا وسعيد بك الذي حضر شخصيا إلى الجبل [5]

في شهر أيلول بدأ رئيس قبيلة الميهيركان، داوود الداوود، ثورة مفتوحة، ولا شكّ أن هذه الثورة جاءت قبل أوانها، فلم يلتحق بها أحد. وفي الوقت الذي تخلى فيه قسم من القبيلة عن زعيمهم، بقي الآغوات الذين كان يأمل مساعدتهم متحفظين إزاء الثورة. كما قدم أعداء هذا الزعيم الأدلاء والمؤن للقوات الملكية. فمنذ بداية الشهر تم جمع قوات كبيرة (ألف رجل على الأقل) من أجل القضاء على الثورة، وعسكرت بعض المفارز في القرى التي بقيت على ولائها للملك، ووزّعت المدفعية والرشاشات الآلية والطائرات حولها بانتظار لحظة الدخول في

الاشتباكات. ولم تدم الحملة سوى أيام قليلة، ففي عشية الثالث عشر من تشرين الأول وصل رتل من الفرسان إلى قرية أوسوفان بعد أن التقوا حول الجبل، وعند بزوغ الفجر هاجموا قرية بكران، فلقوا الهزيمة منها بعد ما تعرّضوا لخسائر فادحة، وحلّ المشاة محلهم فاستمر القتال حتى المساء. وأخيرا اضطرّ داوود إلى وقف القتال بعد أن أصيب بجراح ونفدت ذخيرته وفقد حوالي مائة رجل. وفرّ تحت جنح الظلام باتجاه مضارب عدوه القديم كمّو عموكا الذي أعطاه فرسا ومعطفا، فأسرع نحو الحدود وعبرها إلى سورية وكان بصحبته ابناه الجريحان أيضا. وقد أقام بضعة أيام لدى شيخ قبيلة الشمّر [العربية] دهّام الهادي، اعتقل بعدها في الحسكة و لا يزال فيها إلى الآن.

لقد قمع العراقيون هذه الحركة بقسوة وصرامة، إذ أحرقوا معظم قرى الميهيركان ونفوا المتمردين الذين استسلموا للاعتقال إلى الجنوب؛ فخلال ما يقارب على الأسبوع كان بإمكان الناس أن يشاهدوا كلّ يوم قافلة مؤلفة من عشر إلى خمس عشرة شاحنة محمّلة بالمعتقلين. وقد قام الجنرال بكر صدقي الذي كان يدير العمليات باعتقال العديد من رؤساء العشائر بتهمة التواطؤ مع داوود. كذلك لقي اثنان من وجهاء المسيحيين في الموصل المصير ذاته بالتهمة ذاتها. ولم تكن معاملة العراقيين للقبائل المسالمة أحسن بكثير من معاملتهم للقبائل المتمرّدة.. فسرعان ما تمّ الإعلان عن منح قسم كبير من سنجار لشيخ قبيلة الشمّر عجيل الياور، وكانت هذه بداية استعمار جبل سنجار من قبل عناصر مسلمة

وعربية. إلا أن المشروع لم يتم. والواقع أن مثل هذه الإجراءات القاسية التي أعقبها مباشرة تجنيد أول دفعة من الشبّان اليزيديين المكلفين [6] بالخدمة العسكرية، جعلت الأغوات يتفكرون ويعقلون بعد أن أدركوا عدم جدوى موقفهم الموالي للحكومة؛ أضف إلى ذلك أنهم كانوا يتحركون رغما عنهم تحت ضغط رجالهم، لأن شعبية داوود الداوود كبطل قومي كانت تزداد يوما بعد يوم. وقد اتضحت شيئا فشيئا فكرة ثورة جديدة عامة هذه المرّة. فرأت بغداد أنه من الحكمة أن تضحّي لتجنب الإخفاق ، حتى إنها أرجأت تجنيد الدفعة الأولى من اليزيديين المكلفين. ومع هذا يمكن أن نتساءل إن كانت السلطات العراقية قد استمرت في الإخلال بنظام قبائل سنجار رغم هذا التحول. فقد كانت الاعتقالات المتكررة للرؤساء والزعماء تبقي الناس في حالة عصبية دائمة. وكانت تروج على الدوام لشائعات تزرع الرعب في قلوبهم ، فكان رحّل غربي الجبل يُشاهدون وهم يقتربون من الحدود ويحاولون عبورها أيضا. غير أن الاتفاقات السورية العراقية كانت تمنع القبول الجماعي للاجئين في الأراضي الواقعة تحت الانتداب الفرنسي ، الأمر الذي فوّت على اليزيدية أية مساعدة ممكنة من الخارج ، و يبدو أنهم استسلموا لضياع استقلالهم. بل إنهم وافقوا خلال صيف عام 1936 م على تقديم بعض الشبان للخدمة العسكرية.

* * *

إن الأحداث التي سردنا تفاصيلها تواً قد قلبت أوضاع التنظيم السياسي في جبل سنجار ، إذ اختل التوازن الطبيعي للقوى بسبب اختفاء قبيلة الميهيركان الأكثر عدداً والأقوى في الحروب؛ و القلة الباقية من هذه القبيلة هاجرت عبر طرفي الحدود إلى الدول المجاورة التي قبلت استقبالهم. ولما شعر سكان بلد سنجار ومحيطها أنهم عرضة للخطر ، توجهوا نحو الغرب والشمال اعتقاداً منهم بأنهم سيكونون هناك أكثر أماناً وطمأنينة.

وفي ربيع عام 1936 م ازداد تعداد بعض القبائل مثل السموقة والغيران ، فوصل إلى الضعفين تقريباً بسبب انضمام عدد كبير من اللاجئين إليها.

وأخيراً تراجعت النزاعات الشخصية مؤقتاً إلى المقام الثاني ، وتمّ نسيان الأحقاد القديمة. لقد أدرك يزيدية الجبل لأول مرّة في تاريخهم أنه ينبغي عليهم أن يتحدوا للحفاظ على هذه الحرية العزيزة جداً على قلوبهم. ولكن هيهات ، فقد فات الأوان.

هوامش الفصل السابع :

(1) تابع ابنه دروس دار المعلمين في بغداد بينما درست زوجته وابنته في جامعة بيروت الأمريكية.

(2) بُعَيد توقيع المعاهدة الإنكليزية -العراقية،أغلقت الحكومة مدرستي بلد سنجار والشيخان إذ رأت أنه من غير المجدي الإبقاء عليهما نظرا لقلة عدد التلاميذ الذين يرتادونهما.

(3) في الواقع لا تتعارض في شيء مع الحياة العسكرية ،لكن ذلك يفرض على أتباع اليزيدية الاحتكاك الدائم مع المسلمين أو الخضوع للقوات الخاصة العراقية والسورية.

(4) راجع أعلاه، التاريخ.

(5) يبدو أن منطقة الشيخان كلها التزمت الهدوء.

(6) الذين لاذوا بالفرار و التجأوا إلى سورية برفقة أسرهم.

4

يزيدية سوريا

يزيدية سورية

نجد في سورية جاليتين يزيديتين يفصلهما عن بعضهما نحو اربعمائة كيلومتر. الأولى تستقر في الجزيرة والثانية تشغل منطقة سمعان ووادي عفرين وبعض قرى كرد داغ.

يزيدية الجزيرة

تمت هجرة يزيدية الجزيرة في عهد قريب ، إذ جاءت مجموعة أولى و استقرت في منطقة عامودا في القرن الثامن عشر، أي في الوقت نفسه الذي جاءت فيه قبيلة الملية الكردية التي كانت هذه المجموعة تشكل إحدى فرقها [1]. وبعد الحرب العالمية الأولى استمر النازحون من تركيا في تعزيز هذه المجموعة.

وقد أدى فشل الثورة الكردية عام 1925 م إلى هجرة كبيرة إلى سورية؛ حيث التجأ الكثير من اليزيديين إلى الجزيرة مع الجماعات المسلمة التي يرتبطون بها [2] ، وفضلوا البقاء برفقة أبناء قبائلهم على الانضمام إلى أبناء ملتهم في عامودا ، وقد بنوا لهم عدة قرى حول القامشلي.

إنهم حضر تقريباً ، يحصلون على مواردهم الأساسية التي يزرعونها للمالكين المسلمين أو المسيحيين ، وهم لا يتركون منازلهم إلا خلال شهرين أو ثلاثة خلال الربيع [3]. وقد صاروا إلى حالةٍ من العبودية الحقيقية وبلغوا درجة من الذل والهوان تكاد لا تصدق وهم يعيشون عيشة بائسة جداً؛ إذ أن دونيتهم الاجتماعية وتشتتهم [4] ونقص الزعماء لديهم ، كل ذلك يحول دون أن تكون لهم أية منفعة ذاتية. وهم عاجزون عن ابداء أية ردة فعل و مستسلمون لكل ما يصير عليهم ، وليس هناك ما يمكن أن يقال بشأنهم.

يزيدية جبل سمعان

إن تجمع جبل سمعان هو بلا منازع التجمع اليزيدي الأهم والأكثر ثباتاً في سورية، على الرغم من أنه لا يفوق تجمع الجزيرة في العدد والأنفس.

توزعهم ووضعهم المادي :

يضم هذا التجمع نحو عشرين قرية منتشرة على نطاق واسع جداً بين الحدود التركية ودير سمعان[5] ، و معظمها يتمركز بين جبل سمعان ووادي عفرين الذي يكاد يكون يزيدياً بأكمله وحتى منعطف غزويّة. وفي الشمال ثمّة أربع بلدات صغيرة هي قسطل و سنكلة وبافلون و قطمة. وهذه البلدات تشغل موقعاً بعيداً عن المركز بالنسبة لباقي التجمع الذي تفصله عنها بضعة تكتلات مسلمة [6].

وحسب الأرقام التي زودنا بها زعيم هذا التجمع ، جميل آغا ، فإن العدد الكلي لليزيدية فيه يبلغ نحو ألف وخمسمائة نسمة. ومن بين الطبقات الدينية التي ذكرناها آنفاً يضم تجمع جبل سمعان أغلبية عظمى من طبقة الفقراء وكثيراً من الشيوخ وقرية واحدة من البيرة (كفر زيت) و بعض المريدين أيضاً.

وعلى عكس أبناء ملتهم في سنجار الذين حافظوا على أصالتهم بفضل العزلة التي يعيشون فيها ، فإن يزيدية جبل سمعان قلما يتميزون عن بقية فلاحي المنطقة.

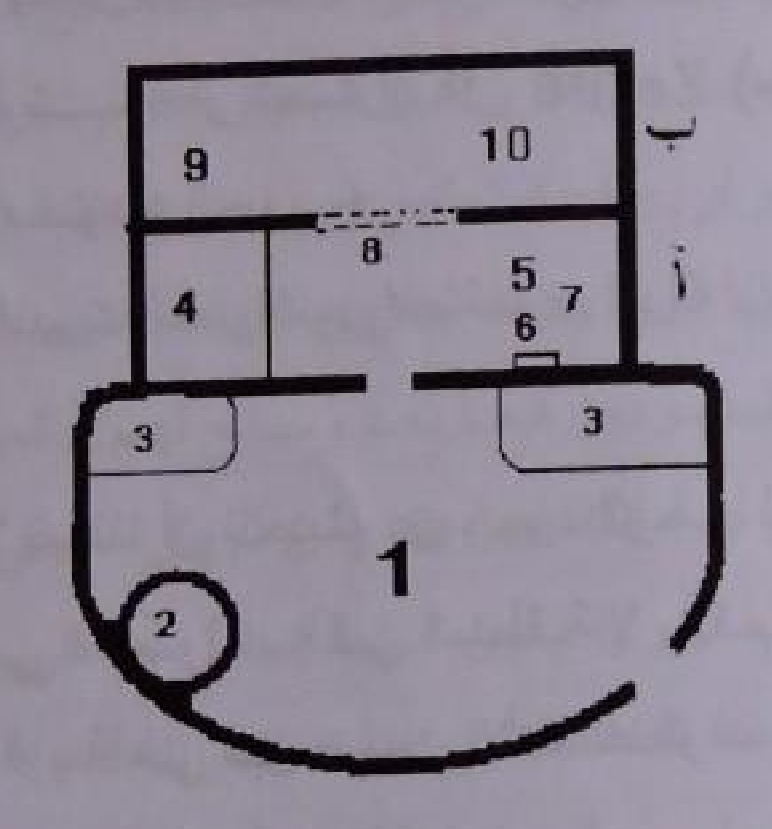
ورغم أنه لم يمض وقت طويل [7] على تحضرهم بصورة تامة، فإنهم لا يحتفظون إلا بذكرى غامضة عن تنظيمهم القبلي السابق. و من بين كل الذين سألناهم ، وحدهم بعض المسنين أخبرونا – بعد تردد – عن أسماء القبائل التي كانوا ينتمون إليها. أما يزيدية وادي عفرين فقد التبس عليهم مفهوم القبيلة واختلط في أذهانهم مفهوم الفرقة مع مفهوم العائلة. ثمّ إن تقسيم السكان إلى قبائل وعشائر لم يعد أمراً له وجود في جبل الكرد وفي المنطقة الحدودية كلها.

ولم يبق للزعماء الوراثيين سلطة إلاّ بقدر ما يملكون من الأرض ، فمن يحصل على أملاك واسعة يأتيه لقب الآغا من المزارعين الذين يعملون لديه. والتسميات التي كانت تشير سابقاً إلى انتماء شخص إلى قبيلة معينة لم تعد مقبولة ما لم تكن جغرافية محضة؛ فعلى سبيل المثال: غادر أحد الفلاحين قرية جومة Cûmê. في جبل سمعان واستقر على

الضفة الغربية لنهر عفرين ، فأصبح يدعى جبل هشتي [أي تارك الجبل] ، ولكنه بقي كما كان من قبل تابعاً لصاحب الأرض التي يعمل بها.

إن حياة يزيدية سورية إذاً لا تشبه في شيء حياة يزيدية سنجار الرحّل. وإنهم لا يتمتعون بأي نوع من الاستقلالية؛ إذ يعيش المالك الصغير متعلقاً ببضع أربنتات* من الأرض يقوم بزراعتها ، فيما ينتقل المزارع من قرية إلى قرية بحثاً عن عقد يتيح له البقاء والاستمرار في الحياة. على أن المصير الأصعب هو مصير سكان الجبل الذين يعيشون في منطقة قاحلة تستعصي أراضيها الكثيرة الحصى على الحراثة. وهم يعتمدون في حياتهم فقط على منتجات قطعانهم الهزيلة وبعض الصناعات الخفيفة [(8)]. أما سكان السهل فنصيبهم من النعم أوفر من نصيب أقرانهم في الجبل حيث يشغلون أراضٍ خصبة ومروية جيداً ، تنتج القمح والسمسم والقطن. زد على ذلك أنّ بيوتهم [(9)] التي نرى التكلف في بنائها أحياناً ، توحي بالصحة والنظافة النسبية رغم وجود بعض الطفيليات التي لا سبيل إلى تجنبها.

* الأربنت : وحدة قياس فرنسية قديمة للمساحة (3500 – 5000 م2). المترجم.



الشكل رقم 4

مخطط لبيت يزيدي في وادي عفرين

أ – Maẍê pêşî - ب Maẍê paşî

1 - Ḥewş (فناء الدار) 2 - Qûzik (كوخ من اللبن مدور السقف؛ يوضع فيه الحطب) 3 - Sewkî* (مصطبتان من الطين؛ تستخدم إحداهما كمستودع و الثانية ترتب عليها الفرش التي ينامون عليها في الصيف 4 – مصطبة مخصصة للضيوف وقد تكون على يمين المدخل أو على شماله 5 – غرفة للسكن بلا مصطبة 6 –Pixîrê (موقد يقام ضمن الحائط) 7 – نضد الفرش

* تلفظ هذه الكلمة بأشكال عديدة في اللغة الكردية Seko ، Sekû، Sekuwî. المترجم.

8 – Qentere (قنطرة يمد تحتها سلك حديدي بين الجدارين ، تعلق به الستائر أو الأوشحة أو الحرز 9 - Zexîrê (مخزن المؤن) 10 – Bidar (مستودع الحبوب)

ملاحظة : البيوت الفقيرة ليس فيها سوى غرفة واحدة.

ومع هذا لا يمكننا أن نتحدث عن وجود الرخاء لديهم ، و الحق أنّ النظام الزراعي المعمول به في المنطقة لا يلائم الفلاحين كثيراً ، وأراضي كل قرية هي من ضمن الأملاك الواسعة التي تعود في الأغلب الأعم إلى مالكين أو ثلاثة من مسلمي حلب أو عفرين. وهذه الأملاك الواسعة لا تترك إلاّ القليل من الأراضي للاستثمارات الصغيرة. لم يعد هناك إذن مالكون كبار من اليزيدية ، فقد اعتنقوا الإسلام منذ زمن بعيد[10].

لقد اتجه اليزيديون نحو تشكيل نوع من البروليتارية الريفية التي تفتقد كل تأثير سياسي بسبب فقرها. وقد وصلوا إلى المرحلة الأخيرة من تطور يبدو أنه سينتهي بانصهارهم الكامل.

تاريخهم

يبدو أنّ استقرار اليزيدية في جبل سمعان قديم نسبياً. وقد روى لنا أحد الفقراء الرواية التالية التي نقدمها لما لها من قيمة :

" كان الشيخ آدي خلال حياته سلطاناً على اليزيديين وكان شرفدين وزيراً له. وكان جميع اليزيديين يقيمون حينها في منطقة الشيخان. وقد

ثار بعض المتمردين على شرفدين ، فطلب الشيخ آدي من استنبول إرسال جيش لنجدته ، وبعون هذا الجيش هزم شرفدين المتمردين وأجبرهم على الفرار. واتجه المتمردون نحو منطقة الحمّام واستقروا فيها ، ثمّ احتلوا شيئاً فشيئاً منطقة عفرين كلها بما فيها إعزاز. وقد عفا الشيخ آدي عن المتمردين فيما بعد وسمح لهم بالعودة إلى منطقة الشيخان؛ فمن كان له أملاك فيها عاد ومن لم يكن له بقي حيث هو ".

وبناءً على هذه الرواية يكون استيطان اليزيدية في جبل سمعان قد تمّ في عصر بدايات الطائفة اليزيدية نفسها. إلاّ أنه لا يمكن أن تكون اليزيدية قد نفذت إلى هذه المنطقة قبل أن تنفذ إلى مناطق الأكراد في بوطان وسيرت و قلعة الروم؛ إذن لا يمكن أن يكون ذلك قد تمّ قبل القرن الثالث عشر الميلادي. وبالاعتماد على مقطع لابن العبري يجعل لامان R. P. Lammens استقرار اليزيديين بوادي عفرين في هذه الفترة [11]. ويبدو فعلاً أنّ نص هذا المقطع متعلق بأتباع الشيخ آدي، لكنه لا يسمح بأي تحديد جغرافي لمكان معين : فمن الممكن أن يتعلق الأمر بتجمع قره داغ [12] مثلما يتعلق بتجمع جبل سمعان. ثمة دليل آخر يدعم فرضية لامان ، أوضح من دليل المؤرخ المسيحي ابن العبري : إنه الشرفنامة [13] التي تخبرنا أن أميراً كردياً يدعى مند اعترف له الأيوبيون بملكيّة قصير أنطاكية ، التي كانت مأهولة حينها باليزيديين ، وبالسيادة على أكراد جومة [14] وأكراد كلس.

يمكن إذن أن نحدد استقرار اليزيديين في سورية نحو سنة 1200 م نظراً للأسباب التي عرضناها آنفاً ، و لا يمكن أن يكون قبل هذا

التاريخ؛ ومن جهة ثانية فإن مدة سيادة الأمير منذ يفترض أن تشغل السنوات الأولى من القرن الثالث عشر ، لأن الخليفة الثالث له شهد نهاية الحكم الأيوبي في حلب عام 1260 م.

ويبدو لنا من خلال التعارض الذي يقيمه شرف خان بين يزيدية قصير أنطاكية وأكراد جومة المسلمين، أنه في القرن الثالث عشر كان هؤلاء اليزيدية يتمركزون في القسم الجنوبي من وادي عفرين على مقربة من غزويّة بينما كانت العناصر المسلمة تشمل القسم الشمالي منه، وأن اليزيدية لم يستوطنوا منطقة جبل سمعان المقفرة إلاّ فيما بعد[15].

وكما حدث في سنجار فقد استمر تجدد سكان جبل سمعان خلال قرون من الزمن. و فيما كانت بقايا القبائل اليزيدية في كردستان المركزية تتدفق نحو العراق، كانت قريناتها في كردستان الغربية تتجه نحو سوريا بحثاً عن الملاذ[16]. فمنذ حوالي خمسين عاماً كان العديد من العوائل اليزيدية لاتزال تغادر قضاء قلعة الروم لتنضم إلى أبناء ملتها في الجنوب. و منذ عهد حديث بنى لاجنون قادمون من قره داغ قرى قطمة و سنكلة و بافلون وقسطل. غير أن هذه التعزيزات البشرية تمكنت بالكاد من سد الفراغ الذي أحدثته حركة تأسلم بدأت منذ أمد طويل.

خلال فترة ليست بقصيرة بقي يزيدية جبل سمعان مرهوبي الجانب؛ إذ تروي لنا الشرفنامة تفاصيل الصراعات الطويلة التي واجه

فيها الأمير منذ قبائل قصير و "بعض شيوخ اليزيدية الذين كانوا يقيمون بين حماة و مرعش[17] " ، قبل أن يتمكن من إخضاعهم لنفوذه.
وعندما حلّ المماليك محل الأيوبيين في أواسط القرن الثالث عشر ، رفض أمراء كلس الاعتراف بهم وثاروا عليهم. وقد تمّ عزلهم عن الإمارة حوالي سنة 1500م لصالح زعيم يزيدي يدعى عز الدين. ولما غزا العثمانيون سورية بقيادة السلطان سليم الأول ، أبقوا على امتيازاته وحقوقه. وقد توفي عز الدين هذا دون أن يترك وريثاً قادراً على خلافته، فاستفاد من ذلك بكوات كلس السابقون واسترجعوا سيادتهم على الإمارة.

وفي القرن السابع عشر ، زار بعض الأوربيين يزيدية جبل سمعان لدى مرورهم بحلب. وقد ظلّ الأب اليسوعي P. Perdrizet الذي قام بنشر حكاية رحلته[18] ، على علاقات منتظمة معهم : " سأقول ما رأيته منهم على بعد خمسة فراسخ عن حلب في جبال جومة ، حيث يوج سيد أو أمير هذه الجبال الذي يدعى دلو والشيخ أو الولي الذي يترأس السلطة الروحية لقطاع الطرق المشهورين أولئك ، المدعو سوار الذي ما زلت أقوي صداقتي معه منذ ست سنوات..... "[19]
وحسب الكاتب كان " قطاع الطرق المشهورون " هؤلاء رحّلاً متنقلين.
وفي ذلك الوقت تقريباً عرض قائد يزيدي (ربما دلو) على السفير نوانتيل التحالف مع ملك فرنسا لتنظيم حملة صليبية على الأتراك[20].
وقد اتصل Febvre أيضاً بسكان جبل سمعان. لكن ، ولسوء الحظ ،

فإن أيّاً من هؤلاء الرحّالة لا يخبرنا بصورة واضحة عن وضع هذا التجمع اليزيدي في ذلك الزمان.

لدراسة هذه الجماعة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر لا نملك سوى معلومات ناقصة حصلنا عليها من الروايات الشفهية لديهم. تقول هذه الروايات أن اليزيدية ، حتى عهد قريب نسبياً ، حافظوا على نوع من الاستقلالية السياسية. و لا يزال المسنون يتذكرون أسماء بعض الآغوات الذين كانوا تقريباً مستقلين ذاتياً في قراهم ، تحت مراقبة الزعماء المسلمين في كرد داغ [21]. و الظاهر أنه كان هناك خمس اقطاعات يزيدية كبيرة؛ ففي الجنوب كانت كفة آغاوات غزوية هي الأرجح وبخاصة آغاوات بوسوفان الذين تمجد بعض الأغاني القديمة غناهم وكرمهم [22] ، وفي الشمال كانت إحدى عائلات البيرة (عائلة البير عمر خالد) [23] تحكم قره باش. وأخيراً هناك بيتان من طبقة الفقراء تربطهما صلة قربى ، وقد استقرا حديثاً في المنطقة؛ أحدهما يحكم في عرشي قيبار و الأكفار الصغيرة المحيطة بها ، والثاني يحكم في قسطل و الأقضية المجاورة للحدود التركية السورية الحالية.

لقد اعتادت السلطات العثمانية على تعيين أحد وجهاء اليزيدية الذي يقوم بدور الوسيط بينها وبين باقي الآغاوات. وطبعاً كانت هذه المهمة تنتقل من زعيم إلى آخر تبعاً لتغيرات السياسة المحلية؛ إلا أنها كانت في الأغلب الأعم من نصيب أسياد بوسوفان و غزويّة . وعندما أسلم هؤلاء انتقلت هذه المهمة إلى پير أوسو في قره باش ، لكن ابنه إسكان

صار مكروهاً من قبل الشعب بسبب دسائسه مع المسلمين فاضطرّ للتخلي عن هذا المنصب لغازي آغا والد جدّ جميل آغا. وعندما توفي غازي آغا رفض خليفته شمو القيام بأي دور عام ليتفرغ تماماً للعبادة[24]. فدعي حينذاك علي جندو من قسطل ليقوم بهذه المهمة ، وقد كان في وضع أفضل للحفاظ على علاقات مع الحكومات التركية، إذ أنّ المنطقة كلها كانت في ذلك الوقت تابعة لكلس.

وكان لا بدّ للسلطة أن تعود بسرعة إلى ذريّة غازي آغا ، فمنذ الأيام الأولى للاحتلال الفرنسي اختار زعيم عرشي قيبار ، درويش شمو ، الانحياز للوصاية؛ إذ شارك في العمليات ضدّ الثوار على رأس عصبةٍ من أنصاره ، بينما تطوع البعض من أبناء ملته في (السرايا الخفيفة) [25]. وعندما تمت تهدئة البلد عُين درويش الذي يحمل وسام حرب الـ T. O. E ، " زعيماً دينياً للجماعة اليزيدية في سورية " ، بعد أن دعي لهذا المنصب مرات عديدة. وقد راح ضحية للانتقام عام 1928 م. فخلفه ابنه الشاب جميل آغا الذي تلقى متأخراً بعض التعليم في المدرسة الأمريكية في حلب. وعلى الرغم من صحته السيئة وافتقاره للقوة الجسدية ، يؤدي جميل آغا مهمته بجدية كبيرة. إلا أنه ، رغم مركزه كـ " زعيم ديني " ، لا يملك صلاحيات خاصة وسلطته ناشئة عن الثقة التي يمنحه إياها الأهل والأقارب.

تناقص هذه الجماعة :

لقد رأينا كم كانت الأهمية العددية لهذه الجماعة حتى القرن الثامن عشر. أما اليوم فإن اليزيدية لا يشكلون الأغلبية سوى في تسع قرى من أصل اثنتين وعشرين قرية لا يزالون موجودين فيها. ومنذ رحلة ر. ب. لامان (1903 م)، أسلمت ثلاث قرى كان هذا الكاتب [26] قد اعتبرها قرى يزيدية، وحذت حذوها ثلاث أخرى لم يأت الكاتب على ذكرها. إذن فعمليات الاندماج تتوالى بإيقاع سريع، وكل يوم هناك تقدم جديد لصالحها [27].

إن الدين لا يشغل حيزاً كبيراً في الحياة الباطنية للفلاح السوري. وهو، على الأغلب الأعم، لا يعرف مبادئ العقيدة التي يفترض أنه يمارسها إلا معرفة ناقصة، وينفي امتثاله للتعاليم التي تفرضها هذه العقيدة. و هكذا، فالمعتقدات المختلفة المقبولة هي آداب اجتماعية أو سياسية، وأتباعها لا يتمسكون بها إلا على سبيل التقليد أو المصلحة. إن هؤلاء الأتباع قلما يترددون في تبديل شريعتهم إذا ما وجدوا في ذلك مصلحة لهم، و بإمكانهم أن يمنحوا تدينهم مظهراً آخر وأن يعبدوا الله بكلمات أخرى على افتراض أنهم يعبدون، ولكن لا شيء يمنعهم من البقاء مخلصين لخرافاتهم السابقة [28] ومن القيام بزيارة الأماكن التي كانوا يحجون إليها قبلاً [29]، وهذا هو الأمر الأساسي عندهم. والحال أنه لا أحد يمكن أن يغويه الارتداد عن الدين مثل اليزيديين – الذين فقدوا الاعتبار بنظر جيرانهم – بسبب دينهم الذي يجهلونه جهلاً شبه

تام. ثمّ إن المصلحة والخوف وحتى الحب، كل ذلك يزودهم بصورة مستمرة بدوافع حاسمة [للقيام بتغيير دينهم].

ومن المحتمل أن يكون الآغاوات، عندما أوشكوا على الزوال، قد انجرّوا إلى ترك الدين اليزيدي ليديروا لهم ظهر المجن [30] ويستردوا مظهر القوة بفضل دعم جيرانهم الأكراد ودعم السلطات العثمانية. وسرعان ما اقتدى بهم كبار الملاكين وبصورة عامة كل الذين كان يمكن أن يخسروا الكثير إذا ما تعرضوا للظلم والاضطهاد. إن عمليات الردة هذه تفسر لنا لم تعيش الجماعة في وقتنا الحالي في وضع اقتصادي غير مستقر إلى هذا الحد. مع ذلك نلاحظ أن الشيوخ والبيرة الذين يتهدد الخطر ثروتهم أيضاً، يسلمون عن طيب خاطر أقل من المريدين، لا لأنهم يستمدون من ممارسة وظائفهم الدينية إيماناً راسخاً، بل لأنهم يحصلون منها على قسم كبير من وارداتهم. لذا لا يمكنهم أن يفكروا بتغيير عقيدتهم إلا بعد آخر مريد لهم.

إن سكان جبل سمعان لم يعانوا قط من عنف شبيه بالذي وقع السنجاريون ضحية له. غير أنه، ولمراتٍ عديدة، مارس عليهم الإسلام ضغوطات كبيرة. وقد أشار لامان إلى عمليات دخول في الإسلام طواعية تقريباً جرت نحو عام 1850 م؛ أضف إلى ذلك أن اليزيدية كانوا خلال رحلته يشكون بشدة من الخدمة العسكرية التي فرضت عليهم للتو. إذ كان قد تمّ إرسال معظم المجندين منهم إلى اليمن ولم يكن يعود منها إلا قلة قليلة. وقد كان الكثيرون منهم يتركون دينهم اعتقاداً منهم أنّ ارتدادهم سيتيح لهم تعييناً أقل خطورة.

والزواج المشترك أيضاً يساعد الإسلام على تجنيد أتباع جدد؛ فالمصاهرات بين اليزيدية والمسلمين كثيرة ، ولكن في كل مرّة على القرين اليزيدي أن يكفر بدينه. وإن جزءاً كبيراً من عمليات الدخول في الإسلام التي تمت منذ الحرب العالمية الأولى ليس لها سبب آخر [سوى هذا الزواج المشترك].

ومن الصعب تقدير أهمية الدور الذي يلعبه العامل الجغرافي في حركة الاندماج هذه. و لا شك في أنّ المنطق كان يفترض أن تكون قرى كرد داغ المكشوفة أكثر هي الأولى في الاستسلام لحركة الدخول في الإسلام [31] ، وكذلك القرى التي ترسم الحد الجنوبي للأرض التي تشغلها الطائفة اليزيدية [32]. إلا أن استمرار بقاء التجمع اليزيدي الموجود في قسطل و سنكلة و بافلون و قطمة ، على الأطراف القريبة لمطمح أنظار كإعزاز ، لا يدعو للدهشة. وكذلك ، فإن سكان قرى مفتوحة لكل الهجمات مثل شيخ خضر و غزوية وبرج عبدالو ظلوا مخلصين نسبياً لدين الشيخ آدي ، في حين أن سكان بعض القرى التي تحميها الطبيعة جيداً مثل كورزيهل Kurzêhel و باسوطة و عين دارا يعدون من أقدم الداخلين في الإسلام. و ربما كانت هذه الظاهرة نتيجة لصراعات داخلية منسية اليوم.

وقد يمكننا الاعتقاد بأن فرض الوصاية على سورية أبطأ أسلمة التجمع اليزيدي في جبل سمعان. مع ذلك فإن مصير هذا التجمع حالياً ليس أفضل بكثير مما كان عليه في عهد العثمانيين ، فإن لم تكن هناك

اضطهادات عنيفة ، فإن الضغط المستمر الذي تمارسه عليهم العناصر المحيطة بهم كافٍ لجعل اختفائهم قريباً.

كما أن اليزيدية بسبب عددهم القليل جداً وبسبب سوء معرفتهم ، لم يتمكنوا قط من استثمار حقوقهم؛ فقد امتنع القانون عن الاعتراف بقانون أحوال شخصية خاص بهم [33]. وليس لهم ممثلون في المجالس المحلية مما يفقدهم أية إمكانية لدعم مطالبهم. ولم تمنح لهم أية مكاسب كان يمكنهم أن يطمحوا إليها بصورة شرعية [34].

كذلك يبدو أن كل شيء يسير ضد هذه الأقلية. فهناك بصورة مستمرة خلافات خطيرة أحياناً تجعل اليزيدية يقفون في وجه جيرانهم المسلمين؛ و لكن إذا كان الأمر يتعلق بمجرد شجار أو اختطاف [35] أو دعوى عقار ، فإن الطرف اليزيدي نادراً ما ينال الرضى [36]. إن هذه المصاعب اليومية تحافظ على نوع من العصبية ضمن المجتمعات اليزيدية، لا تمر دون أن تسبب حركات ردة جديدة في الفترات المضطربة ، كتلك التي يعيشها حالياً شمال سورية بأكمله [37].

وبالإضافة إلى عمليات الدخول في الإسلام التي تثير هذه المخاوف المستمرة ، فقد تغير السلوك اليومي ليزيدية سورية تغيراً عميقاً بسبب حالة التساهل التي يعيشونها.

فمنذ أمد طويل تخلوا عن إظهار خصوصيتهم بصورةٍ بادية للعيان. وقد تركوا لباسهم التقليدي ولم يعد هناك أي شيء في لباسهم يميزهم عن باقي أكراد المنطقة. وهم مثلهم يضعون على رؤوسهم قبعة بيضاء

من اللبد (kulah) تحيط بها عمامة سوداء مصنوعة من قماش مطبوع بزهور حمراء و بيضاء ، و يرتدون سروالاً فضفاضاً (şelwar أو derpî) شبيهاً بسراويل السنجاريين ، وكذلك يرتدون قميصاً وصداراً على الطريقة الأوربية ، وقد اتخذ بعضهم سراويل الفلاحين والحضر السوريين وكذلك العقال والكفية (الحطّة). مع ذلك فإنهم جميعاً يحتفظون بورع بالقميص اليزيدي ذي الياقة المفتوحة [38] تحت هذه الملابس الغريبة.

وقد كفّ الفقراء عن ارتداء " لباس الشيخ آدي " منذ جيلين على الأقل. أما المسنون من هذه الطبقة فمازالوا يحتفظون به كعلامة لمرتبتهم الدينية ، ويحتفظون كذلك بلحاهم الطويلة التي يمنع عليهم قصها ، لكن الشباب يفضلون حلاقة ذقونهم وما عادوا يطلقون سوى الشوارب. كذلك فإن هذه التلاؤمية لم تدّخر حتى التقاليد الدينية. فاليزيديون يسعون إلى أن ينساهم الناس بإظهار أقل اهتمام ممكن بالأعياد اليزيدية وبالإشتراك في الاحتفال بالأعياد الإسلامية : وهكذا فإن جميل آغا يعرض طواويسه وتبركاته التي يحتفظ بها [39] بمناسبة العيد الكبير (عيد الأضحى).

ومع هذا نلاحظ أنه في الوقت الذي تنبئ فيه بعض الأعراض بزوال قريب للطائفة اليزيدية ، نجد ردود أفعال تظهر أن بعضاً من آخر ممثلي هذه الطائفة سيحافظون حتى النهاية على إرادة العيش وفقاً لعقيدتهم.

وعلى الرغم من أن أغلبية يزيدية جبل سمعان يخفضون إلى الحد الأدنى العبادة التي يقتضيها دينهم ، فإن نخبة صغيرة منهم تحافظ على إيمان كامل. وبعض الشيوخ (مثل شيخ جنيت من قره باش و شيخ حسن من غزوية) اشتهروا فعلاً بالعلم والورع [40]. حتى أنّ بعض المريدين يقيمون لديهم لتحصيل العلم. وأخيراً فإن بعض الشباب الذين تلقوا شيئاً من التعلم (مثل جميل آغا ومراد مختار قسطل) يثابرون على جمع المأثور اليزيدي المتواضع.

ينزع اليزيدية إلى طلب الدعم المعنوي من أبناء ملتهم في الخارج، لكي يمنعوا التقدم الذي يحرزه الإسلام بينهم. فقد ظلّ جميل آغا ووالداه على صلات مستمرة مع اسماعيل بك حتى وفاته ، وفي عام 1933 م جاء سعيد بك إلى عرشي قيبار وقضى فيها عدّة أيام. و اليزيدية يستقبلون عن طيب خاطر أشقاءهم الذين يطردون عبر ممارسة الاضطهاد عليهم، سواءً كانوا من العراق أو غيره. وقد استقبل جميل آغا داوود الداوود بحفاوةٍ كبيرة في تشرين الأول من عام 1936 م وسمح له بالتجوال في القرية لجمع الصدقات [41]. ورغم كل شيء تبقى العلاقات مع الجماعات اليزيدية الأخرى قليلة نسبياً. فقوّالو الشيخان الذين يفترض نظريّاً أن يقوموا بزيارة جبل سمعان سنوياً ، لا يأتون إلى سورية بصورة منتظمة[42]. وإن سكان وادي عفرين لا يمكنهم الاعتماد إلاّ على أنفسهم لكونهم بعيدين جداً عن المراكز الأخرى لطائفتهم.

* * *

وإذا كان مصير يزيدية سورية أقل مأساوية من مصير أبناء ملتهم في سنجار ، فإنه ليس أقل يأساً منه. فقد هجرهم الجميع وليس عندهم نجدة مأمولة من أحد ، كما أنّ إسلامهم لم يعد سوى مسألة وقت.

هوامش يزيدية سورية :

(1) هي فرقة الشرقيان التي تشمل حالياً الفرق الفرعية التالية : القويان (30 خيمة) والهاديان (30 خيمة) و المبوعان (30 خيمة) والمَسكان (30 خيمة) و البَلوخان (100 خيمة) و التورنان (15 خيمة). إن كل هذه المجموعات هي بقايا قبائل يزيدية مستقلة سابقاً ، ويمكن تقريب بعضها من فرق سنجارية تحمل أسماء مماثلة. وإن القسم الأعظم من الشرقيان ما زال يخيم في تركيا في منطقة ويران شهر. والبطون التالية هي وحدها التي لها ممثلون في سوريا : الهاديان والتورنان و السُعاني و البَلوخان و الدناي (نجد أيضاً عدداً من هذه البطون بالقرب من دهوك. راجع أنستاس ماري ، م.س ، ص 733). وهي منتشرة بين قرى تل عشق (10بيوت ، من الهاديان) وكرنگو (25 بيتاً من السُعاني) ومَركب (30 بيتاً من السُعاني) وسوغان (30 بيتاً من البلوخان) وخربي خوه Xirbê Xweh (15 بيتاً من السُعاني والتورنان) وقولي (15 بيتاً من الدناي) وچتل (50 بيتاً من الدناي) و دوگور (25 بيتاً من السُعاني والدناي) وتوپو (10 بيوت من السُعاني) وعين عفر (15 بيتاً من الدناي) وقزل آچوغ (20 بيتاً من الدناي) ، وكل هذه القرى تقع جنوبي عامودا

(2) ينتمي أكثر هؤلاء اليزيديين إلى قبيلة الهفيركان المسلمة ، كما أن البعض منهم ينتمون إلى الحسنان. و تقع قرى الهفيركان اليزيدية في منطقة تربه سپي الواقع شرقي القامشلي وهي مزگفت (فرقة الداسكان) وگركي شامو (5 بيوت من البهجولان) و أولتجية (25 بيتاً من الكيواخي) و السلوميّة (العفشان) و تل خاتونك (البهجولان).

(3) أما الذين يقطنون أطراف عامودا منهم ، فينزلون حينها مع الملّية نحو جغجغ.

(4) يبلغ العدد الكلي للشر قيان في سوريا نحو 1500 شخص ، واليزيدية المرتبطون بقبيلة الهفيركان لا يتجاوز عددهم بضع مئات من الأشخاص.

(5) راجع الخريطة رقم 3 والملحق رقم 6.

(6) نرى بعض اليزيديين في إعزاز بحلب حيث يعملون كتجار صغار أو كعمال بالمقطوعيّة ، ولكن هؤلاء المهاجرين قليلو العدد. ولما كانوا يعيشون بعيدين عن ذويهم فإنهم قلما يبقون مخلصين لدينهم وسرعان ما يعتنقون الإسلام.

(7) التقى الرحّالة الإنكليزي إيلي سميث نحو عام 1830 م ببعض اليزيدية ممن كانوا لا يزالون في طور البداوة في وادي عفرين. و يذكر Lammens R. P في كتابه: Le Massif du Djebel Sim'ān et Les Yezidis de Syrie 1906)). أنه وجد هناك يزيديين يعيشون في الخيام. أما سكن بعض العائلات من غزويّة في أكواخ من القصب في الوقت الحالي فهو أمر مؤقت. وما زال أهالي قرية قيبار Qîbar يتذكرون حلهم وترحالهم طويلا بحثاً عن المراعي.

(8) صناعة السجاد ، على سبيل المثال.

(9) تختلف أساليب البناء باختلاف الوسائل المحليّة. ومخطط البيوت إجمالاً حتى برج عبدالو هو المخطط الذي يظهر في الشكل رقم 4. أما في غزويّة حيث تبدأ ضفتا النهر بتشكيل المستنقعات ، فالمساكن مسقوفة بالبردي و لا تحوي سوى غرفة واحدة(انظر اللوحة رقم11). وأما في الجبل فإن القرويين يستخدمون في أغلب الأوقات خرابات قديمة يكيّفونها وفقاً للحاجات اليومية ، وقد أصبحوا يسقفون بيوتهم بالقبب بدلاً من الخشب.

(10) جميل أغا نفسه لا يملك سوى خمسة فدادين في عرشي قيبار ، إضافة إلى أنه يملك فندقاً بناه والده في عفرين. ومع هذا كله فإنّ حالته المادية غير مستقرة ولا يستطيع أن يسدد الضرائب المفروضة عليه دائماً.

(11)Cf. Chronicon Ecclesiasticum , p. 220 – 22. " Porro tempore Justiniani haereses plurimae staturieunt : nempe , haeresis " Barburianorum " qui syriac vocantur " Malinnaie " et sunt surculus Manichaeorum ; iste e Perside expulsi venerunt in Armeniam et exinde in Syriam , ubi quae invenerunt monasteria invaserunt et inhabitarunt. Deferunt auten ipsi et eorum uxores vestes nigras sicut monachi et quotannis die quadam fixa festum celebrant ......"

(12) أي قضاء قلعة الروم Rumqellê (تركيا).

(13) راجع الشرفنامة ، ص 387 – 388.

(14) الاسم الكردي لوادي عفرين.

(15) إن كون أغلب المزارات التي نجدها في هذه المنطقة قد حافظت على أسمائها الإسلامية (راجع أعلاه ، ص 80) يمكن أن يزودنا بدليل إضافي على حداثة تاريخ هذا الاستيطان. ومن ناحية أخرى ، فإن بعض القرى حول قرق خان تحمل أسماء يبدو أنها تشير إلى استيطان يزيدي قديم فيها (راجع ترن و محمودي).

(16) نجد في جبل سمعان أفراداً من قبائل الدنادي و الداوودي و الكاچاني والخالتي والشرقيان و القوپاني و بشكل خاص من قبيلة الرشكان (أصلها من قره داغ).

(17) راجع الشرفنامة ، ص 287. لا شكّ أن هؤلاء الشيوخ كانوا رحّلاً : يشير القاموس الجغرافي العالمي (باريس ، 1833) كذلك إلى قبائل يزيدية كانت تنتقل نحو الجنوب حتى اللاذقية وحتى مصر أيضاً!.

Cf. P. Perdrizet , Documents du XVIIe siècle relatifs aux Yezidis. (18)

.Cf. op. cit. 433 (19)

Cf. ibid , p 293 et M. Febvre , op. cit.(20)

(21) القبائل الإقطاعية المسلمة هي : الشكاكلي التي يتبع لها يزيدية قرى الشمال (قطمة و سنكلة وباقلون و قسطل) ، و جومة التي تتبع لها قرى وادي عفرين حتى باسوطة في الجنوب وكل قرى جبل سمعان

باستثناء بوسوفان ، وجبل هشتيان التي تتبع لها قريتا قره باش و چلكان، و شراوا التي يتبع لها جميع يزيدية الجنوب ابتداءاً من برج عبدالو وبوسوفان. وللذكرى نورد أسماء القبائل المسلمة الخالصة في كرد داغ: شيخان و عمكان و خاستيان.

(22) يبدو أن قرية بوسوفان لعبت دور عاصمة صغيرة طوال هذه الفترة وذلك بفضل موقعها المركزي بالنسبة لباقي المستوطنات وانتماء جميع سكانها إلى طبقة الشيوخ.

(23) كان أبرز ممثلي هذه العائلة پير أوسو المتوفى نحو سنة 1830 م.

(24) كان على جانب كبير من التقوى والورع وكان أحد آخر الفقراء الذين ارتدوا " خرقة الشيخ أدي".

(25) خدم البعض منهم ، مثل عمر شقيق درويش ، بصفة ضباط؛ وتمّ تسريحهم بعد انتهاء حالة الحرب وإعادتهم إلى بيوتهم. وحاليا يقوم النقيب السابق عمر آغا بزراعة حقله في عرشي قيبار ، بينما يعمل الملازم السابق موسى ، من عائلة پير عمر خالد ، كخادم في فندق جميل آغا في عفرين.

(26) إن القائمة التي أعدها لامان الذي زار جبل سمعان في ظروف سيئة ليست صحيحة تماما ، فهي تحوي بعض الأسماء التي كتبت بصورة خاطئة ، وفي بعض الأحيان تستحيل مطابقتها مع الأسماء الحقيقية. أضف إلى ذلك أن الكاتب يذكر من بين القرى التي أسلمت قرية غزوية التي لا تزال يزيدية جزئيا.

(27) من ناحية ثانية ، فإن معظم عمليات التحول إلى الإسلام مشكوك في مصداقيتها؛ هناك العديد من الأشخاص الذين يدعون أنهم مسلمون، لكنهم في الحقيقة لا يزالون يزيديين (على سبيل المثال : أهالي كفر زيت). وهناك آخرون ، رغم أنهم ارتدوا فعلاً عن الدين اليزيدي ، لا تزال علاقاتهم ممتازة مع ابناء ملتهم ، و لا يزالون يعتبرون جميل آغا زعيمهم السياسي. الأمر الذي يجعلنا نشعر أن اعتناق الإسلام بالنسبة لأهالي جبل سمعان ليس إلا مسألة كلمات؛ ومع ذلك ، فإن للكلمات من القوة ما يكفي لكي تعامل عائلة من المسلمين الجدد أبناء ملتها السابقين كمنبوذين بعد جيل واحد على الأغلب.

(28) رأينا امرأة يزيدية تتوسل رغم إسلامها إلى شيخ من عائلة شيخ مند لكي يشفي لها ابنها المريض.

(29) جميع مزارات المنطقة يبجلها المسلمون و اليزيديون معاً دون تمييز للعقيدة.

(30) كذلك في سنجار أسلمت جزئيا قبيلة المنديكان المطرودة من بلد سنجار.

(31) فقط بقيت قريتا قره باش و كفر زيت يزيديتين.

(32) مثل جلمة وإسكان اللتين دخلتا في الإسلام.

(33) يجب عليهم أن يتزوجوا أمام القاضي. لأن الزواج الذي يتم أمام أصحاب الرتب الدينية لديهم يعتبر باطلاً. وهذا أحد أعنف التوبيخات التي يوجهها اليزيدية إلى النظام الحالي.

(34) لقد طالت مطالبة اليزيديين بإنشاء مدرسة في عرشي قيبار. وأخيرا تقرر أن يكون لهم ذلك شريطة أن يتحملوا هم أنفسهم تكاليف البناء وصيانته. وعندما تمّ بناء المدرسة أرسل إليها معلم مسيحي ، وكان أحد الشيوخ القادمين من سنجار يعطي دروس التربية الدينية. إلا أن هذا المعلم انتقل بعد انقضاء بعض الوقت ،

ولم يتم إيجاد البديل له قط. وقد تهدمت اليوم هذه المدرسة التي كلف إنشاؤها الكثير من التضحيات وبقيت المطالبات كلها دون جدوى.

(35) كثيراً ما يتكرر اختطاف الفتيات اليزيديات.

(36) لقد وصل التخوف باليزيديين إلى درجة أنهم حتى في القرى التي يشكلون فيها الأغلبية ، يفضلون أن يمثلهم مختار مسلم يصطفونه عموماً من بين أبناء ملتهم الذين اعتنقوا الإسلام .

(37) في تشرين الأول وتشرين الثاني من عام 1936 م : انتخابات تشريعية وتزايد لحركة المريدين murūd في كرد داغ. وقد ظهرت المرودية لأول مرة بعد الحرب العالمية الأولى بين نقشبندية تركيا. وهي حركة سنية ذات ميول إصلاحية متزمتة (منع التدخين والكحول والموسيقى) وفي كرد داغ حيث انتشرت انتشاراً واسعاً ، كان لها وجه ديمقراطي (معارضة كبار الملاكين) واتخذت ذريعة في العديد من عمليات قطع الطريق. وقد عُقد حلف حقيقي بين قاطع طريق مشهور هو رشيد إيبو (تمّ توقيفه في نهاية عام 1936 م) وعدة رؤساء دينيين. واليزيدية لا يجدون أنفسهم في مواجهة الخطر مباشرة ، إلا أنهم يخشون نجاحات جديدة للمرودية قد تؤدي بهم إلى القلق.

(38) في جبل سمعان يرتدي المريدون ياقة تشبه ياقة الخوركا في سنجار؛ ياقة الفقراء فتحتها أصغر ومدورة قليلاً ، بدلاً من أن تكون على شكل شبه منحرف.

(39) راجع أدناه ، الملحق رقم 3 ، ج. بهذه المناسبة وبعد إجازة ثلاثة أيام يرتدي جميل أغا من جديد لباس الفقير.

(40) يقال إن شيخ جنيت صام 7 سنوات متواصلة ، كما يقال أنه يجترح المعجزات.

(41) ومع هذا ، كان داوود يشكو من أنه لم يستقبل بتقدير كافٍ ، لذلك عاد خلال أيام قليلة.

(42) راجع أعلاه ، الدين ، اليزيدية الحديثة.

5

الخاتمة

الخاتمة

انحصر اهتمامنا خلال الفصول الأخيرة من هذه الدراسة بتجمعي سنجار وجبل سمعان. إن دراسة تجمعات الشيخان و كردستان تركيا وأرمينية السوفيتية ستثبت أن الجماعات اليزيدية المختلفة بسبب وضعها المادي وبنيتها الاجتماعية وعقلية أفرادها تظهر ، رغم اختلافها عن بعضها ، عددا من الطبائع المشتركة التي تساهم في جعل أتباع الشيخ آدي الأقلية الأكثر عرضة للنكسات في الشرق الأوسط.

اليزيدية فلاحون في سورية وهم أقرب إلى الوضع القبلي في تركيا وأشباه رحّل في سنجار؛ إنهم لا يشكلون عنصراً مدنياً في أي مكان سوى تفليس حيث يعيش بضع مئات منهم على بعض الأعمال الصغيرة. فلا يمكنهم إذن ممارسة تأثير مباشر على سياسة البلدان التي يعيشون فيها. إن جميعهم تقريباً أميون وجهلهم المدهش غالباً يجعلهم غير قادرين على التأقلم مع شروط الحياة الحديثة. وبلادتهم العقلية تدفعهم حتى إلى إهمال دراسة تقاليدهم الدينية الخاصة بهم؛ فالملكات

الذهنية للطائفة ، ومن هنا ، قدرتها على البقاء في طريقها إلى الزوال تقريباً. و الحاصل أن اليزيدية يعيشون في مجتمعات تفصلها عن بعضها بعضاً أبعاد شاسعة ، و الاتصالات بينها تكاد تكون معدومة ، و هم محاطون بسكان يسيئون معاملتهم ، فليس أمامهم إلا البقاء تحت رحمة الدول الشرقية الفتية التي تحركها قبل كل شيء الرغبة الشرعية في تحقيق وحدتها القومية.

و هكذا ، دون تسليح روحي أو مادي للدفاع عن أنفسهم ضد الوسائل الحديثة التي تستعمل ضدهم ، فإن اليزيدية الذين سبق أن تم الاعتقاد بأن ساعة نهايتهم قد أزفت ، يبدو أنهم هذه المرة وصلوا إلى نهاية تاريخهم. وما علينا إلا أن نأمل في أن تفهم الحكومات التي يتبعون لها أن الطريق الأنجع لصهر اليزيدية تعتمد على حملهم على الانفصال عن معتقداتهم عن طريق تعليمهم وليس على تقليل أعدادهم بالقوة.

6
ملاحق

الملحق رقم (1)

إن الوثيقة التي ننشرها أدناه وصلت إلينا عن طريق جميل آغا رئيس يزيدية جبل سمعان. وقد أخذها من أحد مرؤوسيه الذي كانت عائلته تملكها منذ زمن لا تعيه الذاكرة.

يظهر المخطوط على شكل مُدَرَجة ورق يبلغ طولها 3.31 متراً وعرضها 33 سم. بدايته تالفة تشغلها مقدمة يبدو أنها مكتوبة بخط غير الذي كتبت به التتمة. وبعد عدة استشهادات من القرآن تنتهي هذه المقدمة بالإشارة التالية : " هذيه إجازة پير موسى الدنبلي ".

والجزء الأساسي من هذه الوثيقة يحتوي سلسلة نسب أحد خلفاء صخر ، والتي تتناوب اسطرها الأولى مع إسناد تلقين مؤسس العدوية وتتناوب أسطرها الأخيرة مع نسبة فتوة الشيخ عدي نفسه. أما أسفل المدرجة فتغطيه قائمتان تذكر فيهما بالترتيب أسماء مريدي الشيخ عدي والشيخ حسن (ابن عدي).

ثمة تعليقات ، كلها بخطوط مختلفة ، تملأ الفراغ الذي تركه الناسخ في وسط المخطوط ، وتخبرنا أن " النسب الشريف المذكور أعلاه " وجد في كتاب الجلوة [1] وكتاب الحبشي [2] وكتاب اعتقاد أهل السنة والجماعة [3] ، وأنه نسب عائلة پير من طائفة [قبيلة] الدنبلية [4].

يدعي الموقعون [على هذه الوثيقة] أن لهم وحدهم الحق في مطالبة المريدين من أفراد هذه القبيلة بالزكاة.

إن هذه الوثيقة ، التي لم يكن في غايتها الأولى أي شيء نفعي ، تبدو ثمرة لكتاب ملفق عن كتاب مناقب الشيخ عدي بن مسافر [5] ومصادر أخرى مفقودة اليوم. ولهذه الوثيقة أهمية تاريخية مضاعفة : فهي تأتي أولاً لدعم فرضية غيدي حول الأصول الإسلامية لليزيدية : إنها مؤرخة سنة 921 هـ (1515 – 1516 م) وتثبت أن بعض أفراد الطائفة كانوا يحتفظون في هذا العصر المتأخر بذكرى واضحة بما يكفي عن الشخصية الحقيقية لوليهم. ثم إنها تؤكد إضافة إلى ذلك الفرضيات التي صاغها العالم الإيطالي المذكور حول تسلسل خلفاء الشيخ عدي [6].

---

1 من تأليف حسن بن عدي ، ويجب ألا نخلط بينه وبين كتاب الجلوة المنسوب إلى اليزيدية الحديثة : راجع أعلاه ، ص 5 و ص34.

2 هذا " الكتاب الحبشي " يحملنا على التفكير بـ " الكتاب الأسود" (Misḧfa Reş) : راجع أعلاه ص5.

3 من تأليف الشيخ عدي : راجع أعلاه ، ص25.

4 راجع أعلاه ، ص117- 118.

5 راجع أعلاه ، ص28 – 29.

6 Cf. Gidi , op.cit.,p.420-42

إن الخطوط المختلفة التي نجدها في هذه الوثيقة والتي تفتقر إلى الجمال عدا عن كونها أكثر حداثة، تشكل على نحو ما رمزاً للانحطاط الفكري للعدوية.

نص

ملاحظة : المقاطع التي بين حاصرتين هي المقاطع التي وجب علينا تصحيحها نتيجة وجود ثغرات في المخطوط. وأجزاء الجمل التي وضع تحتها خط أغفل عنها الناسخ ، وقد قومناها. كما راعينا كتابة المخطوط غير الصحيحة على الأغلب.

1 - مقدمة و سلسلة نسب الشيخ عدي :

[بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين] الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم [صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا ال] ضالين امين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما [انمـا امره اذا اراد شيئا ان يقو]ل له كن فيكون لا اله الا الله محمد رسول الله امره ان. . . . .

[بسم الله الر]حمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق من شر مـا خلق ومن شر غـاسق اذا وقب ومن شر النفا [ثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد بسم ال]له الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر ال [وسواس الخنـاس الذى يوسوس فى صدور ال] ناس من الجنة والنـاس بسم الله الرحمن الرحيم هارون الرشيد على . . . . ورضى الله عن ابى بكر وعمر وعثمان وعلى و . . . . بن النسب الشيخ عقيل الشيخ روح و. . . . . فى قبل كتابة الذى امره بكر.ل . . . . هذيه الوثيقة اجـازة بير موسى الدنبلى . . . . مقدر . . . . . . ولا سيما . . . . . . فى سائر الافاق اهل السنة والجماعة بالاتفاق لا يعبون الغلاة وبدعة المبتدعين المراق باقامة الشيخ الامام الحبر الهمام والبحر الطام شيخ مشايخ العراق والشام علم علـماء الحقيقة وسلك مسالك الطريقة الى كل اشارة دقيقة انيقة قبـلة

الواقدين (1) كعبة الواردين بدر الدنيا والدين حسين ابن الشيخ الامام العالم العامل القدوة أبى المحاسن يوسف ابن الشيخ الامام المحقق المدقق برهـان الدنيا والدين ابراهيم ابن الشيخ الامام العابد الزاهد زين الدنيا والدين يوسف ابن الشيخ الامام شرف الدنيا والدين موسى ابن الشيخ الامام والقدوة الهمام الناسك السالك الولى علاء الدنيا والدين على ابن الشيخ الامام قدوة اهـل مصر والشام صاحب الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة زين الدنيـا والدين (2) نزيل القرافة بالقاهرة وضريحه بالزاوية العدوية ظاهر المدينة (3) ولو لم يكن البحر حقيقة لما علت فوق قبته السفينة الشهير بلقبه زين الدين يوسف ابن الشيخ شرف الدنيا والدين محمد (4) ابن الشيخ الامام بدر الدنيا والدين حسن (5) ابن سلطان العابدين وامـام الزاهدين وحيد دهره وفريد [عصره] الشيخ عدى (6) ابن الشيخ الامام علم الاعلام بركة الانام الشيخ ابى البركات (7) ابن الشيخ الامام صاحب الكرامات التى هى كالبحر الشيخ صخر (8) وهو اخو الشيخ الامام شيخ مشايخ الاسلام الغوث الربانى والقطب الصمدانى الشيخ عدى الاعزب الذى قال فى حقه السيد عبد القادر الكيلانى لو ان النبوة بالمجاهدة لنالها عدى بن مسافر (9) وقال رضى الله عنه وقـد صحبه الخضر عليه السلام انت الذى موسى لم يستطع معك صبرًا ولكن ها هنا رجل لا انت ولا موسى تستطيعان معه صبرًا الا وهو عدى ابن مسافر وكراماته اكثر من ان تحصى نفعنا الله تعالى ببركاته فى الدارين امين وهو

---

(1) الصحيح : الواقدين.

(2) راجع أعلاه ، ص104-105.

(3) راجع أحمد تيمور ، م.س ، ص32.

(4) راجع أعلاه ، ص103.

(5) نقرأ بين السطرين : وأما الشيخ حسن ولد له الشيخ محمد والشيخ تقي الدين عمر والشيخ عثمان والشيخ علي والشيخ أبو بكر الفنكي المدفون بين البيرة وقلعة المسلمين.

(6) راجع أعلاه ، ص34وص101.

(7) راجع أعلاه ، ص33.

(8) صخر بن مسافر.

(9) هذا الكلام نقله أيضا كتاب بهجة الأسرار وكتاب المناقب.

ابن الشيخ مسافر المدفون ببقاع العزيز من ارض الشام بقرية تسمى ببيت فار والبيت الذى ولد فيه الشيخ يزار الى الان من جميع البلاد قد عمر عليه البدرى الشيخ حسين المبدأ بذكره (1) مسجدا تقصده الجيرة رجاء لاستجاب دعائهم فيه واستخلف عليه النقبا ومد يده فى اخذ العهود بالتوبة فتاب على يده كثير من الناس نفعنا الله ببركاته آمين ولنعد الى نسب الشيخ الامام عدى ابن مسافر ابن الشيخ اسماعيل ابن شرف الدين موسى ابن (2) صخرا عبد العزيز ابن شاذان ابن عمر ابن عبد العزيز ابن دقان ابن الحكم ابن العاص ابن امئه ابن عبد شمس ابن مناف ابن قصى كلاب ابن مره ابن كعب ابن لوى ابن غالب ابن فهر وهو قريش ابن مالك ابن النظر واسمه قيس ابن كنانه ابن خزيمه ابن مدركه ابن الياس ابن مضر ابن يزد ابن معد ابن عدنان ابن آد ابن ادد ابن اليسع ابن الهميسع ابن سلامان ابن نبت ويقال نابت ابن حمل ابن قيدار ابن اسماعيل الذبيح ابن ابراهيم الخليل ابن تارخ وهو ازر ابن ناحوا ابن ساروع ابن ارغوا ابن مالع ابن غابر وهو هود النبى صلى الله عليه وسلم ابن شالخ ابن ارفخشد ابن سام ابن نوح النبى صلى الله عليه وسلم ابن لملك ويمك ابن متشولخ ابن اخنوخ وهو ادريس النبى صلى الله عليه وسلم ابن بادر مهلائيل ابن قينان ابن انوش ابن رهبة الله شيت ابن ابى محمد آدم صلى الله عليه وسلّم .

مشقه ونقه

منتشبهبقوفهونهر (?) .

ومن اعطا الزكاة لبيت بير صخر واخرج من طريقة الشيخ عدى والشيخ حسن ابن عدى .

(1) دون شك ، هو بدر الدين حسين.

(2) هناك ثغرة في نصنا : الحقيقة أن سلسلة النسب التي يضعها ابن خلكان لعدي (راجع أحمد تيمور ، م.س ، ص13) و السلسلة التي ما في نقوش القراقة (راجع نفس المصدر ، ص32 و ص34) تضيفان بعد موسى : " بن مروان بن الحسن بن مروان " .

وهـذا النسب الشريف المذكور اعلاه نسب العبد الفقير الى الله تعالى بير يوبو ابن بير جانكير الدنبلى المذكور اعلاه المستحق ما تفضل به جده قطب زمانه قبال تاريخه من زكاة طايفة الدنبليه عليه وعلى اهله وجماعتـه وطايفته وليس لاحد غيره وغير جماعتهم المذكورين اعلاه فى ما ذكر اعلاه من زكاة الدنبليه الاكراد المذكورين اعلاه حق ولا ولا (*sic*) مستحق وليس لهم الا الصدقة لا غيره وهذا وجدناه فى كتاب الجلوة وكتاب الجبشى وكتاب اعتقاد اهل السنة والجماعة فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع وعليم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

لبير يوبـه واخوه بير محمد ينتقل لابن بير محمد بير ابراهيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (1) .

وهـذه النسبة المباركة للبير يوسف الـدلقمه اوفو ابن پير عيسى ابن جهانكير واخوه پير شمس واولاد المذكور پير يوسف الكبير عمرو الذغير(2) شقيقه پير احمـد والذغير پير بوبكر والدريه الصالحه من التابعين من درية سيد بشر (?) ابن غنيمه وهاكذا وجدناه فى كتب الماضيين فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع وعليم وصلى الله على محمد .

وهـذا النسب الشريف المذكو نسب العبد الفقير الى الله تعالى پير حمو ابن بير غسان الذرية الصالحين من التابعين وهكذا وجدناه فى كتب الماضين فمن بدله بعدما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع وعليم وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

بير حبيب ابن بير موسى   بير بولاد ابن بير موسى   بير سفر ابن بير موسى   بير ابن بير موسى (*sic*)   بير حسين ابن بير موسى .

(1) بعد پير محمد النص مكتوب بخط آخر.

(2) الصغير.

2 – إسناد تلقين الشيخ عدي :

. . . . الشيخ عدى ابن مسافر

(قدس) الله سـ[ره] . . . . لبس من الشيخ عقيل . . .

المنبجى والشيخ عقيـل لبس من السيخ [مسلمة والشيخ] مسلمة لبس من الشيخ ابى سعيد الحرار (1) والشيخ ابى سعيد لبس من الشيخ محمد القدسى والشيخ محمد لبس من الشيخ على ابن عُليم والشيخ على من والـده عليم والشيخ عُليم الرملى لبس من الشيخ عمار السعدى وعمار لبس من الشيخ يوسف الغسانى والشيخ يوسف لبس من والده الشيخ يعقوب الغسانى والشيخ يعقوب الغسانى لبس من الشيخ ابى بكر الغسانى والشيخ ابو بكر لبس من الشيخ ابى سعيد الخدرى والشيخ ابى سعيد لبس من امير المؤمنين عمر ابن الخطاب وعمر رضى الله عنـه لبس من النبى محمد صلى الله عليه وسلم والنبى لبس من ربّ العالمين تبارك وتعالى وجبرائيل هو البَرْوانه اى السفير (2) .

3 – نسبة فتوة الشيخ عدي :

نسبة فتوة الشيخ عدى ابن مسافر نفعنا الله تعالى ببركاته الشيخ عدى شرب الفتوة لحميد الاندلسى حميـد الاندلسى شرب لجعفر البالـى جعفر البالى شرب لمحمد الفاروقى محمد الفاروقى شرب لعلى العزازى على العزازى شرب لموسى الدُنَيسرى موسى الدنيسرى شرب لابى الفتح الحمصى ابو الفتح الحمصى شرب لاسد العينى اسد العينى شرب لجعفر الكوفى جعفر الكوفى شر[ب] من الشيخ موسى الشيخ موسى شرب للقاضى شريح بالبصرة القاضى شريح شرب لامير المومنين على ابن ابى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه الامام على شرب للنبى صلى الله عليه وسلم النبى عليه الصلاة والسلام شرب لله وجبرائيل كان النقيب والبروانا والسـلام .

---

(1) ربما الخراز.

(2) إن الشخصيات الأخيرة التي يسوق إليها النص نسب عدي لا تظهر في نهاية الإسنادات المعهودة.

ذكر الاربعين مريد الذى صحب الشيخ عدى ابن مسافر في حياته

ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون .

اولهم الشيخ عدى ابن مسافر – ثم مريده محمد ابن رش (1) – وحسن ابن مَم ُ (2) – وقايد البوزى (3) – وابو بكر الحمصى – وعمر القبيصى – وعلى ابن ابيه – ومحمد السنبكى (4) – وعبد العزيز الثرثارى (5) – وجنيد الناخرورى – والشيخ جروان (6) – ومحمد الترنبوسى – وسعد الباهلى (7) – وحسن الحصرى – وخشف الدنيسرى (8) – وداود التخومى – وعمـار الكلبى – ورسلان الهراس – وجمال ابن سلام – وقضيب البان الموصلى (9) – والشيخ نعمان – ومظفر السلامى – واسحاق الكردى –

---

(1) راجع محمد رشان ، " مالك الأمطار " ، الذي يذكره اسماعيل بك ، م.س ، ص108.

(2) راجع پير حسن ممان ، " رئيس الپيرة " الذي يذكره اسماعيل بك ، م.س ، ص107.

(3) ألف الشيخ عدي كتابا موجها إلى هذا المريد (راجع أعلاه ، ص25 و ص27). يرد الاسم هكذا " قايد النوري " في كتاب المناق[ب] وليس البوزي.

(4) ربما هو أبو محمد السنبكي قاطع الطريق الكردي قد تحول وأصبح الشيخ أبا الوفاء (راجع بهجة الأسرار ، ص 134 وما يليها[ ] وكذلك الشعراني ، الطبقات الكبرى ، ص147).

(5) الثرثار هو أحد روافد نهر الفرات في منطقة الموصل.

(6) راجع پير جروا (اسماعيل بك ، م.س ، ص108).

(7) راجع اسماعيل بك. م.س ، ص108.

(8) دونيسر Donayser مدينة صغير في ولاية ماردين [تركيا].

(9) راجع بهجة الأسرار ، ص196. يبدو أن هذا الولي لم يكن من مريدي الشيخ عدي وإنما كان أحد رفقه في الدراسة : وقد كا[ن] على صلة بعبد القادر الجيلاني أيضا توفي في الموصل نحو عام 570 هـ. وقضيب البان معروف أيضا في المأثور اليزيدي : راجع اسماعي[ل] بك ، م.س ، ص108.

وسعيد البدوى ـــ وعلى التوكل (1) ـــ وخضر الهكارى ـــ واحمد ابن قايد ـــ وابراهيم الرومى ـــ ومحمود القلانسى ـــ وريحان عبد الشيخ ـــ وداوود الخزنيدا (?) ـــ وحماد البوازنجى (2) ـــ وبشير ابن غنيم ـــ وحسن البوزى ـــ والحاج رجب البارسنقى (3) ـــ والشيخ فتيان ـــ وعمار المزرعى ـــ ومبارك ابن اخيه (4) ـــ وابراهيم القولسى (?) ـــ والشيخ جواب (5) ـــ ومحمد الذارانى ـــ وابو بكر القرقورى ـــ وداوود التخومى ـــ وحسن ابو عراجه فى مكارم الاخلاق كنوز الارزاق

5 – ذكر مريدي الشيخ حسن :

هذه نسبة بشير ابن غنيم وان مريدين للشيخ عدى ابن مسافر

طائفة الدنبليه ذكر اربعين مريديهم يعطوا الزكاة لذرية

وان اخويه ابن غنيم الشيخ حسن بشير ابن غُنيم

اولهم الحاج محمد الكفرزمارى ـــ واسماعيل ابن القابله ـــ وشمس الدين محمد الدمشقى ـــ وخضر اللوبرانى ـــ وحماد البوانجى ـــ وبوبو الباخزانى (6) ـــ وابو بكر الدندسى (?) ـــ وبير بوبو (7) ـــ ويحيى ابن حميد ـــ والشيخ مطر (8) ـــ والحاج على السترانى (9) ـــ والشيخ حميد ـــ

(1) خطأ في اسم علي المتوكلي (Cf. Frank , op.cit., p79).

(2) بلا شك ، هو حماد البوازيجي ، و بوازيج تقع بالقرب من تكريت.

(3) راجع الحاج رجب الذي ذكره اسماعيل بك ، م.س ، ص106.

(4) يعني ابن أخ الشيخ عدي : وهو بلا شك أبو البركات.

(5) ربما هو جواب البكر مريد وهاب السنجاري وليس مريد الشيخ عدي (راجع بهجة الأسرار ، ص230).

(6) راجع بوبو قلندر و پير بوب اللذين ذكرهما اسماعيل بك (م.س ، ص107-108).

(7) راجع الهامش السابق.

(8) زميل دراسة الشيخ عدي وليس مريده. وقد تتلمذ على أبي الوفاء (راجع بهجة الأسرار ، ص65 -163)

(9) راجع الحاج علي الذي ذكره اسماعيل بك ، م.س ، ص106.

والشيخ زربب ـــ والشيخ على ابن الكاف ـــ وعبد الحميد ـــ والشيخ عرفى انكارى ـــ ومحمد النيرابى (1) ـــ وبير محمد الدرحنى ـــ والشيخ عيسى ابن سعيد البدوى ـــ والحاج على الماردانى (2) ـــ وعلى بو بكران ـــ وبير بيال السنبدارى ـــ وبير دل اللبابيدى ـــ والحاج على الموسكانى (3) ـــ وعمر الخوشغانى ـــ والحاج ملى ـــ والحاج ابراهيم ـــ وعيسى اللبودى ـــ وحسن الجأرى ـــ وعمر خالان (4) ـــ وخطيب عيسى ـــ وغديب ـــ والحاج جكا الاربلى ـــ وبوبو الحوابى ـــ وبير خليل المهدى ـــ ومحمد اليونى (?) ـــ وبوبو الناسانى (?) ـــ وموسى سبودى ـــ ومحمدالنا . . . (?) ـــ وسلمان البكرى.

وصار ذالك النسب المبارك انشا الله تعالى فى سنة واحد وعشر . . . وتسعماية.

..

في الوقت الذي كان فيه هذا الكتاب قيد الطبع اطلعنا بفضل خليل بك مردم على وثيقة ثانية شبيهة بالتي قرأنا نصها توّاً هذه القطعة التي تشكل جزءاً من أرشيف الأديب الدمشقي [5] ، مؤرخة في عام 1004 هـ وتحوي :

(1) من النيرب بالقرب من حلب.

(2) راجع ص233 ، الهامش 9.

(3) راجع ص233 ، الهامش 9.

(4) راجع عمر خالا ، اسماعيل بك ، م.س ، ص108.

(5) خليل بك ينحدر من ناحية أم جده من محمد بن أحمد الذي وضعت له سلسلة النسب المنقولة في الفقرة التالية.

1 – سلسلة نسب محمد [1] **بن أحمد** [2] بن محمود بن عبد السلام بن محمود بن عبادة بن محمد بن أحمد بن عثمان بن سعادة بن عيسى بن موسى بن الشيخ أبي البركات أخو الشيخ الصالح المسلك عدي...

2 – مقتطفات طويلة من ملاحظات مخصصة لعدي وأبي البركات من قبل ابن خلكان وغيره من كتاب التراجم ، إضافة إلى سردٍ لعدد من كراماتهما مأخوذة من كتاب بهجة الأسرار. وسنقتصر على نقل الملاحظة التالية حول بيت فار والتي تحوي تفاصيل غير منشورة تسمح بالحكم على الأهمية التي كانت تحافظ عليها العدوية في سوريا في القرن التاسع :

وموضع مولدهما (عدى وصخر) زاوية يقام بها الصلوات وذكر الله سبحانه وتعالى فى غالب الاوقات وهو مكان مبارك يستجاب به الدعوات وذكر لى بعض من كان يتردد اليها من اهل تلك المحلة وكان من الصالحين انه ما بات بها جنباً الا وجد ملقاً خارجها ولا يقدر احد ينام بها بانفراده من شدة الهيبة وكان رحمه الله يفتخر بمبياته بهـا فى بعض الاحيان وحده يعنى وان غيره لا يقدر على ذلك من الخوف وجدت بها سماطاً للفقراء الواردين وغيرهم ممن يحضر من المسافرين وقبر والده الشيخ مسافر وولده صخر بالقرب من الزاوية على تل وعليه قبة مشرفة على البقاع بقرية بيت فار وله كرامات ظاهرة...

(1) ولد عام 806 وتوفي عام 874 (راجع أحمد تيمور ، م.س ، ص 40. لم يرد ذكر ذرية هذه الشخصية في وثيقة خليل بك ، لذا، يبدو لنا أن هذه الوثيقة المؤرخة في عام 1004 منسوخة عن وثيقة أخرى أقدم منها.

(2) 782- 868 : ولد في بيت فار (راجع أحمد تيمور، م.س ، ص40).

3 – إسناد تلقين الشيخ عدي : إذا جمعنا إلى معطيات القائمة التي وضعها غيدي (M.A. Guidi (op.cit.,p422 ومعطيات كتاب أحمد تيمور (م.س ، ص 39- 41) فإن الإشارات الواردة في سلسلتي النسب المنشورتين أعلاه تتيح لنا وضع القائمة التي نراها في الصفحة المقابلة

الملحق رقم (2)

نصوص كردية

1 - استيلاء السلطان إيزي على اسطنبول

(جبل سمعان)

Roja Sultan Èzî eskerê xa kişand ser İstambûlê, hijde hezar çadir li ser beḥrê vegirt. Masiya serê xa ra kir, hevenê çadirê dekartkê masiya girêda. Ehelê İstambûlê qom bû. Qadî şiro şand cem Sultan Èzî. Go : « Here, islam bike ! ». Çû, li ber beḥrê, sekinî, ban kir : « Ez kewerim (1) cem te ». Ban kir. Sultan Èzî go : « Bêje : — Bi iznê Sultan Èzî ! ». Av cemedî, çû cem Sultan Èzî, Qadî şiro go ji Sultan Èzî re : « Were, islam bibe ! ». Sultan Èzî go ji Qadî şiro re : « Were, èzidî bibe ! ». Qadî şiro go : «Ez nabim, ez Mḥemmed ber nadim !». Sultan Èzî go ji Qadî şiro re : « Kas ra ke, çiçek danî ser nînoka xa ». Go : « Balêse ! ». Weqtê alist, li ezmana

---

(1) بالنسبة لـ : "Ez ke werim" *" (يجب أن تكون : Ez ê herim) أن صيغة المستقبل هذه خاصة بلهجة كرد داغ وجبل سمعان. أما Ke أو Ka فهي أداة نداء تستعمل عادة بمعنى " هيا ".

* نعتقد أن هذه الصيغة مخففة عن Ez dikim werim. المترجم.

qapi ve bû. Nihêri Şêx Hadî li ser kursiyê rûniştî ye Dinya û axêret ji Qadî şiro vexwiya bû. Qadî şiro go: « Şabaş, ya Sultan Èzî!». Ra bû, raqisî. Ehelê Istambûlê got: «Me Qadî şiro şand li cem Sultan Èzî, ki islam bike, rabû, jê re raqisî!». Ehelê Istambûlê bi kevira bi Qadî şiro ket. Weqta kevir hatin, Sultan Èzî got: «Were pivaz!». Hev kevirê wan davêt bû pivaz.

Qiza Qostantîn çû cem bavkê, got: « Ḥakimek hatî ye ser te, lazim e tu text teslim kê». Qostantîn go: « Ez text teslîm nakim!». Qîzê go: «Şertekê min heye; şertê pûç kir, tû ê mejbûr text teslim kê». Qizkê sê masî girtin, di rûn de kawirandin. Kirna satilê û sert satilê tijê rûn kir, devê satilê girê da û da dest miroveki xa, şand ji Sultan Èzî re. Çû, li ber beḥrê sakinî, hev mirove. Bana Sultan Èzî kir, go: «Ez kewerme cem te, beḥr e û av e, ez nikam werim!». Sultan Èzi go ba wî mirovê: «Tu ê bêji:— Bi destûrê Sultan Èzî». Go: «Bi destûrê Sultan Èzî!». Av pêşê cemedî. Çû cem Sultan Èzî, satil pêşê danî. Go: «Çi ye hev?». Wî jêre fetilî, go: «Ya Sultan Èzî, hev e qiza Qostantîn ji te re şand». Go: «Satil ve na ke, şande bibe je kodan anî». Satil ra kir, bir, çû. Ber li pêşiya qîzê Qostantîn danî. Qostantîn satil ve kir, sekir ki satil tija av e; sekir sê masî tide ne, kesk e, di nav satilê digerî.

Paşê, Hejiya Sofiya go: « Lazim e, bi emrê Rebb el ʿAlemîn tu text teşlim bike; qerarê te temam bû!». Qostantîn ji qîzê re go: «Ez ser text da nim û ez teslim nakim». Hejiya Sofiya go bavê xa: «Ya Saḥib el qerar, heva bi qerarê Rebb el ʿAlemîn e!». Kitab ve kir, go: «Seke, weʿd temam bûye, heke tu text teslim nake, ezê ḥikim li te bikim». Qostantin text teslim nakir. Sultan Èzi nifir lê kir, kor kir, û dûʿa lê kir, sax kir, nûr pêşê kirê, go: «Ya Qostantîn, heke tu text teslim kê, teslim ke, û teslim nakê, ezê te bi kevir kim, bi ḥeqqîya Rebb el ʿAlemîn». Paşê, Qostantîn text teslîmê Sultan Èzî kir. Sultan Èzî heftê û dû sal

li ser text rûnişt û ḥikim kir. Paşê heftê û dû sal, bi emrê Xodê, text teslîmê Osman Ciq kir. Sultan Èzî go ji Osman re, go: «Ya Osman, hezar nabe do hezar, heger ki tu milletê min rakê ferman, ezê li te ra kim êxer zeman» (1).

2 – نهاية العالم :

(جبل سمعان)

Osman mirovekê mumnin ji mala Ibrahîm Xelîl bû; heft çara çû cennetê. Çû cem Sultan Èzî, go: «Ya Sultan Èzî, tu derê ko?». Go: «Ez diçim Istambûlê, text bistînim ji Qostantîn». Sultan Èzî go: «Osman, tu hatê çi?». Go: «Ez hatim, wekê te text stand, min divêt tu text bidê min!». Sultan Èzî gote Osman, go:«Weʿd be, wekê min text stand ji Qostantîn, ezê bidim te, li ser destê Xodê». Wekê Sultan Èzî heftê û dû sal rûnişt ser text, Osman hate cem Sultan Èzî, go: «Ya Sultan Èzî, weqta kê de ez hatim cem te, te qerar da min, wekê te go:— Hege min text stand, ezê bidim te. Kanî weʿdê tê?». Sultan Èzî go: «Soz li cem mirovê ḥirre!». Û go: «Ez jî ḥirrim!». Sultan Èzî ser text dihat, got: «Were Osman, ser text rûnî!». Wekê Osman rûnişt, Sultan Èzî gote Osman, go: «Hev textê min e, je te re bidamane, sal bi sal, tû ê dirav bidê; heke tu li milletê min rakê ferman, ezê li te ra kim êxer zeman!». Osman gote Sultan Èzî, go: «Tû ê çi li Osman ra kê?». Go: «Ezê Lolo lê ra kim, û çi kasa ejnebî heye, ezê li te ra kim û ezê te xerab bikim, heta weʿdê te temam bibe». Sultan Èzî go: «Qerarê te temam bû, tu jî ser text dihatî, ezê ʿÎsa dim; text wê here Misrê; ʿÎsa li ser rûnî çêl salê. ʿÎsa Sultan be û Şerfedîn bi muhdî be çêl salê. Weqta ki çêl salê temam bû, ʿÎsa jî ser

(1) انظر أعلاه الترجمة ص62-64.

text daye. ʿÎsa û Şerfedîn wê herin li ber çiyayê Qaf Daẍi. Li wê derê dimirin Şerfedîn û ʿÎsa. Rebb el ʿAlemîn emrê Cibraîl bike ki : «Tu ê here qapîyê Qaf Daẍê veke, jê biderxê Hacûc». Heft sala Hacûc wê ḥikim bike. Paşê, Macûc rabe, Hacûc bikoje. Çêl salê Macûc ḥikim bike; pêş va (1), rabe Masûrê Hellac. Masûrê Hellac dinê bijene, dinya hemû dûz bike. Ji pêş va, bayê rabe li ser erdê Şamê, bayê lêxe, hemû dûz ke, wekê hêkekê. Erdê konaẍê sê roja vexwiya bike... (2).

3 – قصة شيخو بكر :

(جبل سمعان)

Şêxo Bekir ʿezîzê Rebb el ʿAlemîn bû. Xodê lê ẍezibî, rakir, şanda Beẍdayê. Heft sala Şêxo Bekir hişt li Beẍdayê. Şêxo Bekir sefîl bû, pars kir heft sala. Rebb el ʿAlemîn emrê Cibraîl kir; heft qeçik (3) birin, di mala wî de danîn. Hev qeçika hemû hinek kor bûn, hinek saket bûn û hinek jê çalmiş bûn. Rebb el ʿAlemîn Şêxo Bekir hata rehmê. Şêxo Bekir çû mala xa, nihêri di hindiro de heft qeçik in. Şêxo Bekir go : «Ya Rebb el ʿAlemîn, hev hindik e ki te bi min kir û hên te hev heft qeçik ji mi re şandin!». Şêxo Bekir nihêri her heft qeçik didani girî ji nêzara, Şêxo Bekir fetilî nav bajarê Beẍdayê, digerî li ziqaqa û dida girî. Qiza Qadî nihêri di konakê de derwişek li sûqê dida girî. Dilê qiza Qadî pê dişewitî, qiza Qadî ban kir go : « Ya derwîş, tu were cem min, ezê xastina te bidima te». Şêxo Bekir go : «Ez nêm, ez ne hû mirova me!». Qiza Qadî go : «Derwîş, were, ez zanim xastina te çi ye; li boyê Rebb el ʿAlemîn, xastina te ez bidima te». Şêxo Bekir çû cem qiza Qadî.

(1) بدلا من Paşê va.

(2) انظر أعلاه الترجمة ص 65-66.

(3) Qeçik : صبي، Keçik : بنت.

Qiza Qadî fetilî, pişta xa da Şêxo Bekir, go : «Ya derwîşim, tu keziya mi qot ke, çê lazimê te ye ji xa re bistîne». Keziya qizkê hemû zêr bû, yaqût û elmas bû. Li vê weqtê çavê miroveki yehûdî lê bû. Şêxo Bekir çû, hev keziya da firnecî. Got ji firnecî re: «Hev ji te re û tu ê bidê min nanî». Wekê firnecî dît, sekir ḥeqqê wî ne li tirek nane, hev ne tê kirîn û netê firûtin, ḥeqqê wî gelek e. Firnecî got : «Ya derwîşim, ezê bidima te nan, wa lakin, min divêt tu her ro werê bistînê bo mala xa barek nan, heya salekê, û heger ki beʿdê salekê tişteki te li cem min zêde bû, lazim e tu ji mi re helal bikê».

Mirovê yehûdî, wekê di Şêxo Bekir keziya qiza Qadî qot kir, çû, xeber da bavê keçikê. Gota Qadî : «Dilê qîza te kete derwîşki». Qadî sûr ra kir û çû. Çûya qîza xa ki bikoje. Wekê çû nik qîza xa, qîz terşiya ji terse re, beziya destê bavê xa. Go: «Bavo, ti cara tu ne hatî cem min!». Qîzik di ber Rebb el ʿAlemîn gerî, go : «Ya Rebb el ʿAlemîn, min xêr kir û hev xêr bû şirr, li min gerî!». Rebb el ʿAlemîn Cibraîl şand, hat, dest li pişta keçikê xist, keziyê wê wekê berê bû. Qadî go : «Keça min, tu pişta xa bifetilî mi!». Qadî nihêrî keziyê qeça wî temam e, ban kir hê yehûdî, got: «Were, binêre keziyê qîza min û hev keziya te çêkirî ye!». Wekê hat, nihêrî, sekir ko kezî çêkirina destê wî ye. Qadî got yehûdî, go : «Hev kezî te çêkirî yê, lê na ?». Got : «Belê, hev keziya min çêkirî ye». Qadî şûr kişand, li stîyê yehûdî xist, koşt.

Paşê, Şêxo Bekir qeçik anîn, hatin mala Şêx Hadî, heya niha, miqamê wa li Laleşê ye.

الترجمة :

كان شيخو بكر عزيزاً على رب العالمين ، إلا أن الله غضب عليه. فأرسله إلى بغداد وأبقاه فيها مدة سبع سنوات فعاش خلالها حياةً بائسة قضاها في التسول. بعد ذلك أمر رب العالمين جبرائيل أن يأخذ سبعة صبيان ويضعهم في بيت شيخو بكر. وكان هؤلاء الصبية جميعاً إما ضريرين أو معوقين أو مشلولين فأشفق الله عليه. وحين عاد إلى منزله رأى الأطفال السبعة فقال : " يا ربَ ألم يكف ما فعلته بي حتى أرسلت لي هؤلاء الصبيان. " ورأى الأطفال يبكون من شدة الجوع فعاد إلى بغداد يتجول في شوارعها وهو يبكي. كانت ابنة القاضي تنظر من نافذتها فلمحت فقيراً يبكي في الشارع فأشفقت عليه ونادته : " تعال إلي أيها الفقير أعطيك طلبك. " فقال شيخو بكر : " لا لن آتي فلست من هؤلاء الناس [1]". وصرخت الفتاة : " ناشدتك بالله أيها الفقير أن تأتي فأنا أعرف ما تريد وسأعطيك طلبك " فذهب شيخو بكر إليها. أدارت له الفتاة ظهرها وقالت : " قص جديلتي أيها الفقير واشتر بها ما يلزمك ". وكانت جديلة الفتاة من الذهب والياقوت والألماس. وفي هذه الأثناء كان رجل يهودي يراقبه.

أخذ شيخو بكر الجديلة إلى الخباز وقال له : " خذ هذه وأعطني خبزاً بها ". وعندما رأى الخباز هذه الجديلة أدرك أنها لا تباع ولا تشرى فهي ثمينة جداً. قال : " عزيزي الفقير ، سأعطيك خبزاً ، ولكن

(1) يخطئ في تقدير نوايا الفتاة.

أريد منك أن تأتي كل يوم وتأخذ حملاً من الخبز لبيتك طوال سنة وإذا بقي لك بعدها شيء في ذمتي فعليك أن تسامحني به ".

عندما رأى اليهودي شيخو بكر يقص جديلة ابنة القاضي ، ذهب إلى والدها وأخبره بذلك وقال له : " لقد وقعت ابنتك في هوى رجل فقير متسول ". حمل القاضي سيفه وانطلق ليقتل ابنته ، وعندما وصل إليها ارتعدت الفتاة لمرآه وأصابها هلع شديد فأسرعت إلى يد والدها تقبلها وتقول له : " ما سبق لك أن جئت إلي يا أبت ! ". ثم صارت تتضرع إلى الله وهي تقول : " يا رب العالمين ! لقد عملت خيراً وها أنا ألقى الشر ". فأرسل الله جبريل إليها ، فضرب جبريل بيده على ظهر الفتاة فعادت جديلتها كما كانت.

قال القاضي لابنته : " أديري إليّ ظهرك " فرأى جديلتها كاملة ، فنادى اليهودي قائلاً : " تعال وانظر إلى جديلة ابنتي ، إنها الجديلة التي صنعتها أنت ! " وعندما جاء اليهودي ونظر إلى جديلتها عرف فيها الجديلة التي صنعها بيده. قال له القاضي : " هذه الجديلة صنع يدك أم لا؟ " قال اليهودي : " بلى ، إنها صنع يدي " حينها رفع القاضي سيفه وضرب عنق اليهودي فأرداه قتيلاً.

وبعد هذه الحادثة أخذ شيخو بكر أطفاله إلى بيت الشيخ آدي. وما زال مقامه في لالش إلى اليوم [1].

(1) يوجد في بعشيقة مكان مقدس مخصص لشيخو بكر (Cf. Anastase Marie , op.cit., p 397). يجعل اسماعيل بك من هذا الولي معاصراً لعدي ويلقبه بـ " رئيس الفقراء " (راجع اسماعيل بك ، ص 106)

4 _ قصة الكفار :

(جبل سمعان)

Gawir il çiyayê me bû. Meskenê wa Şilo bû. ʿEliyê Şêr il zikê daka xwe de bû. Xodê kerem jê re kir, xelatî lê kir. Meznê Gêwir gota meḥqûlê xwe, go: «Zarokê il zikê daka xwe de ye; heke ev zarok bû û mezin bû, ewê me ji vir bike der». Gota meḥqûla: «Emê zikê jinkê biqelêşin û zarok ij zik bavêjin, da bimirî». Xûlama jinkê hebû, ev jî biḥemlê

bû. Çûna bal, go: «Me ev jinkê divê». Daka ʿEliyê Şêr vêşart. Xûlama wê şerjê kir, zikê wê qelaşt. Nêrî keçikekê di zikê wê de. Çûna ba meznê xwe, go: «Tarixa te derewa dike, me jinik şerjê kir û me zikê wê qelaşt; keçikek il zikê wê de bû». Gotê: «Tarixa te derewa dike».

Meznê Gêwir sund xwar, got: «Dowanzde sal, tarixa xwe de ez dernêxim!». Beʿdê dowanzde sala, tarixa xwe de nêrî. Ne ev jinik şerjê kir, yeka di şerjê kir bedela wê. meznê Gêwir banê meḥqûlê xwe kir. Go: «We ez derewîn derêxistim: ve ye ev kurik mezin bû». Xodê kerem daye wî. Zilfeqar jê re şand. Dindila ba Gêwir bû. Ti kes nediheband hekê zilamê digirt, dikuşt. ʿEliyê Şêr bihîst Dindila nêv Gêwir e. Xwe belengaz kir. Çû nêv Gêwir; çû male xwedanê Dindilê, gotê: «Ezê bimi xûlamê te». Gotê: «Tu çi şixilê dikê?» Go: «Ez kêrî seysiyê hespa te». Go: «Hespekê min e». Go: «Tu karî wî birî û ceh bidiyê». Go: «Ezê av bidim û ezê ceh bidimê». Go: «Hekê zilamê dî, dikuje». Go: «Xem nine!». Çû derê Dindilê, ve kir. Vê re kelimî, go: «Heyvana Xodê, Xodê Zilfeqar ji mi re şand, û bi emrê Xodê, Dindila nêv Gêwir e!». Xodê gota ʿEliyê Şêr, go: «Mi da te; kuştina Gêwirê bi destê te». Mahekî xûlametî kir. Dindilê gotê, go: «Mi derêx». Dindilâ ij odê derêxist, dinya Dindilê baz da. Gota meznê Gêwir, go: «Ev hespa te ye, û zilam hemû dikuştin û bi vî re deng nake!». Lê swar bû. Go: «Bi xatirê we!». Il Gêwir bû hawar. Go: «Hespa te bir û çû!». Ew kete nêv Gêwir û her çê gihiştê kuşt, û derketê ij Çiyayê Şingalê û ʿEliyê Şêr kete pê; heta behrê pê der baz kir. Ij wê rojê heta vê rojê, Gawir ne vagiriye û tarixa wan ne xwîyaye. Gawir zanî kê milkê kiye (1).

---

(1) انظر الترجمة أعلاه ، ص 134-136.

الملحق رقم (3)

قائمة بأسماء مزارات جبل سنجار وجبل سمعان

أ _ جبل سنجار

ملاحظة : الأسماء الموضوعة بين قوسين هي أسماء الأمكنة التي توجد فيها المزارات ، و الأرقام تعود إلى الخريطة رقم (2)

1- بليلي عبش (السموقة) Bilêlê ʿEbeş

قلّما يزار

2- شي شمس (الجفرية) Şê Şims

قبة يقصدها الناس للشفاء من أمراض العيون.

عيد في منتصف الصيف.

حارس المزار شيخ حاجي ميسو (شي شمس) Şê Hacê Mêso

3-آمادين (الهليجيان)

قبة يقصدها الناس للشفاء من الجنون

4- بلقا سم (جرسه) Çerse

قبة وشجرة مقدسة (سنديان). يتعالج الذين يعانون آلاما في الأذنين بإدخال ثمرة بلوط (سنديان) مقطوفة من هذه الشجرة في العضو المريض.

عيد في نهاية الخريف

- حارس المزار: شيخ خلف ميرزا

5- شيخ رومي (قويسا) Qûwêsa

قلما يزار.

6- شرفدين (علدينا) ʽEldîna

قبة يقصدها الناس للشفاء من كل الأمراض حارس المزار: شيخ خلف (شي آمادين). وهذا المزار هو الأكثر شعبية بين كل مزارات جبل سنجار.

7- آمادين (الميهيركان)

قبة يقصدها الناس بكثرة.

عيد في نهاية الخريف.

حارس المزار: شيخ خلف.

8- چيل ميرا Çêl Mêra

هذا المزار موجود عند ذروة جبل سنجار. وهو يشتمل على كهف وقبة متجاورين. چيل ميرا تعني الـ " أربعين رجلا". تقول الحكاية الأسطورية إن هؤلاء هم الملائكة الفرسان الأربعون الذين كانوا في

خدمة فرخدين عندما كان يعيش على هذه الأرض، ومنذ أن صعد فرخدين إلى السماء، فإن هؤلاء الفرسان ينتظرون قدوم أمير يزيدي يكون أهلاً لمساعدتهم له؛ سيساعدونه على بسط سيطرته على العالم بأسره. ويقال إنه إذا أخذ المرء معه حفنة من تراب المزار، فإن بإمكانه مجابهة كل الأخطار دون خوف. وهذا المزار يقصد كثيرا، ولكن فقط من قبل العشائر الجنوبية.

9- پير زكري (بالقرب من بلد سنجار Pîr Zekerî (Balad

مزار إسلامي يقصده أناس من كل المعتقدات.

عيد في نهاية الخريف.

10 - عبد العزيز (المجلونية Evdel eziz (Mejlûnîyê

قبة يقصدها الغيران بصورة خاصة.

حارس المزار: شيخ رشو.

قمبر علي (بالقرب من بلد سنجار)

مزار إسلامي تقصده اليزيدية.

شيخ بركات (بنخسة Şêx Berkat (Bene Xsê

قبة.

قليل من تربة هذا المزار يشفي المواشي من الجرب.

عبد القادر (مجلونية) ʽEvdelqadir

قبة.

ب – جبل سمعان

ملاحظة: الأرقام تعود إلى الخريطة رقم (3)

1- **پارسا هانوم** (قسطل) Parsa Hanûm

قبّة ليس لها أية خصوصية.

2- **شيخ هيمت** (قسطل) Şêx Hêmet

قبة مجاورة لكهف. ترتادها النسوة أيام الجمعة وهنّ يحملن معهن الطعام. وتربة هذا المزار تشفي من أمراض العيون.

3- **شيخ غريب** (سنكلة SinKellê)

قبة وشجرة مقدّسة (صنوبر)

بريم صادق وعبد الممان Brîm Sadiq û ʹEvdelmemman

(بين مشعلة و قطمة).

جب رابي (اعزاز)

نبع موجود حاليا في حديقة البلدية.

4- **چيل خاني** (قرب عرشي قيبار) Çêl Xanê

هذا المزار أيضاً، مثله مثل مزار چيل ميرا في سنجار، مخصّص لملائكة فرخدين الأربعين. وهو عبارة عن كهف يقع على حافة جبل، نصل إليه بالسير بمحاذاة مجرى سيل يبقى معظم أوقات السنة دون ماء. أرض المغارة مغطاة بصواعد [أعمدة من ترسبات فحمات الكالسيوم] على شكل أثداء. والماء الذي يَرشَح من السقف يتجمّع في

حوض طبيعي صغير، والنساء يشربن منه ليزداد إدرار الحليب لديهن.

خارج الكهف ثمة شجرتان مقدستان: شجرة تين يلف الزوار على أغصانها خرقاً بالية، وشجرة زيتون يمنع قطاف ثمارها. ويحيط بالمزار حرم كانت حدوده تتطابق فيما مضى مع حدود غابة سنديان أخضر دمّرها الأتراك، كما يبدو، أثناء الحرب العالمية الأولى، و لم يبق منها إلا بعض الكتل المتناثرة. على بُعد بضع مئات من الأمتار شرقي چيل خاني Çêl Xanê ، تنتصب شجرة كبيرة يستند إليها مقام الملك هادي Melek Hadî. بناء المقام مجرد أحجار منضدة فوق بعضها، ويقال إن الشيخ هادي بناه بعد أن قضى في چيل خاني خلوة لمدة أربعين يوماً. ويقال كذلك إن الشيخ استخدم الحليب لجبل ملاط البناء. في كل ربيع يجتمع يزيدية القرى المجاورة ومسلموها في چيل خاني حيث يذبحون الأضاحي ويأكلون لحومها. تجلس كل عائلة في مكانها المخصص لها على إحدى الصخور المجاورة لمدخل الكهف. وعادة يشغل الوجهاء الأمكنة الأقرب للمزار.

5- **الملك هادي** Melek Hadî

6- **چيل خاني** Çêl Xanê

هذا المزار مجاور لمزار چيل خاني الأول، وهو أيضاً عبارة عن كهف. إلا أنه أقل شعبية ولا يزوره الناس إلا بقصد الشفاء من الروماتيزم.

7- **شيخ سفيل** (قرب ترنده)

عبارة عن سور حجري عند قدم جبل سمعان، يزوره الناس الذين يعانون من داء المفاصل، مصطحبين معهم بعض الدواجن التي يذبحونها ويأكلونها هناك، وعندما يفرغون من الأكل يفركون أعضاءهم المصابة بتربة المزار.

8- **شي عبد القادر** (ترنده)

هذا المزار عبارة عن بعض الأشجار المقدّسة وقبة مبنية بلا إتقان ونبع تسبح فيه أسماك كبيرة يمنع صيدها. ورغم قدسية المكان لا تمتنع النسوة من غسل الأواني والثياب فيه[1].




الشكل رقم(5)

مزار شيخ سفيل

(1) في "بحزاني" بالشيخان أيضا يوجد نبع فيه أسماك مقدّسة، تنبع مياهه من أسفل شجرة.

شيخ سفيل (كره باش)

شيخ سعيدي (كره باش)

شيخ محمد (كره باش)

ويدعى هذا المزار شيخ بكو، يأتي المحمومون لزيارته ، فيلقون شيئاً من الخبز في النبع ثمّ يعلقون قطعاً من ثيابهم على الشجرة [طلباً للشفاء].

شيخ عبد الرحمن بن عوفي (كره باش)

تأتي النساء العاقرات إلى هذا المزار لكي يرزقن بأطفال.

9- **شيخ حليف** خليفة الشيخ هادي (باسوطا)

عبارة عن قبة حسنة البناء تجاور نبعاً. يتردد إلى هذا المكان المصابون بداء المفاصل والنساء العاقرات اللواتي يغرسن بعض الأماليد في تربة المزار على نيّة تحقق الأماني والرغبات. وكان سكان برج عبدالو يدفنون موتاهم حول المزار حتى وقت قريب. أما الآن فإن سكان "باسوطة" يمنعونهم من ذلك.

10- **برج عبدالو**.

يوجد في هذه القرية نبع محاط بأجمة، ورغم أن هذا المكان لا يتمتع بمزايا خاصة وليس له اسم خاص، فإنه سيتحول إلى مزار عمّا قريب، وصار السكان يدفنون فيه موتاهم منذ أن منعوا من دفنهم في باسوطا.

11- **شيخ محمد** (فوق غزويه).

سور من الحجارة في الجبل. يزوره الناس للشفاء من داء المفاصل.

-12 **شيخ ركيب الشادري** Şêx Rikkêbê Şaderê (الشيخ خضر)

-13 **أبو كعب.**

-14 **شيخ علي** (بوسوفان)

قبة جميلة، بنيت بمواد قديمة (في الجدار نقش مرصّع)

-15 **الشيخ بركات** Şêx Berkat

(على قمة الجبل الذي يحمل الاسم ذاته).

قبة يُكثر الناس من زيارتها طلباً للشفاء من كل الأمراض[1].

-16 **شيخ قصاب** (كوندي مزن Gundê Mezin)

قبة على سفح هضبة، بداخلها قبر يبدو لنا حديث العهد، وكتلتان حجريتان محفورتان على شكل جرنين يتجمّع فيهما الماء الذي يترشح من السقف. وهذا الماء يشفي من أمراض العيون.

ج. كَكي عزيز Kekê 'Eziz

مع أن هذا المزار يقع خارج المناطق التي درسناها، نرى أنه من واجبنا أن نتحدث عنه بكلمات قليلة نظراً لأهميته. يقع مزار ككي عزيز في قره داغ وتحديدا في قوشطانه Qoştanê (قضاء رمقلة). وقد بني على مغارة تم تقسيمها اصطناعياً إلى ثلاث حجرات كبيرة. لا يستطيع الزوّار أن يدخلوا سوى الحجرتين الأوليتين، أما الحجرة الثالثة فلا

(1) قديما كان على قمة الجبل معبد مخصص لـ Ζευς Μάδβαχος و Σελάμανες

يصل إليها غير حرّاس المزار. وبداخل هذه الحجرة الأخيرة كان يوجد صدع تصدر عنه أبخرة كبريتية[1]. كان هذا المزار مخصصاً لأحد مريدي الشيخ هادي الذي نسيت هويته الحقيقية ولا يعرف عنه سوى لقبه (ككي عزيز الذي يعني "الأخ العزيز"). وكان بعض الفقراء يحرسون المزار ويقبضون عائدات الأملاك التابعة له، إضافة إلى امتلاكهم لطاووسين.

على بعد مسيرة ساعة من ككي عزيز كانت توجد مغارة أخرى مخصصة لشيخ مند، تحفظ فيها ملابسه.

وفي عام 1925، عندما دمّر الأتراك هذين المزارين، نقلت محتوياتهما من رفات أو بقايا) سرّاً إلى بيت درويش آغا في سورية. وقد أصبحت هذه المحتويات ملكاً لجميل آغا في الوقت الحالي، يعرضها مرة في السنة. وكذلك يملك جميل آغا الوثائق المتعلقة بأملاك (أوقاف) ككي عزيز، وقد ترجمها إلى العربية عن التركية وأتلف الوثائق الأصلية التي أصبحت حسب رأيه عديمة الفائدة. وعندما أراد أن يطلعنا عليها انتبه إلى أنه قد أضاعها.

(1) الأب اليسوعي الذي نشر P.Perdrizet قصته، زار ككي عزيز وهو يصف الظاهرة على أنها عمل من صنيع الشيطان.

الملحق رقم (4)

القبائل اليزيدية في جبل سنجار

أولاً – الخوركا

تندرج تحت اسم الخوركا قبائل السموقة و الجفرية و الهليجيان Hellîcîyan و الدوخيان و الكوركوركان و الهسكان، المستقرة عند أسفل السفح الشمالي للجبل، في المنطقة الممتدة بين الحدود السورية وعديكا Edîka. وكذلك تندرج تحت هذا الاسم قبائل الغيران و الجلكان المستقرة عند السفح الجنوبي، و أخيراً قبيلة المنديكان التي تعتبر ضمن الخوركا رغم أنها مستقرة بين الجنوبية.

أ – السموقة Semmoqa

تشغل هذه القبيلة قريتي بارا و جريبة الواقعتين غربي سنجار، وتمتد منطقة تنقلهم التي تشمل جبل جريبة بأكمله إلى أم الدبّان جنوباً وإلى الخواصر الجبلية الأخيرة التي تنتشر حول بحيرة الخاتونية في

الأراضي السورية غرباً. وتشمل قبيلة السموقة ست فرق، أربعة منها ذات أصل مشترك، واثنتان مؤلفتان من اللاجئين.

1) المحمودية Mehmûdî

60 خيمة، رئيسها خلف أحمد من بيت لعلو وهو رئيس القبيلة أيضاً البيوت : لعلو ، ابراهيم ، حجّو

2) الخليفا Xelîfa

70 خيمة، رئيسها حسن شمو.

البيوت : حسين ، عمر ، همدان ، ناصر.

3) الأوسكي Wûskî

من 70 إلى 80 خيمة ، رئيسها أحمد عيسى.

البيوت : نعمات ، حموي بركات.

4) العلي جرمكان 'Elî Cermkan

50 خيمة، رئيسها حمو ملحم.

البيوت : كدو لشكر، علي آغا.

5) الكوركوركان Korkorkan

80 خيمة، رئيسها عبد الله ناصر ، هذه الفرقة أتت من قبيلة الكوركوركان التي تخيم شرقي السموقة.

البيوت : زغلا Zeẍela ، سيفي Sîvê شكو Şeko. كل بيت من هذه البيوت يتوافق مع فرقة من فرق الكوركوكان في الشرق

6) الغيران Ẍîran

50 خيمة رئيسها محمود علي. هذه الفرقة أتت من قبيلة الغيران.

البيوت حسين محمود ، دهار مراد Dehar Mrad.

ب – الجفرية Cefrîya

تشغل هذه القرية التي تحمل الاسم ذاته و تقع على بعد بضعة كيلومترات عن السموقة. و هي ذات قوام محدود جدا لا يتجاوز 70 خيمة.و أسلوب معيشتها هو نفس أسلوب السموقة الذي يعتمد على البستنة و تربية الماشية. و الجفرية ليست قوية بما يكفي لتعتمد على نفسها في حياتها الخاصة ، لذا فهي تابعة بنوع ما لقبيلة السموقة ، وتتبعها في تنقلاتها بحثا عن المرعى و هي تشمل على فرقتين متخاصمتين هما :

- خلالا Xelala ، رئيسها خليل خضر خلا (رئيس القبيلة).
- عثمان خليل Osmanê Xelîl،رئيسها مراد عثمانا Mradê Osmana. خليل فقير جدا يعتمد على مسيخ بللو ، بينما خصمه مراد عثمانا الأكثر ثروة مدعوم من قبل خلف أحمد و متزوج من أخته.

ت – الچيلكان Çêlkan

هذه القبيلة عبارة عن عدة بيوت في قيران. و استيطانها في سنجار يعود إلى حوالي ثلاثين عاماً. و قد قدمت من تركيا و أفرادها ينتمون أصلا إلى قبيلة الهفيركان Hevêrkan. رئيسها :؟

ث – الهليجيان Hellîcîyan

تعد 80 بيتا في قرية هليجيان. رئيسها قاسو حج على علاقة سيئة مع جاره خليل خضر (من الجفرية) ، لكنه مدعوم من قبل خلف احمد.

الفرق :؟

- مجموعة من الگولكان Golkan.
- بعض المسلمين.

ج – الدوخيان Dûxîyan

تقيم في جرسه Çerse القضاء المشهور بخصوبته ، و بنوعية تبغه و تينه على وجه الخصوص. و تشمل ثلاث فرق من أصول مختلفة هي

1) الگولكان Golkan.

50 بيتاً في قرية ماميسه ، رئيسها حسن هشور (حليف لخلف أحمد) وهو آغا القبيلة.

2) الهسكان Heskan

50 بيتاً ، رئيسها : سليمان عيدو الذي يعتمد على الهسكان في سنانيك وعلى الموسقورة. و هذه الفرقة أصلها من القبيلة التي تحمل الاسم ذاته.

3) الداوودي Dawûdî

30 بيتاً، رئيسها خوديدا خفشكي Xodêda Xefşkê. و هو يدعم صهره حسن هشور .هذه الفرقة أصلها من البهرميانBehremîyan في كردستان.

ورغم أن الدوخيان أقوى من جيرانهم المباشرين ، فهم مسالمون جداً و يتجنبون قدر الإمكان الحروب التي تدور في الجبل. و لم يدخلوا في صراعات إلا مرة واحدة مع الغيران إثر حادثة خطف.

ح – الفقيران

للفقراء قريتان بين الخوركا هما :

ملك Millik: 100 بيت ، فرقة الدناي Dinaî، رئيسها درويش بن حمو شورو.

سمي هيستر Simê Hêstir:100بيت ، فرقة مالازرو (هاديان) ، رئيسها مراد سرهان المتخاصم مع عائلة حمو شورو[1].

خ – الچلكان Çelkan

الچلكان مثلهم مثل الچيلكان Çêlkan(الذين يجب ألا نخلط بينهم) أصلهم من الهفيركان. و هم فقراء جداً ، و يعتمدون في معيشتهم على قطعان الماعز التي يرعونها في الجبل. بعض بيوتهم موجودة في گولكان. أما أغلبية القبيلة فتقيم في زلافكي Zelavkê (فرقة مالاگلو Mala Gillo، رئيسها سنو فاطمة ، آغا القبيلة) و في گبّارا (رئيسها هلوكا Helloka). و الچلكان في زلافكي وفي گبّارا هم تقريبا تحت حماية الهبابات.

(1) راجع أعلاه ص 184

د ـ الكوركوركان Korkorkan

لا شك أن هذه القبيلة كانت فيما مضى قبيلة قوية ، لكنها الآن مفككة تماماً. و فرقها المختلفة متبعثرة في كل أنحاء سنجار ، وهي ميّالة لأن تنصهر في القبائل الأخرى.

عدا فرقة الكوركوركان التي أشرنا إليها عند السموقة نجد الفرقتين التاليتين :

- شيخو في سري خاني رئيسها ، علي گولو ʼElî Golo (آغا القبيلة).
- زغلا ZeX̌ela في كولكان، رئيسها :؟

ذ ـ الهسكان Heskan :

اندمجت فرقتان من هذه القبيلة في قبيلتين أخريين ، إحداهما في الميهيركان و الأخرى في الدوخيان ، بينما تعيش أغلبية القبيلة بصورة مستقلة و تشغل في الشمال الخواصر الجبلية الأخيرة لسنجار ، ومركزها الرئيسي شنانيك إضافة إلى محلي إقامة حديثي العهد هما گوهبل Gohbel و گنه Gennê.

فرقها :

(1) عبدليان ʼEvdelîyan : 60 بيتاً في شنانيك ، رئيسها كمو عموكا الآغا الشرعي.

(2) مالا خربا Mala Xerba: في شنانيك، رئيسها عباس عبدو.

(3) ملكي أوسمانا Milkê Osmana : في شنانيك، رئيسها صبو حجم Sibwê Ḥecem.

(4) شركان Şerkan : (في گنه ، 50 بيت).

فرقها الفرعية [بيوتها] :

- مالا همكي Mala Hemkê ، رئيسها خلف قاسمكو.
- مالا موسي M ala Mûsê ، رئيسها حسو قاسم.
- گوهبل (100 بيتاً) يشغلها شيخ خلف و أنصاره، و هم من أصول مختلفة (هسكان أو جنوية Cenewîya).

باستثناء مالا موسى الموالين لكمو عموكا ، نجهل جهة ولاء الفرق الأخرى.

رُ- الغيران Xîran:

تشغل هذه القبيلة قرية سكينية Sikênîya على السفح الجنوبي لسنجار، و تشغل كذلك قرية مجلونية Mejlûniyê و جزءاً من وردية Werdîyê. رئيسها شيخ خضر عطو.

فرقها :

(1) الهكرشية Hekreşîya :

70 بيتاً في سكينية ، رئيسها عبد الله خليل الآغا الشرعي.

(2) الشافي و البافي Şavî û Bavî :

90 بيتاً في سكينية ، رئيسها خلف سعدو.

(3) علي شكولي ʼE lî Şekoli :

70 بيتاً في سكينية ، رئيسها قاسو سليمان .

(4) مهمي Mehmê:

60 بيتاً في مجلونية ، رئيسها مراد خليل.

(5) زيندينا Zeyndîna :

100 بيتاً في وردية ، رئيسها بشير شبو Bişêrê Şîbo.

إن هذه الفرقة الأخيرة تشغل موقعاً بعيداً عن المركز بالنسبة لباقي القبيلة، لذا فهي لم تعد جزءاً منها بالمعنى السياسي، بل هي تابعة لخوديدا حمو Xodêda Ḥemo.

ز ـ المندكان :

(1) الشهوانية Şehwan :

50 بيتاً في خان ، رئيسها خلف حسين.

(2) إيزوعي Îzʼoî :

في ديلوخان Dêloxan (100 بيت) ، رئيسها قاسم حسين.

إن المندكان جيران للميهيركان وهم يبدون كأتباع لهم. وإن بعض المنديكان الذين أسلموا مقيمون في عين غزال.

ثانياً ـ الجنوبية :

إن هذا التجمع الثاني للقبائل مؤلف من الموسقورة و ما لا خالاتي و الميهيركان (وقبائل تابعة لها) و البكران و الهبابات. وجميع هذه

القبائل تتمركز في الجزء الشرقي من سنجار و تقيم على السفح الجنوبي كما على السفح الشمالي.

أ ـ الموسقورة

كانت هذه القبيلة في الأصل مقيمة في طرف Teref حيث ما تزال أغلبية القبيلة ، و منذ حوالي عشرين عاما تفرقت أقسام منها في عديكا و قويسا Qowêsa و كرى زركا Girê Zirka .

فرقها :

(1) الدومبلي Dombelê :

150بيتاً في طرف ، رئيسها حسن برجس آغا القبيلة.

(2) چرزوم Çerzûm :

100بيتاً في عديكا، رئيسها خلاني Xellanî.

(3) عبدل Êvdel :

80 بيتاً في قويسا ، رئيسها رشو علي.

(4) كلب علي Kelp ʼEli :

20 بيتاً في كري زركا ، رئيسها كمال (الذي اعتنق الإسلام)

يتنازع على السلطة في هذه القبيلة طرفان هما حسن برجس (الرئيس الشرعي) و رشو علي . و الأول منهما يعتمد على داوود الداوود.

ب – مالا خالتي (بيت خالد)

إن هذه القبيلة أصلها من كردستان ، و تشغل قرى علدينا و نو كري Nûgrî و أوسفان Ûsivan و كوندي جلي Gundê Celli عند قدم الجبل على ضفاف ديري بيري Dêrê Bîrî، وهي تشغل أيضا قريتي بتونية Pitûnîyê و كري عربا ʼEreba Girê الواقعتين في السهل شمالا.

فرقها :

(1) علدينا :

قرية علدينا (100 بيت ، رئيسها رشو قولو آغا القبيلة) و بتونية (30 بيتاً، رئيسها إبراهيم قولو شقيق رشو) و نو كري (30 بيتاً، رئيسها حجي محمود)

(2) أوسفان :

قريتا أوسفان(130بيتاً، رئيسها خلف مراد) و كري عربا.

ت – الميهيركان :

نظراً لأننا لم نتمكن من سؤال شخص آخر من القبيلة سوى رئيسها داوود الداوود ، لم يكن بمقدورنا أن نحصل على تقسيم كامل لها. فقد كان داوود يرفض دائما أقل تقسيم لقبيلته..إلا أنه بالنظر إلى عدد القرى التي تشغلها نفس الفرق ، يصبح من المؤكد أن هذه الأخيرة تنقسم إلى فرق فرعية نجهل أسماءها.

ها هي قائمة الفرق التي تمكنا من وضعها :

(1) عستنا ʼEstena :

قرى زروان (100 بيت ، رئيسها داوود الداوود) و ميهيركان (150 بيتاً، رئيسها عستيما ʼEstîma)[1] و برانا Berana (80 بيتاً، رئيسها عديب ʼIdêb) و زوكديخان Zogdîxan (؟ بيت ، رئيسها قاسم الياس) ، وهمدين Hemedên (30 بيتاً، رئيسها حمد خلف Hemedê Xelef) و كوهرا قرتاخ Gohera Qertax (15 بيتاً، و رئيسها خضر عيدو عطي Xidirê ʼIddo ʼEttê)

(2) علي فرّا ʼElî Firra :

قرية ميهيركان ، رئيسها؟

إن هاتين الفرقتين بحسب ما يروى ، تنحدران من أصل مشترك. وهذه التي نوردها أدناه لها أصول مختلفة.

(3) بشكان Beşkan :

قرى باجس Baces (80 بيتاً ، رئيسها خلف نبسيكا Xelefê Nebsîka) و نميلي Nimêlê (30 بيتاً ، رئيسها عبد الله علي بابنيت ʼEvdellah ʼE lî Babnît). و البشكان شيعة.

(4) هسكان Heskan :

قرى سيرت Sirt (30 بيتاً ، رئيسها علي رشو) و قرتاخ Qertax (40 بيتاً ، رئيسها كبعو أزدوكا Geb'o Ezdoka) وباخليف (21 بيتاً، رئيسها حسين عدوكا Hsênê ʼE doka).

---

(1) ابن عم داوود الداوود Dawûdê Dêwûd.

(5) فقيران :

قرية شكفتا (80 بيتاً) ، لها فرقة فرعية شكفتا (قوباني Qopanî) ورئيسها الياس منّت Elyas Minnet.

إن المنافسات التي تجزئ هذه الفرق المختلفة غير معروفة بالنسبة لنا، و أقصى ما نعرفه هو تلك الكراهية التي تعارض العلي فرّا مع العستنا.

ث ـ البكران Bekiran:

فرقها :

(1) مالا أوسي Mala Ûsê :

في بكران (170 بيت) و في شوركان (20 بيت) ، رئيسها سليمان محمود آغا القبيلة.

(2) خفشان Xefşan :

في نخسي Nexsê (30 بيت) ، رئيسها :؟.

(3) قيجكان[1] Qeyçika :

Piştkêr، رئيسها خلف ميرخان.

البكران تابعون للمهيركان رغم أنهم يشكلون قبيلة خاصة.

ج ـ الهبابات Hebbabat :

تعد الهبابات القبيلة الثانية بعد الميهيركان من حيث القوة. وهي مؤلفة من حضريين قدماء استقروا في بلد سنجار منذ تاريخ بعيد.

(1) ينتمون إلى طبقة السدنة Micêwir.

أما إقامتها في المدينة نفسها فتعود إلى عهد أحدث (راجع أعلاه ص137 ، والهامش 1- ص170). وتنقسم قبيلة الهبابات إلى أربع فرق تنحدر من جد مشترك (عطو E tto')[1] وهي :

(1) عطو :

في بلد سنجار (200 بيت)، رئيسها عطو(آغا القبيلة).

(2) عمر E mer' :

في قزلقند Qizilqend (80 بيتاً)، رئيسها صالح محمد.

(3) هاديان[1]:

في قصركي Qesirkê (90 بيتاً)، رئيسها خضر.

(4) سيني Sînî :

في ديه Depe (150بيت)، رئيسها اسكندو Iskendo.

إن الصراع على السلطة الذي بدأ منذ حوالي ثلاثين عاماً بين علي (ولد عطو) و ابن عمه محمد عبدو، يضع صالح محمد و عطو وجهاً لوجه. و قد تضاعف الحقد الذي بينهما إثر مسألة ثأر.

ثالثاً ـ الفقيران [الفقراء]

لم يمض على وجودهم في سنجار إلا أمد قصير. وأول الفقراء الذين أقاموا في سنجار كانوا من فرقة مالا زرّو Mala Zirro الذين قدموا من الشيخان. و بعد مضي بضع سنوات على مجيء هذه

(1) راجع عشيرة الهاديان التابعة للشرقيان.

المجموعة الأولى وصلت مجموعة ثانية تحوي باقي عشائر الاتحاد الحالي للفقراء والتي تعود بأصولها جميعا إلى قبيلة الشرقيان .

والفقراء حضر يتوزعون في القرى التالية :

1- جدالة Cidala (200 بيت)، فرقها :

– دناي : رئيسها خوديدا

– مروانيان أو مالا جندو، رؤساؤها : حسن علي
خلف خضر
قاسم برو

– هاديان أو مالا زرّو ، رؤساؤها : الياس حسن
سعدو سعدون

– قوبان أو مالا أوسو ، رؤساؤها : حسن ككو
خلف حسو

2 - ملك millik (100 بيتاً) ، فرقها دناي أو مالا حمو ، : درويش (شقيق خوديدا) وبعض الهاديان و القوباني ، رئيسها حسن خليل

3 - سمي هيستر Simê Hêstir (20بيتاً)، فرقها :

– هاديان ، رئيسها مراد سرهان.

4 – شفكتا

الملحق رقم (5)

شيوخ قبائل سنجار

أولاً – الخوركا :

1 – السموقة :

- الخليفا : شيخ شمو ناسو (شيخ مند)
= : شيخو خلف =
- المحمودي : شيخ خوديدا خلف =
- العلي جرمكان : = =
= : شيخ خضر هسّبك =
= : شيخ خضر عيشي =
= : شيخ محمود ميرزو =
- الأوسكي : شيخ بركات =
= : شيخ خوديدا خلف =
- الكوركوركان : شيخ بركات ، في كولكان (شيخ حسن)
- الغيران : شيخ خضر ، في سكينية (شيخ فرخدين)

2 – الجفرية :

شيخ حاجي ميسو (شيخ شمس)

3 – الچيلكان :

؟ (شيخ حسن)

4 – الهليجيان :

شيخ خلف (آمادين)

5 – الدوخيان :

- الگولكان : شيخ محمود ميرزو (شيخ مند)
- الهسكان : شيخ خلف ناصر (شيخ سجادين)
- الداوودي : ؟ (شيخ حسن)

6 – الفقيران :

- دنادية مللك : ؟ (شيخ مند)

7 – الچلكان :

شيخ بركات (شيخ حسن)

8 – الكوركوركان :

؟ ؟

9 – الهسكان :

- عبدليان : شيخ خلف ناصر (شيخ سجادين)
- شركان : شيخ إبراهيم ، من طرف ؟
- ملكي أوسمانا : شيخ خلف ناصر (شيخ سجادين)

10 – الغيران :

- الشافي و الباقي : ؟ (شيخ مند)
- محمي : شيخ خضر عطو (شيخ فرخدين)
- زيندينا : = = ؟
- هكرشيا : = = ؟
- علي شكولي : ؟ ؟

11 – المنديكان :

؟ (شيخ مند) ؟

ثانياً – الجنوية

1 – الموسقورة :

؟ ؟

2 – مالا خالتي :

- علدينا : شيخ خضر (شيخ فرخدين) ؟
- أوسفان : شيخ إلياس ، في الشيخان (شيخ فرخدين أو شيخ شمس)

3 – الميهيركان :

- العستنا : شيخ خضر (شيخ فرخدين) ؟
- العلي فرّا : ؟ ؟
- الهسكان : ؟ (شيخ سجادين)؟

- الفقيران : ؟ (شيخ حسن)

4 – البكران :

- خفشان : ؟ (شيخ حسن)
- قيچيكا : ؟ ؟
- مالا أوسي : ؟ ؟

5 – الهبابات :

؟ (شيخ فرخدين) ؟

ثالثاً – الفقيران

- مرواني : ؟ (شيخ أبو بكر)
- هاديان : ؟ (شيخ شمس)
- قوباني : ؟ (شيخ حسن)
- دناي : ؟ (شيخ مند)

الملحق رقم (6)

القرى اليزيدية في جبل سمعان

ملاحظة *: إن الأسماء الموضوعة بين قوسين هي أسماء قرى أسلمت حديثاً. وكما فعلنا مع القرى التي بقيت يزيدية ، فقد رأينا أنه من المفيد أن نشير إلى القبيلة التي كان سكان هذه القرى المسلمة يرتبطون بها سابقاً ، وكذلك عائلات الشيوخ التي كان هؤلاء يتبعون لها قبل إسلامها.*

قسطل :

يزيدية : 51 بيتاً ، مسلمون : 3 بيوت.

القبائل :

- الدنادي : تابعة لشيخو بكر[1].
- الرشكان[2] (الفقيران) تابعة للشيخ مند.

وكذلك بعض شيوخ عائلة شيخو بكر.

---

(1) لفظ محلي للشيخ (أبو بكر).

(2) أو الرشانلي.

سنكلة :

يزيدية : 20 بيتاً ، مسلمون 80 بيتاً.

القبيلة : الدنادي ، تابعة لشيخو بكر.

بافلون :

يزيدية : 7 بيوت.

القبائل :

- الرشكان (الفقيران) تابعة للشيخ مند.
- الدنادي ، تابعة لشيخو بكر.

قطمة :

يزيدية : 25 بيتاً، مسلمون : 40 بيتاً.

عرشي قيبار :

يزيدية : 55-60 بيتاً، مسلمون : 30 بيتاً.

القبائل أو الفرق[1]:

- الرشكان (فقيران) تابعة للشيخ مند.
- الداوودية (فقيران) تابعة للشيخ حسن.
- مالا خضر (فقيران) تابعة للشيخ شمس)
- مالا قسو (فقيران) تابعة للشيخ حسن.
- چاف رشكان (فقيران) تابعة لشيخو بكر.
- كاچانية (فقيران) تابعة لشيخو بكر.

(1) إن أسماء مالا قسو و مالا خضر ، على ما يبدو ، ليست سوى أسماء عائلات جعلها مصادرنا أسماء فرق.

- خالتي (فقيران؟) تابعة للشيخ حسن.

ترنده :

يزيدية : 15 بيتاً، مسلمون : 15 بيتاً.

القبيلة : الشرقيان (فقيران) تابعة لشيخو بكر.

وكذلك بعض شيوخ عائلة الشيخ مند.

جديدة :

قرية صغيرة مؤلفة من 4 أو 5 بيوت لمزارعين يزيديين.

القبيلة :؟ (فقيران) تابعة لشيخو بكر.

باسوطة :

يزيدية : 2 بيتان ، مسلمون : 50 بيتاً.

القبيلة :؟ تابعة لشيخو بكر.

كيمار :

يزيدية : 20 بيتاً، مسلمون : 20 بيتاً.

القبيلة : خالتي تابعة للشيخ حسن.

برج عبدالو :

يزيدية : 20 بيتاً، مسلمون : 25 بيتاً.

القبيلة : رشكان (فقيران) تابعة للشيخ مند.

وكذلك بعض شيوخ عائلة الشيخ فرخدين.

(برا) :

7 – 8 بيوت يزيدية متأسلمة ، 15 بيتاً مسلمون من أصول مختلفة.

القبيلة :؟ تابعة للشيخ مند.

كفر زيت :

يزيدية : 20 بيتاً. جميع سكان هذه القرية هم پيرة من عائلة الپير بحري (تابعة للشيخ حسن).

قره باش :

يزيدية 30 بيتاً.

القبيلة :- خالتي (فقيران؟) تابعة للشيخ حسن.

- رشكان (فقيران) تابعة للشيخ مند.

- شرقيان (فقيران) تابعة لشيخو بكر.

- وكذلك بعض شيوخ عائلة الشيخ حسن وپيرة من عائلة الپير عمر خالد.

غزوية :

يزيدية : 15 بيتاً، مسلمون : 20 بيتاً.

القبائل : - خالتي تابعة للشيخ حسن.

- رشكان (فقيران) تابعة للشيخ مند.

- وكذلك بعض شيوخ عائلة الشيخ حسن وعائلة الشيخ مند.

شيخ خضر :

يزيدية : 12 بيتاً، بعض المسلمين.

القبيلة : رشكان (فقيران) تابعة للشيخ مند

وكذلك بعض البيرة من عائلة البير عسلانكا.

(إسكان) :

يزيدية : 2-3 بيوت ، العديد من المسلمين .

القبيلة : خالتي تابعة للشيخ حسن.

(جقلان) :

يزيدية : 2 بيتان ، العديد من المسلمين.

القبيلة : رشكان (فقيران) تابعة للشيخ مند.

(بعي) :

يزيدية : 2 بيتان ، مسلمون : 3 بيوت.

القبائل : - قوباني تابعة للشيخ ناسردين.

- رشكان (فقيران) تابعة للشيخ مند.

بوسوفان :

يزيدية : 20 بيتاً، مسلمون : 2 بيتان.

جميع يزيدية هذه القرية هم شيوخ من عائلة الشيخ ناسردين وعائلة الشيخ مند.

كبيشين :

يزيدية : 5-6 بيوت ، بعض المسلمين.

القبيلة : قوباني تابعة للشيخ ناسردين.

(فافارتين) :

كان في هذه القرية منذ 5 سنوات 5 عائلات يزيدية أسلمت منذ ذلك الحين.

القبيلة : قوباني تابعة للشيخ ناسردين.

(كفر شين) :

في هذه القرية 20 بيتاً كان منها 4 بيوت يزيدية منذ بضع سنوات.

القبيلة : قوباني تابعة للشيخ ناسردين.

گوندي مزن (زوق الكبير) :

يزيدية 25 بيتاً، مسلمون 2 بيتان.

القبيلة : شرقيان تابعة لشيخو بكر.

باشمرة :

يزيدية : 4 بيوت ، مسلمون 10 بيوت.

القبيلة : قوباني تابعة للشيخ ناسردين.

برج القاس :

يزيدية : 10 بيوت ، مسلمون : بيت واحد.

القبيلة :؟ تابعة لشيخو بكر.

الفهرس





اليزيدية أكراد بأصلهم ولغتهم وهم منتشرون في آسيا الصغرى كلّها. إلا أنّ تجمعاتهم الكبرى موجودة في العراق , كتجمع الشيخان , المركز الديني للطائفة , شمال شرق الموصل , وتجمع سنجار غرب مدينة الموصل. وفضلاً عن ذلك توجد جاليات يزيدية في تركيا (حول ديار بكر وسيرت ووان , وفي بوطان وقضاء بيره جيك) وفي إيران (قرية جبّارلو بالقرب من تبريز) وفي أرمينية السوفيتية , (وأخيراً في سوريا (في الجزيرة العليا وجبل سمعان.


ISBN:2-84305-910-X
9 782843 059100